# المنتقى من تاريخ الخلفاء

يشمل المحاور التالية:

اهتمام الفاروق رضي الله عنه بالعلم والدعاة والعلماء
فقه عمر في التعامل مع الولاة
المؤسسة المالية في عهد عمر بن الخطاب
علي بن أبى طالب رضي الله عنه في عهد الخلفاء الراشدين
شيء من فضائله وأهم صفاته وقواعد نظام حكمه

**جمع وترتيب : عبد الهادي المَسيني**

# المبحث الرابع
# اهتمام الفاروق بالعلم والدعاة والعلماء

## أولاً: اهتمام الفاروق بالعلم:

العلم من أهم مقومات التمكين للأمة الإسلامية؛ لأن من المستحيل أن يمكن الله تعالى لأمة جاهلة، متخلفة عن ركاب العلم، وإن الناظر إلى القرآن الكريم ليتراءى له في وضوح أنه زاخر بالآيات التي ترفع من شأن العلم، وتحث على طلبه وتحصيله، وإن أول آية من كتاب الله تعالى تأمر بالعلم والقراءة: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ (العلق:١)، وكذلك يجعل القرآن الكريم العلم مقابلاً للكفر الذي هو جهل وضلال، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو الأَلْبَابِ**﴾ (الزمر:٩).

وإن الشيء الوحيد الذي أمر الله -تعالى- رسوله ﷺ أن يطلب منه الزيادة فيه هو العلم[١]، قال تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ (طه:١١٤) وقد فهم الصحابة الكرام أن العلم والفقه في الدين من أسباب جلب النصر والعون والتأييد الإلهي، لذلك حرصوا على التفقه في الدين وتعلم كتاب الله وسنة رسوله وكان طلبهم للعلم لله - سبحانه وتعالى - وحرصوا على معرفة الدليل في الأحكام، وأيقنوا بأنه لابد في العلم من العمل، وإلا نزع الله منه البركة، فقد تعلم الصحابة من رسول الله ﷺ دعاءه: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها)[٢]، وقد شهدت الأمة للفاروق رضي الله عنه بغزارة العلم وبأنه فقيه من فقهاء الأمة في الصدر الأول بلا منازع، فقد عُرِفَ بعمق الفهم، والقدرة على التحليل، والبراعة في الاستنباط والاستنتاج، وهذا ما أهله - بعد توفيق الله تعالى- لتلك المكانة المرموقة، ولقد أصبح عمر فقيه المسلمين بعد أن آلت إليه الخلافة، فأرسى باجتهاداته قواعد العدالة كما فهمها من جوهر الإسلام

(١) التمكين للأمة الإسلامية ص٦٢ . (٢) مسلم رقم ٢٧٢٢ .

وحقيقته، وقد كان رضي الله عنه في مقدمـة الفقهاء من الصحابة، وقد أشاد السلف الصالح بعلمه ودرايتـه، ومعرفـته الدقيقـة بالأحكام الشرعيـة، وكان رضي الله عنه يحتـاط في أخذ الحديـث ويهتم بمذاكـرة الصحـابة في العلم، ويسأل الصـحابة عن المسـائل التي لم يتعلمها من رسول الله، وله أقوال في الحث على طلب العلم، وتتبع رعيته بالتوجيه والتعلم، وجعل من المدينة داراً للفقه والفتوى وأصـبحت مدرسة يتخرج منها الولاة والقضاة، وأعد مجموعة خيرة من الصحابة الكرام قادوا المؤسسات العلمية (المساجد) في حركة الفتوح فقاموا بتربيـة وتعليم الشعوب المفتوحة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ووضع النواة الأولى في تأسـيس المدارس العلميـة التي أثرت في الشـعوب الإسلامية كمدرسة البصرة، والكوفة، والشام، وطوّر المدرسة المدنية والمكية.

● **احتياطه في أخذ الحديث ومذاكرته للعلم وسؤاله عمّا يجهل:**

**- احتياطه في أخذ الحديث وطلبه للتثبت:**

استأذن أبو مـوسى الأشعري في الدخول على عـمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يؤذن له -وكأنه كان مشغـولاً- فرجع أبو موسى، ففرغ عمر فقـال: ألم أسمع صوت عبد الله ابن قيس؟ ائذنوا له، قيل: قد رجع، فدعاه فـقال: كنا نؤمر بذلك، فقال: تأتيني على ذلك بالبينة، فانطلق إلى مجالس الأنصار فـسألهم، فقالوا: لا يشهد لك على هذا إلا أصغـرنا. فقام أبو سعـيد فقـال: كنا نؤمر بهذا. فقـال عمر: خَـفِيَ عليّ هذا من أمر رسول الله ﷺ !! ألهاني الصفق بالأسـواق، يعني الخروج إلى التجارة[١]، وجاء في رواية أبي سعيد الخدري قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فـقال: استأذنت على عمر ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجـعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت وقال رسول الله ﷺ: إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع)، فقال: والله لتقيمن عليه بينة، أمنكم أحد سمعه من النبي ﷺ؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصـغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك[٢].

(١، ٢) مسلم رقم ٢١٥٣.

- مذاكرة عمر للعلم وسؤاله عمّا يجهل:

عن أبي هريرة ﷺ قال: أتي عمر بامرأة تَشِمُ، فقام فقال: أنشدكم بالله من سمع من النبي ﷺ في الوشم؟ فقال أبو هريرة: فقمت فقلت: يا أمير المؤمنين أنا سمعت، قال: ما سمعت؟ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تشمن ولا تستوشمن)[1]، وعن المغيرة بن شعبة عن عمر ﷺ أنه قال: استشارهم في إملاص المرأة، فقال المغيرة: قضى النبي ﷺ بالغرة عبد أو أمة قال: ائت من يشهد معك فشهد محمد بن مسلمة أنه شهد النبي ﷺ قضى به[2]، وعن عمر ﷺ أنه سئل عن الرجل يجنب في السفر فلا يجد الماء؟ فقال: لا يصلي حتى يجد الماء، فقال له عمار: يا أمير المؤمنين، أما تذكر إذ كنت أنا وأنت في الإبل فأجنبنا، فأما أنا فتمرغت كما تمرغ الدابة، وأما أنت فلم تصل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: إنما يكفيك هذا[3]، وضرب بيديه الأرض فمسح بهما وجهه وكفيه، فقال له عمر ﷺ: اتق الله يا عمار، فقال: إن شئت لم أحدث به، فقال: بل نوليك من ذلك ما توليت، فهذه سنة شهدها عمر ثم نسيها حتى أفتى بخلافها، وذكره عمار فلم يذكر، وهو لم يكذب عمارًا بل أمره أن يُحدث به[4].

● من أقواله في الحث على العلم:

قال ﷺ: إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العلم خاف ورجع وتاب، فانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء[5].

وقال ﷺ: لا يكون الرجل عالمًا حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه، ولا يأخذ على عمله أجرًا. وقال ﷺ: تفقهوا قبل أن تسوَّدوا- أي تصيروا سادة قومكم- فتمنعكم الأنفة من التعلم، فتعيشوا جهالًا[6].

---

(١) البخاري رقم ٥٩٤٦ . (٢) البخاري رقم ٦٩٠٦ . (٣) النسائي في الطهارة (٣١٧).
(٤) الفتاوى (٢٠/١٣٥). (٥) مفتاح دار السعادة (١/١٢٢)، فرائد الكلام ص١٣٥.
(٦) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص٦٠، فرائد الكلام ١٦٣.

وقال ﷺ: العلم إن لم ينفعك لن يضرك[١].

وقال ﷺ: موت ألف عابد أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه[٢].

وقال ﷺ: كونوا أوعية الكتاب، وينابيع العلم، وسلوا الله رزق يوم بيوم، ولا يضركم ألا يُكثر لكم[٣].

وقال ﷺ: تعلموا العلم وعلّموه الناس، وتعلموا الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم وتواضعوا لمن علمتموه العلم، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم[٤].

وحذر ﷺ من زلة العالم فقال: يهدم الإسلام زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون[٥].

**٢- تتبعه للرعية بالتوجيه والتعليم في المدينة:**

كان الفاروق يتعهد الرعية بالتوجيه والتعليم والتربية من خلال الاحتكاك اليومي وخصوصًا يوم الجمعة، حيث كانت خطبة الجمعة من المنابر المهمة في توجيه الأمة وترشيدها، وقد حفظ التاريخ للفاروق كثيرًا من خطبه، وهذه إشارات عابرة لبعض خطبه:

خطب عمر على منبر رسول الله ﷺ فقال: إنه قد نزل تحريم الخمر وهي خمسة أشياء: العنب، والتمر، والحنطة، والشعير، والعسل، والخمر ما خامر العقل، وثلاث وددت أن رسول الله ﷺ لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهدًا: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا[٦].

وخطب يوم الجمعة في نصح الرعية وبيان حقها عليه فقال: أيها الناس إن بعض الطمع فقر، وإن بعض اليأس غنى، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما

(١) الزهد للإمام أحمد ص١٧٤، فرائد الكلام ص١٦٨.
(٢) فرائد الكلام ص١٥٧، مفتاح دار السعادة (١/ ١٢١).
(٣) فرائد الكلام ص١٥٩، البيان والتبيين للجاحظ (٢/ ٣٠٣).
(٤) أخبار عمر ص٢٦٣، محض الصواب (٢/ ٦٨٦).
(٥) محض الصواب (٢/ ٧١٧).
(٦) الخلافة الراشدة ص٣٠٠ د. يحيى اليحيى.

لا تدركـون، وأنتم مـؤجّلون في دار غـرور، كنتم على عـهـد رسـول الله ﷺ تؤخذون بالوحي، فـمن أسرَّ شيـئًا أخذ بسـريرته، ومن أعلن شيئًـا أخذ بعلانيـته، فأظهـروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسـرائر، فإنه من أظهر لنا شيـئًا وزعم أن سريرته حـسنة لم نصدقه، ومن أظهر لنا عـلانية حسنة ظننا به حُـسنًا، واعلموا أن بعض الشحَّ شعبة من النفاق، فأنفقوا خيرًا لأنفسكم ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، أيها الناس أطيبوا مثـواكم، وأصلحوا أموركم، واتقوا الله ربكم، ولا تلبسوا نساءكم القُبـاطي فإنه إن لم يشفَّ فإنه يصف، أيها الناس إني لوددت أن أنجو كفافًا لا لي ولا عليّ، وإني لأرجـو إن عُمِّرت فيكم يسيرًا أو كـثيرًا أن أعمل بالحق فيكم إن شـاء الله، وألا يبقى أحـد من المسلمين -وإن كان في بيـته- إلا أتاه حـقه ونصيبه من مال الله، ولا يُعمل إليه نفـسه ولم ينصب إليه يومًا، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله، ولقليل في رفق خير من كثير في عنف، والقتل حتف من الحتوف يصيب البر والفاجر، والشهيد من احتـسب نفسه، وإذا أراد أحدكم بعيرًا فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه، فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره[١].

- حكم عظيمة من الخطبة :

لقد استفتح عـمر رضي الله عنه خطبته بحكم عظيمة، بين فيهـا أن الغنى الحقيقي يكون بالقناعـة، وأن الفقـر الحقـيقي يكون بالطـمع، فأصل القناعـة الإياس مما في أيدي الناس، فـمن أيس مما عند غيـره قنع بما عنده، ومن قنع بما عنده اسـتغنى وإن كـان فقيرًا، ومن أخذ به الطمع واستشرف لما في أيدي الناس افتقر في نفسه وإن كان غنيًّا في مـاله، فإن مـاله لا يغنيه؛ لأن الـغنى غنى النفس، والعـقل السليم يقتـضي ألا يجمع الإنسان من الدنيـا أكثر مما يحتاج إليه، وألا تكون آماله الدنـيوية معلقة بما لا يملك، وأن ينظر إلى الدنيـا على أنها دار زوال، وأن لا يغـتر بما فـيهـا من جواذب ومغريات[٢].

---

(١) فرائد الكلام ص١٩٠ نقلاً عن تاريخ الطبري.

(٢) التاريخ الإسلامي (٢٠/٢٦٦).

- أخذ الناس بظاهرهم وترك سرائرهم:

وفي هذه الخطبة تقرير لما استقر عليه الأمر بعد انقطاع الوحي من أخذ الناس بظاهرهم وترك سرائرهم إلى الله تعالى، وفيه إشارة إلى أن الوالي ليس مسئولاً عن الحكم على سرائر القلوب، ولن يستطيع ذلك، ولكنه مسئول عن صلاح ظواهر الناس، ومن صلاح الظاهر يتكون المجتمع الصالح، فإنه يحكم للمجتمع بذلك إذا صلح ظاهره ولم تُعْلن فيه الفواحش ولم يبرز فيه من يجاهر بالفسوق أو يدافع عنه، وإن كان فيه أفراد قد ساءت بواطنهم؛ لأن العرف الاجتماعي -والحال هذه- يكون سائراً مع ما أعلن من الصلاح ومكارم الأخلاق، أما ما خفي من الانحراف فإن العرف الإسلامي يرفضه فيضطر أصحابه إلى التستر والانزواء.

- بعض الشح شعبة من النفاق:

وقوله رضي الله عنه: واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق، واضح في الذين يتقاعسون عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، وهم يرون دُولاً وطوائف من أمتهم يعتدي عليهم الكفار وتنتهك أعراضهم وتنتهب بلادهم، فينهض هؤلاء المعتدى عليهم للجهاد، ولكن لا يجدون إلا القليل من المسلمين الذين يساعدونهم بأموالهم، فالذين أصيبوا بمرض الشح من المؤمنين قد اتصفوا بالنفاق العملي، وهو علامة على ضعف الإيمان[(١)].

- ولوددت أن أنجو كفافاً لا لي ولا عليّ:

إحساس مرهف وتصور بالغ الدقة في إدراك المسئولية، فإن تحمل الولاية إقدام على عمل من أعلى الأعمال الصالحة، ولكن فيه مزالق خطيرة قد تحيله إلى عمل من أسوأ الأعمال، وكم من مسئول كان عمله رافعًا ذكره عند الله تعالى وعند الصالحين من الناس لما يقوم به من محاسبة نفسه على كل صغيرة وكبيرة، وكم من مسئول كان عمله بضد ذلك لكونه اتبع هواه، وقدّم رضا الناس على رضا الله تعالى، ولقد كان

---

(١) المصدر نفسه (٢٠/٢٦٧).

عمر رضي الله عنه من أبرز عظماء التاريخ الذين مثلوا العدالة في أبلغ صورها، ومع ذلك يقول هذه المقالة، ويحمله خوفه العظيم من الله تعالى على تناسي ما لعمله في الولاية من أجر مقابل أن يخرج طاهر الأردان مما فيها من وزر[١].

**٣- من حكمه التي سارت بين الناس:**

قال رضي الله عنه: من كتم سره كانت الخيرة في يديه، ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير مدخلاً، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تكثر الحلف فيهينك الله، وما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وعليك بإخوان الصدق، اكتسبهم فإنهم زين في الرخاء عدة عند البلاء[٢].

فهذه حكم بالغة، وكل حكمة تفتح آفاقًا في عالم التربية ، وهذا تعليق مفيد على هذه الحكم:

**- من كتم سره كانت الخيرة في يديه:**

فالإنسان حاكم نفسه ما دام سره بين جنبيه، فإذا أفشى السر لواحد من الناس أو أكثر- فإنه لو رأى أن المصلحة في عدم الإفشاء- لم يستطع رد أمره إلى السرية.

**- ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن:**

فالإنسان هو المسئول عن نفسه قبل الناس، فعليه أن يحاول إبراء ساحته بكل ما يستطيع، وإذا ظن أن بعض الناس قد يفهمون من سلوكه خلاف مراده فليسارع إلى كشف أمره وإن كان موضع الثقة، وسمعته عالية في المجتمع، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال للرجلين اللذين رأياه ومعه امرأة تسير في الليل: على رسلكما إنها صفية بنت حيي[٣].

**- ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير مدخلاً:**

فهذا توجيه عمري جليل في التحرز من سوء الظن، فإحسان الظن بالمسلمين

---

(١) التاريخ الإسلامي (٢٠/٢٦٧).

(٢) تاريخ دمشق (٤٤/٣٥٩)، التاريخ الإسلامي (٢٠/ ٢٧٠).

(٣) التاريخ الإسلامي (٢٠/ ٢٧١).

مطلوب من المسلم، وأن يحاول تأويل الكلمات التي ظاهرها الشر بما تحتمله من خير حتى يجد أن تلك الكلمات متمحضة للشر، فذلك مطلوب من المسلم مع أخذ الحذر لنفسه ولمن هم تحت ولايته حتى لا يؤخذ على غرة(١).

**- ولا تكثر الحلف فيهينك الله:**

فالحلف بالله تعالى تعظيم له، فإذا كان الحلف بقدر الحاجة وفي حال التعظيم لله تعالى وخشيته كان ذلك من توحيده وإجلاله جل وعلا، أما إذا أكثر المسلم من الحلف بالله تعالى حتى في الأمور الحقيرة فإنه لن يصاحب ذلك تعظيم له سبحانه، بل يدخل في باب الاستهانة وعدم المبالاة، فتكون عاقبة ذلك تعرض المكثر من الحلف لإهانة الله تعالى إياه، ومن تعرض لذلك فقد خسر خسرانًا مبينًا.

**- وما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه:**

فإذا كان بينك وبين أحد خلاف فعصى الله تعالى بسببك، إما بالاعتداء عليك أو انتهاك عرضك أو أخذ مالك فإن أفضل جزاء تجازيه به أن تطيع الله جل وعلا فيه، وذلك بالتزام الأدب الإسلامي في الخلاف وحفظ حق أخيك المسلم، بأن لا ترد عليه بالمستوى الهابط الذي خاطبك به، ثم إن عفوت عنه وتنازلت عن حقك فذلك من كمال طاعة الله سبحانه.

**- وعليك بإخوان الصدق:**

نعم فرب أخ لك لم تلده أمك، بل إن إخوان الصدق الذين ائتلفت قلوبهم على التقوى أعظم تضحية وإحسانًا من إخوان النسب إذا لم يكونوا كذلك، فإخوان الصدق سعادة للإنسان في وقت الرخاء، يسر بلقائهم، ويشترك معهم في أعمال البر والإحسان والإصلاح، فإذا نزل البلاء وجد الجد فهم عدة لإخوانهم يتسابقون إلى البذل والتضحية ويتنافسون في أداء الأعمال الشاقة، ويؤثرون على أنفسهم وإن كانت بهم خصاصة(٢)، فهذه بعض الحكم العمرية التي سارت بين الناس، فإذا كان نقاد

(١) التاريخ الإسلامي (٢٠/ ٢٧١).
(٢) المصدر نفسه (٢٠/ ٢٧٢).

الأدب لا يزالون يعجبون بحكم المتنبي، ويرون فيها خلاصة لتجارب الناس في عصره، فإن حكم المتنبي لا يمكن أن تذكر مع كلمات عمر ولا تجري معها في ميدان، إن المتنبي لخص في حكمه تجارب الناس، وعمر وضع في كلماته (الحكم) للناس، إن من كلماته ما كان دستوراً للحكم أو للقضاء أو للأخلاق، دستوراً كاملاً ولكنه لم يجئ في مواد مطولة ولم يكتب بلغة القوانين، بل جاء حكمة سائرة، ومثلاً مأثوراً، في لغة هي في البيان غاية الغايات من مثل قوله: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ وقوله: إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين في غير ضعف والقوي في غير عنف، وقوله: أريد للإمارة رجلاً، إن كان في القوم وهو أميرهم ظُنّ واحداً منهم، وإن كان فيهم وهو واحد منهم ظن أنه أميرهم، وقوله في الولاة: أشكو إلى الله ظلم القوي، وعجز التقي، وقوله: من لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه، وقوله: لست بخب ولا الخب يخدعني[(١)]. وقوله: ما أمر الله تعالى بشيء إلا وأعان عليه، ولا نهى عن شيء إلا وأغنى عنه[(٢)].

**ثانياً: جعله المدينة داراً للفتوى والفقه:**

لما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، كانت المدينة عاصمة الدولة الإسلامية، وموطن الخلافة، وفيها تفتق عقل الصحابة، في استخراج أحكام إسلامية، تصلح لما جدّ من شئون في المجتمعات الإسلامية، بعد الفتوح التي كثرت، واتسعت بها رقعة الإسلام، فقد كانت المدينة تحتل المكانة المرموقة بين سائر الأمصار، فالمجتمع المدني عاش فيه رسول الله ﷺ، وتربى فيه على يديه النواة الأولى لخير أمة أخرجت للناس، وبذلك أصبح لا يدانيه أي مجتمع آخر.. وكان لوجود عمر على رأس الخلافة في المدينة - مدة عشر سنوات - لخصائصه الذاتية، وسياسته في الحكم، أثر كبير في جعل المدينة المدرسة الأولى للحديث، والفقه والتشريع في القرنين الأول والثاني، وذلك لما يأتي:

---

(١) أخبار عمر ص٢١٢.

(٢) أدب الدنيا والدين ص٣١١ للماوردي، فرائد الكلام ص١١١.

- إن المدينة كانت في عهد عمر مجمع الصحابة، وخصوصًا ذوي السبق منهم في الإسلام، استبقاهم عمر حوله، حرصًا عليهم، ورغبة في أن يكونوا عونًا له في سياسة الأمة، واستعانة بعلمهم، واعتمادًا على إخلاصهم، واسترشادًا بآرائهم ومشورتهم، وقد بقي علم هؤلاء الصحابة بالمدينة فبلغ فقهاء الصحابة المفتون، ١٣٠ مائة وثلاثين صحابيًا وكان المكثرون منهم سبعة: عمر، وعلي، وعبد الله بن مسعود، وعائشة، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، قال أبو محمد بن حزم: ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم(١).

والمتوسطون من الصحابة فيما روي عنهم من الفتيا: أبو بكر، لقصر المدة التي عاشها بعد رسول الله ﷺ، وأم سلمة، وأنس بن مالك وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن الزبير، وأبو موسى الأشعري، وسعد بن أبي وقاص، وجابر بن عبد الله، ومعاذ بن جبل، وطلحة والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وعمران بن حصين، وعبادة بن الصامت قالوا: ويمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير(٢)، وجلُّ من ذكرتهم بقي في المدينة في عهد عمر بن الخطاب، إلا من كانت له مهمة تعليمية أو جهادية كلفه بها الفاروق نتيجة لتوسع الدولة، واحتياج البلاد المفتوحة لمن يعلم أهلها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقد أثمرت سياسة عمر رضي الله عنه في جعل المدينة دار الفقه والعلم ومنزل أهل الرأي والمشورة، ومما يدل على نجاح تلك السياسة ما رواه ابن عباس حيث قال: كنت أُقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى، وهو عند عمر في آخر حجّة حجّها، إذ رجع إليّ عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان، يقول: لو قد مات عمر، لقد بايعت فلانًا فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمّت، فغضب عمر، ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم، قال عبد الرحمن فقلت: لا يا أمير المؤمنين، لا تفعل فإن الموسم

(١، ٢) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢/ ٤٥).

يجمع رَعَـاع الناس وغوغاءهم، فـإنهم هم الذين يغلبون على قـربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مـقالة يطيّرها عنك كل مطيّر، وأن لا يعوها وأن لا يضعـوها على مواضـعها، فـأمهل حـتى تقدم المدينة فـإنها دار الهجـرة والسنة، فتـخلص بأهل الفقـه وأشراف الناس، فـتقـول ما قلت متـمكنًا، فيـعي أهل العلم مقـالتك، ويضعوها على مواضـعها، قـال عمر: أما والله -إن شـاء الله- لأقومنّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة[1].

قال ابن حـجر: واستُدلَّ بهـذا الحديث على أن أهل المدينة مخصـوصون بالعلم والفهم؛ لاتفاق عبد الرحمن بن عوف وعمر على ذلك، قال: وهو صحيح في حق أهل ذلك العصر -عصر عمر- ويلتحق بهم من ضاهاهم في ذلك ولا يلزم من ذلك أن يستمر ذلك في كل عصر، ولا في كلِّ فرد[2]، وقد أثر ذلك العصر في المدارس العلمية التي نشأت مع تطور المجتمع وتوسع الفتوحات، فقد كان تلاميذ مدرسة عمر في المدينة، ونشروا علمهم بـالمدينة، فنشأ تلاميذ صاروا أعـلامًا لقربهم من المنهل، ولبقائهم في البيئة المدنية، وبعض تلاميذ عمر تمّ إرسالهم إلى البلدان المفتوحة لتعليم وتفقيه وتربية الشعوب التي دخلت في الإسلام.

ولقـد تصدرت المدينة مكانًا عـاليًا فـي العلم والفقـه وأثرت مدرسـة المدينة في الأقطار المفـتوحة والمدارس التـي تشكلت كالبـصرة والكوفـة وغيرها ويأتي تـعاقب مركزية الفقه في المدينة كالتالي:

- المدينة مهبط الوحي، والتشريع، ولا تنازعها بلد في العصر الراشدي.
- في عهد الخلفاء الراشـدين، كانت المدينة مركز فقهـاء الصحابة وعلى رأسهم عمر رضي الله عنه.
- قتل عثمان سنة ٣٥هـ، وانتقل عليٌّ إلى الكوفة، ومع ذلك بقيت المدينة مركز أهل العلم والفتوى بسبب امتداد عُمْرِ الصحابة الفقهاء، في المدينة، حتى عمروا أكثر

---

(١) البخاري، كتاب الحدود رقم ٦٨٣٠.

(٢) الفتح (١٢/ ١٥٥)، المدينة فجر الإسلام (٢/ ٤٦).

النصف الثاني من القرن الأول وهم: عائشة وأبو هريرة وجابر بن عبد الله، وابن عمر وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم.

- نشأت مدرسة كبار التابعين في المدينة، وكان منهم الفقهاء السبعة، الذين لم يوجد لهم نظير في الأقطار الإسلامية. وهم المذكورون في قول الشاعر:

ألا كل من لا يقتدي بأئمة فقسمته ضيزى عن الحق خارجهْ

فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خَارجهْ

- وجاءت الطبقة الثانية من التابعين (صغار التابعين) وعاشوا حتى أواخر النصف الأول من القرن الثاني أذكر منهم: ابن شهاب الزهري، ونافع بن أسلم، ويحيى بن سعيد الأنصاري.

- ثم جاء عصر الإمام مالك، وهو من تابعي التابعين، فكان من أعلم الناس بعلم من سبقه من التابعين كبارهم وصغارهم.

ويشهد لعلم أهل المدينة، احتياج أهل الأمصار إلى علم الحجاز، ورحلتهم إليه في طلبه بما لم يُعرف للأمصار الأخرى، فقد رحل علماء الأمصار الإسلامية إلى المدينة في طلب العلم، وعرض ما لديهم على علمائهم، فكانوا المرجع في هذا الشأن، وقد ذهب علماء المدينة إلى الأمصار قضاة ومعلمين[١]، ابتداء من الذين أرسلهم عمر رضي الله عنه لما فتحت الشام والعراق لتعليم الناس كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد ذهب إلى العراق عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعمار بن ياسر، وعمران بن حصين، وسلمان الفارسي، وغيرهم، وذهب إلى الشام معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء، وبلال بن رباح، وأمثالهم، وبقي عنده مثل عثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، ومثل: أبي بن كعب، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وغيرهم، وكان ابن مسعود -وهو أعلم من كان بالعراق من الصحابة إذ ذاك- يفتي بالفتيا، ثم يأتي المدينة فيسأل علماء أهل المدينة، فيردونه عن قوله فيرجع إليهم[٢].

(١) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢/ ٤٧).

(٢) الفتاوى (٢٠/ ١٧٢).

لقد أثرت المدرسة المدنية في بقية المدارس، وكان سائر أمصار المسلمين غير الكوفة منقادين لعلم أهل المدينة، لا يعدون أنفسهم أكفاءهم في العلم، كأهل الشام ومصر، مثل الأوزاعي ومن قبله وبعده من الشاميين، ومثل الليث بن سعد ومن قبله ومن بعده من المصريين، وإن تعظيمهم لعمل أهل المدينة واتباعهم لمذاهبهم القديمة ظاهر بين، وكذلك علماء أهل البصرة، كأيوب، وحماد بن زيد، وعبد الرحمن بن مهدي، وأمثالهم، ولهذا ظهر مذهب أهل المدينة في هذه الأمصار[١].

لقد كانت ثقة أهل الأمصار في علم أهل المدينة، تجعلهم يقدمونه على كل علم لما روى الخطيب البغدادي: أن محمد بن الحسن الشيباني كان إذا حدثهم عن مالك، امتلأ عليه منزله، وإذا حدثهم عن غير مالك لم يجبه إلا القليل من الناس، فقال: ما أعلم أحدًا أسوأ ثناء على أصحابه منكم، إذا حدثتكم عن مالك ملأتم عليّ الموضع، وإذا حدثتكم عن أصحابكم إنما تأتون متكارهين[٢].

ويتفاضل غير أهل المدينة بقدر ما يأخذونه من علم أهل المدينة ويرون في علم أهل المدينة معيارًا للتفوق، فيقول مجاهد وعمرو بن دينار وغيرهما من أهل مكة: لم يزل شأننا متشابهًا متناظرًا حتى خرج عطاء بن أبي رباح إلى المدينة، فلما رجع استبان فضله علينا[٣].

إن من أسباب الثروة الفقهية التي حظيت بها المدينة أيام عمر بن الخطاب: شخصية عمر بن الخطاب الملهمة، وقد شهد رسول الله ﷺ لعمر بذلك، لما رآه موفقًا في آرائه.

وقد جعل من عاصمة الدولة مدرسة تخرج منها العلماء والدعاة والولاة والقضاة، وإذا نظرنا في المدارس العلمية الأولى في العالم الإسلامي رأينا الأثر العمري عليها؛ لأن كل المؤسسين -تقريبًا- تأثروا بفقه الفاروق رضي الله عنه، وإليك نبذة مختصرة عن هذه المدارس:

---

(١) الفتاوى (٢٠/ ١٧٤).

(٢، ٣) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢/ ٤٨).

١- المدرسة المكية:

احتلت هذه المدرسة المكانة في قلوب المؤمنين، الساكنين، والثائبين إلى بلد الله الحرام، الحجاج، والعمار، والزوار، بل أخذت مكة بألباب كل مؤمن رآها، أو تمنَّى أن يراها، ولقد كان العلم بمكة يسيرًا زمن الصحابة، ثم كثر في أواخر عصرهم وكذلك في أيام التابعين، وزمن أصحابهم، كابن أبي نجيح، وابن جريج[(١)]، إلا أن مكة اختصت زمن التابعين بحبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما الذي صرف جل همه، وغاية وسعه إلى علم التفسير، وربى أصحابه على ذلك، فنبغ منهم أئمة كان لهم قصب السبق بين تلاميذ المدارس في التفسير، وقد ذكر العلماء مجموعة من الأسباب أدت إلى تفوق المدرسة، أهم هذه الأسباب والأساس فيها إمامة ابن عباس رضي الله عنهما وأستاذيته لها[(٢)]، وقد تحدث العلماء عن مجموعة من الأسباب أهلت ابن عباس رضي الله عنهما وقدمته على غيره من الصحابة في فهم كتاب الله والقدرة على تفسيره، وهي على الإجمال: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بالفقه في الدين والعلم بالتأويل، الأخذ عن كبار الصحابة، قوة اجتهاده وقدرته على الاستنباط، اهتمامه بالتفسير، منهجه المتميز في تعليم أصحابه، حرصه على نشر العلم، رحلاته وأسفاره، تأخر وفاته، قرب منزلته من عمر رضي الله عنه[(٣)]، فقد حظي بعناية خاصة من الفاروق عندما لمس فيه مخايل النجابة والذكاء والفطنة، فكان يدنيه من مجلسه، ويقربه إليه، ويشاوره، ويأخذ برأيه فيما أشكل من الآيات، وابن عباس ما زال شابًّا غلامًا، فكان لذلك الأثر البالغ في دفعه وحثه على التحصيل والتقدم، بل والإكثار في باب التفسير وغيره من أبواب العلم، فعن عامر الشعبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي أبي: يا بني، أرى أمير المؤمنين يقربك، ويخلو بك، ويستشيرك، مع أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظ عني ثلاثًا: اتق الله لا تفشين له سرًّا، ولا يُجربن عليك كذبة، ولا تغتابن عنده أحدًا[(٤)]، وكان عمر رضي الله عنه يدخله مع أكابر الصحابة، وما

---

(١) الإعلان والتوبيخ لمن ذم التاريخ ص٢٩٢.

(٢) تفسير التابعين (١/ ٣٧١) د. محمد الخضري.

(٣) المصدر نفسه (١/ ٣٧٤-٣٩٥).

(٤) الحلية (١/ ٣١٨)، تفسير التابعين (١/ ٣٧٦).

ذلك إلا لأنه وجد فيه قوة الفهم وجودة الفكر، ودقة الاستنباط، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: كان عمر يسألني مع أصحاب محمد ﷺ، فكان يقول لي: لا تتكلم حتى يتكلموا، فإذا تكلمت قال: غلبتموني أن تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذي لم تجتمع شئون رأسه[1]، وكان ابن عباس لشدة أدبه، إذا جلس في مجلس فيه من هو أسن منه لا يتحدث إلا إذا أذن له، فكان عمر يلمس ذلك منه، فيحثه، ويحرضه على الحديث تنشيطًا لنفسه، وتشجيعًا له في العلم[2]، كما مر معنا في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ (البقرة:٢٦٦) وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ...﴾، وكان لعمر رضي الله عنه مجلس يسمع فيه من الشباب ويعلمهم، وكان ابن عباس من المقدمين عند عمر، فعن عبد الرحمن بن زيد قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلى السُّبحة، وفرغ، دخل مربدًا له[3]، فأرسل إلى فتيان قد قرءوا القرآن، منهم ابن عباس، قال: فيأتون فيقرءون القرآن ويتدارسون، فإذا كانت القائلة انصرف، قال فمروا بهذه الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ و ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة:٢٠٦،٢٠٧)، فقال ابن عباس لبعض من كان إلى جانبه: اقتتل الرجلان، فسمع عمر ما قال، فقال: وأي شيء قلت؟ قال: لا شيء يا أمير المؤمنين، قال: ماذا قلت؟ اقتتل الرجلان؟ قال: فلما رأى ذلك ابن عباس قال: أرى ها هنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم، وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله، فإذا لم يقبل، وأخذته العزة بالإثم، قال هذا: وأنا أشتري نفسي! فقاتله، فاقتتل الرجلان، فقال عمر: لله تلادك يابن عباس[4]، وكان عمر رضي الله عنه يسأل ابن عباس عن الشيء من القرآن ثم يقول: غص غوّاص[5]، بل كان عمر إذا جاءته الأقضية المعضلة يقول لابن عباس: يابن عباس قد طرأت علينا أقضية

---

(١) المستدرك (٣/ ٥٣٩) وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي.
(٢) تفسير التابعين (١/ ٣٧٧).
(٣) السبحة: الدعاء وصلاة التطوع، المربد: المكان الذي يجعل فيه التمر.
(٤) تفسير الطبري (٤/ ٢٤٥) الدر المنثور (١/ ٥٧٨).
(٥) فضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٨١) ١٩٤٠.

عضل، وأنت لها، ولأمثالها، ثم يأخذ برأيه، وما كان يدعو لذلك أحدًا سواه إذا كانت العضل[١]، وعن سعد بن أبي وقاص قال: ما رأيت أحدًا أحضر فهمًا، ولا ألب لبًا، ولا أكثر علمًا، ولا أوسع حلمًا من ابن عباس، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمُعضلات، ثم يقول: عندك قد جاءتك معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين، والأنصار[٢]، وكان عمر يصفه بقوله: ذاكم فتى الكهول، إن له لسانًا سئولاً، وقلبًا عقولاً[٣]، يقول طلحة بن عبيد الله: ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم على ابن عباس أحدًا[٤]، وكان ابن عباس ﷺ كثير الملازمة لعمر، حريصًا على سؤاله والأخذ عنه، ولذا كان ﷺ من أكثر الصحابة نقلاً ورواية لتفسير عمر وعلمه -ﷺ- وقد أشار بعض أهل العلم إلى أن عامة علم ابن عباس أخذه عن عمر رضي الله عن الجميع[٥]، هذا بعض ما لقيه ابن عباس إمام المدرسة المكية من عناية الفاروق وتقريبه له -ﷺ- وأظن أن هذا مما أعان ابن عباس وشجعه للمضي قُدُمًا في طريق العلم عامة والتفسير خاصة[٦].

٢- المدرسة المدنية:

قد تحدثنا عن اهتمام عمر بالمدينة وجعلها دارًا للفتوى والفقه والعلم، وأشهر من تفرغ في المدينة للحياة العلمية زيد بن ثابت ﷺ، فقد استبقاه عمر بن الخطاب ﷺ في المدينة، فكثر أصحابه، يقول ابن عمر ﷺ: فرق عمر الصحابة في البلدان، وحبس زيد بن ثابت بالمدينة يفتي أهلها، ويقول حميد بن الأسود: ما تقلد أهل المدينة قولاً بعد زيد بن ثابت كما تقلدوا قول مالك[٧]، وكان أحد الصحابة الذين قيض الله لهم أصحابًا حفظوا أقوالهم، ونشروا علمهم، وآثارهم[٨]، وقال عامر الشعبي -رحمه الله-: غلب زيد الناس على اثنين، على الفرائض، والقرآن[٩]، وقد شهد

(١) تفسير التابعين (١/ ٣٧٩).
(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٩).
(٣) تفسير التابعين (١/ ٣٧٩)، فضائل الصحابة لأحمد رقم ١٥٥٥ .
(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧٠).
(٥) تفسير التابعين (١/ ٣٨١).
(٦) تفسير التابعين (١/ ٥٠٦).
(٧) العلل لأحمد (٣/ ٢٥٩) ٥١٤٥، تفسير التابعين (١/ ٥٠٦).
(٨) تفسير التابعين (١/ ٥٠٦).
(٩) تهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٤٤٩)، تفسير التابعين (١/ ٥٠٨).

رسول الله ﷺ لزيد في علم الفرائض، فقال: (أفرضكم زيد)[١]، وقد صحب زيدًا عدد من فقهاء المدينة، وقد اشتهر من أصحابه والآخذين عنه ستة من التابعين، يقول ابن المديني: فأما من لقي زيدًا، وتثبت عندنا أنه لقيه فهم: سعيد بن المسيب، وعروة ابن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وخارجة بن زيد، وأبان بن عثمان، وسليمان بن يسار[٢]، وقد كان لمدرسة المدينة الأثر الكبير كما بينا في المدارس العلمية الأخرى.

### ٣- المدرسة البصرية:

أول من مصَّر البصرة عتبة بن غزوان رضي الله عنه اختطها سنة أربع عشرة وقيل غير ذلك، بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسيأتي الحديث عنها بإذن الله تعالى عند حديثنا عن التطوير العمراني في السياسة العمرية، وهي أقدم من الكوفة بثلاث سنين[٣]، وهي منافسة لمدرسة الكوفة في كل الفنون، وقد نزلها من الصحابة جمع كثير[٤]، منهم أبو موسى الأشعري، وعمران بن حصين رضي الله عنهما، وعدة من الصحابة كان خاتمتهم أنس بن مالك رضي الله عنه[٥]، ومن أشهر من نزل البصرة أبو موسى الأشعري، وأنس بن مالك رضي الله عنه، فأما أبو موسى رضي الله عنه فكان فيمن قدم مكة، وأسلم، وهاجر إلى الحبشة مع من هاجر، وكان يعد من أعلم الصحابة، وقد قدم البصرة، وعلم بها[٦]، وقد تأثر أبو موسى بعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وكانت بينهما مراسلات، سنأتي عليها بإذن الله عند حديثنا عن مؤسسة الولاة والقضاة، وكان أبو موسى رضي الله عنه قد اشتهر بالعلم والعبادة والورع، والحياء، وعزة النفس وعفتها، والزهد في الدنيا والثبات على الإسلام، ويعد أبو موسى رضي الله عنه من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم، فقد ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ في الطبقة الأولى من الصحابة رضي الله عنهم، قال عنه: كان عالمًا عاملاً صالحًا تاليًا لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت

---

(١) سنن الترمذي قال الترمذي: حديث حسن صحيح رقم ٣٧٩١.
(٢) تفسير التابعين (١/ ٥١٠). (٣) المصدر نفسه (١ / ٤٢٢).
(٤) عدّ ابن حبان أكثر من خمسين صحابيًّا من المشاهير الذين دخلوا البصرة، المصدر السابق نفسه.
(٥) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٦)، مسلم (١/ ٦٥).
(٦) تفسير التابعين (١/ ٤٢٣).

بالقرآن، روى علمًا طيبًا مباركًا، أقرأ أهل البصرة وأفقههم[١]، وقد كان رضي الله عنه كثير الملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم، كما أنه تلقى من كبار الصحابة كعمر وعلي وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، وتأثر أبو موسى على وجه الخصوص بعمر بن الخطاب كثيرًا، وكان عمر يتعهده بالوصايا والكتب في أثناء ولايته الطويلة على البصرة، كما أن أبا موسى كان يرجع إلى عمر في كل ما يعرض له من القضايا، حتى عده الشعبي واحدًا من أربعة قضاة، هم أشهر قضاة الأمة، فقال: قضاة الأمة: عمر، وعلي، وزيد بن ثابت، وأبو موسى[٢]، وكان أبو موسى عندما يأتي المدينة المنورة يحرص على مجالس عمر رضي الله عنه، وربما أمضى جزءًا كبيرًا معه، فعن أبي بكر بن أبي موسى أن أبا موسى رضي الله عنه أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء، فقال له عمر: ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدث إليك، قال: هذه الساعة، قال: إنه فقه، فجلس عمر فتحدثا طويلاً، ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: إنا في صلاة[٣]، وكما كان أبو موسى حريصًا على طلب العلم والتعلم كان أيضًا حريصًا على نشر العلم وتعليم الناس وتفقيههم، وكان يحض الناس على التعلم والتعليم في خطبه، فعن أبي المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: من علمه الله علمًا فليعلمه، ولا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين[٤]، وقد جعل أبو موسى مسجد البصرة مركز نشاطه العلمي وخصص جزءًا كبيرًا من وقته لمجالسه العلمية، ولم يكتف بذلك بل كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد منها في تعليم الناس وتفقيههم فإذا ما سلّم من الصلاة استقبل رضي الله عنه الناس، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن الكريم، قال ابن شوذب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم[٥]، واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته وحسن قراءته، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعونه يقرأ، وكان عمر رضي الله عنه إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر له من

(١) تذكرة الحفاظ (١/٢٣). (٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٨٩).
(٣) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم المجاهد، محمد طهماز ص١٢١.
(٤) الطبقات (٤/١٠٧). (٥) سير أعلام النبلاء (٢/٢٨٩).

القرآن[١]، وقد وفقه الله لتعليم المسلمين، وبذل رضي الله عنه كل ما يستطيع من جهد في تعليم القرآن ونشره بين الناس في كل البلاد التي نزل فيها، واستعان بصوته الجميل وقراءته الندية فاجتمع الناس عليه، وازدحم حوله طلاب العلم في مسجد البصرة، فقسمهم إلى مجموعات وحِلق، فكان يطوف عليهم يُسمعهم ويستمع منهم ويضبط لهم قراءتهم[٢]، فالقرآن الكريم شغله الشاغل رضي الله عنه، صرف له معظم أوقاته في حِلّه وفي سفره، فعن أنس بن مالك قال: بعثني الأشعري إلى عمر رضي الله عنه، فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيّس[٣] ولا تُسمعها إياه[٤]، حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلم ويفقّه، فعن حطّاب ابن عبد الله الرّقاشي قال: كنا مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في جيش على ساحل دجلة، إذ حضرت الصلاة، فنادى مناديه للظهر، فقام الناس للوضوء، فتوضأ ثم صلّى بهم، ثم جلسوا حِلقًا، فلما حضرت العصر نادى منادي العصر، فهبّ الناس للوضوء أيضًا فأمر مناديه: لا وضوء إلا على من أحدث، وأثمرت جهوده العلمية رضي الله عنه، وقرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفاظ القرآن الكريم وعلمائه، زاد عددهم في البصرة وحدها على ثلاثمائة، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن لكي يكرمهم ويزيد عطاءهم، كتب إليه أبو موسى أنه بلغ من قِبلي ممن حمل القرآن ثلاثمائة وبضعة رجال[٥]، واهتم أبو موسى رضي الله عنه بتعليم السنة وروايتها، فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير، كما روى عن كبار الصحابة رضي الله عنهم، وروى عنه عدد من الصحابة وكبار التابعين. قال الذهبي -رحمه الله-: حدّث عنه بريدة بن الحصيب، وأبو أمامة الباهلي، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وأبو عثمان النّهدي وخلق سواهم[٦]، وكان رضي الله عنه شديد التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، دلّ على ذلك ما أوصى به أولاده عند موته، ومع

---

(١) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم ص١٢٥، ١٢٦.
(٢) المصدر نفسه ص١٢٧.
(٣) أي: عاقل فطن.
(٤) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم ص١٢٨.
(٥) المصدر نفسه ص١٢٩.
(٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨١).

حرصه الشديد على السنة لم يكثر رضي الله عنه من رواية الأحاديث الشريفة كما هو حال كبار الصحابة رضي الله عنهم، فقد كانوا يتهيبون من الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم مخافة الزلل والخطأ، وقد كان عمر يوصي عماله أن يهتموا بالقرآن، وألا يكثروا من رواية السنة وكان أبو موسى شديد الطاعة لعمر[١]، وأما أنس بن مالك النجاري الخزرجي، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يتسمى بذلك ويفتخر به وحق له ذلك[٢] فيقول رضي الله عنه: خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين وأنا غلام[٣] ويقول أيضًا: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين ومات وأنا ابن عشرين سنة[٤]، وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة المال، والولد، والمباركة في العمر فقال عليه الصلاة والسلام: (اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه)[٥]، قال الذهبي: وقد سرد صاحب التهذيب نحو مائتي نفس من الرواة عن أنس[٦]، وروى ألفي حديث ومائتين وستة وثمانين حديثًا، اتفق البخاري ومسلم على مائة وثمانين حديثًا، وانفرد البخاري بثمانين حديثًا، ومسلم بتسعين[٧]، ويعتبر أنس بن مالك رضي الله عنه شيخ السادة من علماء التابعين أمثال: الحسن البصري، وسليمان التيمي، وثابت البناني، والزهري، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وإبراهيم ابن ميسرة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ومحمد بن سيرين، وسعيد بن جبير، وقتادة وغيرهم[٨]، وقد اهتم أنس بخدمة السنة رواية وتعليمًا وغلبت عليه الصفة العلمية، فقد قام ببعض الأعمال المهمة في خدمة الخلافة الراشدة، وأسند إليه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم بعض المناصب الرفيعة في الدولة المسلمة، وخاصة في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولما تولى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ولاية البصرة في عهد عمر قرّب أنسًا واعتبره من خاصته، فعن ثابت عن أنس قال: كنا مع أبي موسى في مسير، والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا، قال أبو موسى: يا أنس إن هؤلاء يكاد أحدهم يفري الأديم بلسانه فريًا، فتعال فلنذكر ربنا ساعة، ثم قال: ما ثبر الناس -ما بطأ

---

(١) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم المجاهد ص١٣٢ .
(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٢٧).
(٣) تفسير التابعين (١/ ٤٢٣).
(٤) مسلم رقم ٢٠٢٩.
(٥) مسلم رقم ٢٤٨٠ .
(٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٧).
(٧) المصدر نفسه (٣/ ٤٠٦)، تفسير التابعين (١/ ٤٢٣).
(٨) أنس بن مالك الخادم الأمين، عبد الحميد طهماز ص١٣٥ .

بهم-؟ قلت: الدنيا والشيطان والشهوات، قال: لا، لكن عُجّلت الدنيا وغُيِّبت الآخرة، أما والله لو عاينوها ما عَدَلوا ولا ميّلوا[(١)]، ولثقة أبي موسى بأنس فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر، قال أنس: بعثني أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر فسألني عن أحوال الناس[(٢)]، وبعد فتح تستر أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والغنائم فقدم على عمر بصاحبها الهرمزان[(٣)]، وقد روى عن أنس خلق عظيم من الصحابة والتابعين، لا سيما في البصرة، وقد ترك أثره في الزهد والعبادة فيمن حوله من الناس، وكان أنس حريصًا على تعليم أصحابه، شديد المحبة لتلاميذه يدنيهم ويكرمهم، قائلاً: ما أشبهكم بأصحاب محمد ﷺ والله لأنتم أحب إلي من عدة ولدي إلا أن يكونوا في الفضل مثلكم، وإني لأدعو لكم بالأسحار[(٤)]، مما مكنّه من إنشاء جيل من العلماء الذين أخذوا عنه علم الحديث وبلغوه للآخرين وحملوه للأجيال من بعدهم، وبقي أصحاب أنس الثقات إلى ما بعد الخمسين ومائة[(٥)].

### ٤- المدرسة الكوفية:

نزل الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أهل بدر، رضي الله عنهم أجمعين، وكتب عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة قائلاً: يا أهل الكوفة، أنتم رأس العرب، وجمجمتها، وسهمي الذي أرمي به إن أتاني شيء من هاهنا، وهاهنا، قد بعثت إليكم بعبد الله وخِرْت لكم، وآثرتكم به على نفسي[(٦)]، وفي رواية عنه قال: أما بعد فإني بعثت إليكم عمارًا أميرًا، وعبد الله معلمًا ووزيرًا، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ فاسمعوا لهما، واقتدوا بهما، وإني قد آثرتكم، بعبد الله على نفسي إثرة[(٧)]، وقد اهتم عمر بالكوفة ووجه ابن مسعود، فكتب إليه: إن القرآن نزل بلسان قريش فأقرئ الناس بلغة قريش لا بلغة هذيل[(٨)]، وعندما شيع جماعة من

---

(١) المصدر نفسه السابق ص١٤٩.
(٢، ٣) أنس بن مالك، الخادم الأمين ص١٤٩.
(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٥).
(٥) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٧١.
(٦) مجمع الزوائد (٩/ ٢٩١) رجاله رجال الصحيح غير حارثة وهو ثقة.
(٧) السلطة التنفيذية (١/ ٢٥٢).
(٨) الفتح (٨/ ٦٢٥)، الخلافة الراشدة د. يحيى ص٣٠٩.

الصحابة قاصدين الكوفة قال لهم: إنكم تأتون أهل قرية -يعني الكوفة- لهم دَوِيٌّ بالقرآن كدوي النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جرِّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ، وامضوا وأنا شريككم[١]، لقد كان عمر يفضل الاشتغال بالقرآن عن الاشتغال بالسنة، ويظهر لنا ذلك في أنه لما أراد أن يكتب السنة استشار أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك، فأشاروا عليه: أن يكتبها، فطفق يستخير الله فيها شهرًا، ثم أصبح يومًا وقد عزم الله له فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قومًا كانوا قبلكم كتبوا كتبًا فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبدًا[٢]، لقد كانت منهجية الفاروق تعتمد على ترسيخ القرآن الكريم في نفوس الناس وعدم صرفهم عنه، حتى تتأصل معانيه في حياة المجتمع، وتستقر علومه ويميز الناس بينه وبين سواه، من العلوم الإسلامية الأخرى بما فيها الحديث النبوي[٣]، فالتأكيد على القرآن الكريم كان منذ عهد رسول الله ﷺ والتحذير من الانصراف إلى غيره كان منذ ذلك العصر أيضًا وما كان عمر رضي الله عنه إلا متبعًا لتعاليم النبي ﷺ[٤].

اجتهد عبد الله بن مسعود في إيجاد جيل يحمل دعوة الله فهمًا وعلمًا وكان له الأثر البالغ في نفوس أصحابه الملازمين له أو من جاء بعدهم، وقد شهد له الفاروق بالعلم، فعن زيد بن وهب، قال: كنت جالسًا في القوم عند عمر، إذ جاء رجل نحيف قليل، فجعل عمر ينظر إليه ويتهلل وجهه، ثم قال: كنيف ملئ علمًا، كنيف مُلئ علمًا، كنيف ملئ علمًا، فإذا هو ابن مسعود[٥]، وقد تأثرت مدرسة الكوفة بابن مسعود فقد كانت من أكثر المدارس اقتداءً ومتابعةً لأستاذها حتى بعد موته، فإن تأثيره قد بقي في الكوفة بعده مدة طويلة[٦]، وقد تأثر رضي الله عنه بفقه عمر غاية التأثر،

(١) طبقات ابن سعد (٣ / ١٥٦)، الحلية (١ / ١٢٩) .
(٢) تاريخ المدينة (٢/ ٧٧٠)، موسوعة فقه عمر ص٦٥٩.
(٣) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٦٨.
(٤) المصدر نفسه ص٢٦٠.
(٥) طبقات ابن سعد (٣/١٥٦)، الحلية (١/١٢٩).
(٦) تفسير التابعين (١/٤٦٢).

وكان يدع قوله لقوله، وكان يقول: لو أن علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وضع في كفة الميزان، ووضع علم أهل الأرض في كفة لرجح علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(١)].

وقد برز ابن مسعود رضي الله عنه بين الصحابة، وسبق في علم القراءة، وقد تلقى من في رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة من القرآن، فعن شقيق بن سلمة قال: خطبنا عبد الله بن مسعود، فقال: والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم[(٢)]، وعن مسروق: ذُكر عبد الله عند عبد الله بن عمرو، فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول: (استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود فبدأ به، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل)[(٣)]، وقد عرف عمر الفاروق رضي الله عنه لابن مسعود قدره في علم القراءة والإقراء، فعن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر، وهو يعرفه، فقال: يا أمير المؤمنين، جئت من الكوفة، وتركت بها من يملأ المصاحف عن ظهر قلبه قال: فغضب عمر رضي الله عنه، وانتفخ، حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرجل، ثم قال: ويحك من هو؟ قال: عبد الله بن مسعود، فما زال يطفئ، ويسري الغضب، حتى عاد إلى حاله التي كان عليها، ثم قال: ويحك، والله ما أعلمه بقي أحد من المسلمين هو أحق بذلك منه[(٤)]، وقد ترك ابن مسعود مجموعة من التلاميذ اشتهروا بالفقه، والعلم، والزهد والتقوى، منهم: علقمة بن قيس، مسروق بن الأجدع، عبيدة السلماني، أبو ميسرة ابن شرحبيل، الأسود بن يزيد، الحارث الجعفي، مرة الهمداني[(٥)].

**٥- المدرسة الشامية:**

بعد فتح الشام كتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتابًا جاء فيه: إن أهل الشام كثروا وملأوا المدائن واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأعني يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم، فدعا عمر معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت

(١) العلم لأبي حنيفة ص١٢٣، تفسير التابعين (١/ ٤٦٣).
(٢) البخاري رقم ٥٠٠٠.
(٣) البخاري رقم ٣٧٥٨.
(٤) المستدرك (٢/ ٢٢٧) صححه الحاكم ووافقه الذهبي.
(٥) تفسير التابعين (١/ ٤٧٢ إلى ٤٨٤).

وأبا الدرداء ﷺ، فأرسلهم لهذه المهمة وقال لهم: ابدءوا بحمص فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يتعلم بسرعة، فإذا رأيتم ذلك فعلموا طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحد، ويخرج واحد إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين، وقدموا حمص فكانوا بها حتى إذا رضوا من الناس ما وصلوا إليه من مستوى علمي أقام بها عبادة وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين[١]، كانت المدارس العلمية التي أنشأ نواتها الفاروق في البلدان المفتوحة تقوم بدور في تعليم الناس وتربيتهم، فالمدرسة الشامية قامت على أكتاف معاذ وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت ﷺ وغيرهم من الصحابة، فأبو الدرداء ﷺ كانت له حلقة عظيمة في مسجد دمشق يحضرها ما يزيد على ألف وستمائة شخص، يقرءون عشرة عشرة، ويتسابقون عليه، وأبو الدرداء واقف يفتي الناس في حروف القرآن[٢]، ويعد أبو الدرداء أكثر الصحابة أثرًا في الشام ودمشق، يقول الذهبي: وكان أبو الدرداء عالم أهل الشام، ومقرئ أهل دمشق، وفقيههم وقاضيهم[٣]، وكان ﷺ من قراء الصحابة المعدودين[٤]، وكان ﷺ يحث أهل الشام على طلب العلم قائلاً: مالي أرى علماءكم يذهبون وأرى جهالكم لا يتعلمون؟ اعلموا قبل أن يرفع العلم، فإن رفع العلم ذهاب العلماء[٥]، ومن حثه على طلب العلم قوله: كن عالمًا أو متعلمًا أو محبًا أو متبعًا ولا تكن الخامسة فتهلك، قال الحسن البصري - رحمه الله-: الخامسة المبتدع[٦]، وقوله: اطلبوا العلم فإن عجزتم فأحبوا أهله فإن لم تحبوهم فلا تبغضوهم[٧]، ألا فتعلموا وعلموا فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء ولا خير في الناس بعدها[٨]، ولن تكون عالمًا حتى تكون متعلمًا، ولا تكون متعلمًا حتى تكون بما علمت عاملاً[٩]، وكان يقول: لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهًا[١٠]، وقيل لأبي الدرداء مالك لا تقول الشعر؟ فإنه ليس رجل له بيت من الأنصار إلا وقد قال الشعر؟! قال: وأنا قد قلت فاسمعوا:

---

(١) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٥٩.
(٢) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجوزي (١/ ٦٠٧).
(٣) التذكرة (١/ ٢٤).
(٤) تفسير التابعين (١/ ٥٢٦).
(٥، ٦) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٥٦.
(٧) الطبقات (١/ ٤٣٠).
(٨) صفة الصفوة (١/ ٦٢٨).
(٩) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٤٧).
(١٠) الطبقات (١/ ٤٣٠).

يريد المرء أن يعطى مناه ... ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي ... وتقوى الله أفضل ما استفادا[١]

وقد جاء في رواية: أن أبا الدرداء رضي الله عنه عندما أراد عمر رضي الله عنه أن يوليه في الشام فأبى، فأصر عليه، فقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إذا رضيت مني أن أذهب إليهم لأعلمهم كتاب ربهم، وسنة نبيهم وأصلي بهم ذهبت، فرضي عمر رضي الله عنه منه بذلك[٢]، ومن إلمام أبي الدرداء بكثير من العلم، ازدادت مكانته في نفوس المسلمين، فاجتمع حوله كثير من طلاب العلم، فمن سائل عن فريضة، ومن سائل عن حساب، وسائل عن حديث، وسائل عن معضلة، وسائل عن شعر[٣]، ولهذا كان أثره العلمي واسعًا في الشام ولا سيما في تعليم القرآن[٤]، وكذلك أثره الوعظي فقد قام في أهل الشام ذات يوم فقال لهم: يا أهل الشام مالكم تجمعون ما لا تأكلون وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون، ألا وإن عادًا وثمودَ، كانوا قد ملأوا ما بين بصرى وعدن أموالاً وأولادًا ونعمًا، فمن يشتري مني ما تركوه بدرهمين[٥]، وقد كانت مثل هذه التعاليم تنسجم مع السياسة العمرية الرامية إلى تهيئة الأمة، وإدامة جاهزيتها الجهادية[٦]، وأما معاذ بن جبل الخزرجي رضي الله عنه فقد استفاد منه أهل اليمن ثم أهل الشام وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يثني على معاذ بن جبل رضي الله عنه، فيحدث أصحابه قائلاً: إن معاذًا ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٠)، قالوا: وما الأمة؟ قال: الذي يعلم الناس الخير، ثم قال: هل تدرون ما القانت؟ قالوا: لا. قال: القانت المطيع لله[٧]، وإن معاذًا كان كذلك، فقد كان ابن مسعود يشبه معاذًا بالنبي إبراهيم الخليل -عليه السلام- لما هو عليه من السمو العلمي والمكانة الفقهية والخلقية، وذلك لما امتاز به معاذ رضي الله عنه من فهم عميق للفقه الإسلامي، أعطاه قدرة على الإجابة عن المعضلات مما أوجد له القبول والإعجاب

(١) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٥٦.
(٢) أصحاب الرسول ﷺ (٢/ ٢٠٩).
(٣) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٥٦.
(٤) المصدر نفسه ص٢٥٦.
(٥) الاكتفاء للكلاعي (٣/ ٣١١).
(٦) الأنصار في العصر الراشدي ص١٢٠.
(٧) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٥٠).

بين المسلمين[١]، قال عنه عمر: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ[٢]، وكان عمر إذا حزبه أمر يستشير أهل الشورى ومعهم من الأنصار: معاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت[٣] لما يتمتعون به من الفقه والتفسير الواقعي والعملي للأحداث، ولما كان لديهم من خبرة في ذلك؛ إذ كانوا يفتون على عهد رسول الله ﷺ: وقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه يحب سماع حديث معاذ وأبو الدرداء، فيقول: حدثونا عن العاقلين، فيقال: من العاقلان؟ فيقول: معاذ وأبو الدرداء الأنصاريان[٤]، ولما خطب الخليفة عمر بن الخطاب بالجابية قال: من كان يريد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل[٥]، وكان رأي عمر في بداية عهد الصديق أن الخلافة لا تستغني عن وجود معاذ بن جبل في عاصمتها وكان معارضًا لخروجه من المدينة، فكان يقول بعد خروج معاذ إلى الشام: لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه، وما كان يفتيهم به، ولقد كنت كلمت أبا بكر أن يحبسه لحاجة الناس إليه، فأبى عليّ وقال: رجل أراد الشهادة فلا أحبسه، فقلت: والله إن الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه وفي بيته عظيم الغنى عن مصره[٦]، ويبدو أن الفاروق غير رأيه فيما بعد فقد أرسله لتعليم أهل الشام وأقرّه على البقاء فيها، وقد كان لخروج معاذ بن جبل إلى الشام أثر كبير لما ترك من العلم والفقه ولما أثبت من جدارة في ذلك، قال أبو مسلم الخولاني: دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي ﷺ وإذا فيهم شاب أكحل العينين برّاق الثنايا ساكت لا يتكلم فإذا امترى القوم في شيء أقبلوا عليه فسألوه، فقلت لجليس لي: من هذا؟ قال: معاذ بن جبل[٧]، وكان معاذ رضي الله عنه يحث على طلب العلم فيقول: تعلموا العلم؛ فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله

---

(١) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٨٥.
(٢) تهذيب الكمال (٢٨/ ١١٣) للمزي نقلاً عن الأنصار في العصر الراشدي.
(٣) الطبقات (١/ ٤٢٦). (٤) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٨٥.
(٥) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٥٢).
(٦) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٨٥، سير أعلام النبلاء (١/ ٢٨٥).
(٧) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٨٥.

لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار أهل الجنة، والأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والدين عند الأجلاء يرفع الله تعالى به أقوامًا، ويجعلهم في الخيرة قادة وأئمة تقتبس آثارهم، ويقتدى بفعالهم وينتهي إلى رأيهم[١]، وقد بقي في الشام يعلم الناس دينهم إلى أن أصيب في طاعون عمواس، فبكاه أصحابه فقال: ما يبكيكم، قالوا: نبكي على العلم الذي ينقطع عنا عند موتك، قال: إن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة، ومن ابتغاهما وجدهما في الكتاب والسنة، فاعرضوا على الكتاب كل الكلام ولا تعرضوه على شيء من الكلام[٢]، فالقرآن عند معاذ هو الميزان الذي يقاس عليه كل شيء ولا يقاس هو على غيره، هذه هي منهجية معاذ في تعليمه للقرآن، بقي متمسكًا بذلك إلى آخر لحظة في حياته، فكان وهو في غمرات الموت كلما أفاق فتح عينيه ثم قال: ربي اخنقني خنقك فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك[٣]، وأما عبادة بن الصامت رضي الله عنه، فقد وجهه عمر الفاروق إلى الشام قاضيًا ومعلمًا، فأقام بحمص، ثم انتقل إلى فلسطين، فولي قضاءها، واستقر به المقام فيها، فكان أول من تولى قضاء فلسطين، وكان أيضًا يعلم أهلها القرآن، وظل على هذا النحو إلى أن مات بها[٤]، وقد أسهم عبادة بنصيب كبير في تنفيذ سياسة الفاروق رضي الله عنه العلمية والتربوية والجهادية، وكان رضي الله عنه من أهل الزهد والخشونة فعندما وصل إلى حمص قال لأهلها: ألا إن الدنيا عرض حاضر، وإن الآخرة وعد صادق . . . ألا وإن للدنيا بنين وإن للآخرة بنين فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل أم يتبعها بنوها[٥]، فهذه المعاني كان عمر رضي الله عنه يحرص على ترسيخها في نفوس المسلمين، ويختار من الصحابة الكرام رضي الله عنهم من يستطيع أن يذكر الناس بها وتتجسد هذه المعاني في سيرته، وكان رضي الله عنه، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا تأخذه في الله لومة لائم، فعندما كان قاضيًا في فلسطين، أنكر على والي الشام شيئًا

---

(١) المصدر نفسه ص٢٨٥، حلية الأولياء (١/ ٢٣٩).

(٢) صفة الصفوة (١/ ٥٠١)، الأنصار في العصر الراشدي ص٨٤ .

(٣) صفة الصفوة (١/ ٥٠١).

(٤) عبادة بن الصامت صحابي كبير وفاتح مجاهد د. وهبة الزحيلي ص٨٤ .

(٥) الاكتفاء للكلاعي (٣/ ٣١٠).

وقال: لا أساكنك بأرض فرحل إلى المدينة، فقال له عمر: ما أقدمك؟ فأخبره، فقال: ارحل إلى مكانك فقبح الله أرضًا لست فيها وأمثالك فلا إمرة له عليك[١]، فعاد إلى الشام داعية ومعلمًا وقدوة في مجتمعه، وبعث عمر رضي الله عنه - أيضًا- عبد الرحمن بن غنم الأشعري إلى الشام يفقه الناس. فمعاذ وأبو الدرداء وعبادة رضي الله عنهم هم الأعمدة الرئيسية التي اعتمد عليها عمر في تأسيس المدرسة الشامية التي قامت بالدعوة والتعليم والتربية في تلك الديار، وكان معهم مجموعة خيرة من الصحابة الكرام، وعلى يد هؤلاء الصحب الكرام تعلم التابعون بالشام، وكانوا كثيرين إلا أن أشهرهم عائذ الله بن عبد الله أبو إدريس الخولاني، ومكحول أبو عبد الله الدمشقي وغيرهم كثير[٢].

### ٦- المدرسة المصرية:

كان في جيش عمرو بن العاص رضي الله عنه الذي فتح مصر الكثير من الصحابة، إلا أننا يمكن أن نعد عقبة بن عامر رضي الله عنه أكثر الصحابة، تأثيرًا في مصر في النواحي العلمية، وقد أحب أهل مصر عقبة، وَرَوَوْا عنه، ولازموه، حتى قال سعد بن إبراهيم: كان أهل مصر يحدثون عن عقبة بن عامر، كما يحدث أهل الكوفة عن عبد الله[٣]، وتلقى المصريون العلم عن الصحابة، وكان من أشهرهم أبو الخير مرثد ابن عبد الله اليزني، فقد أخذ العلم وتتلمذ على يد عقبة، وعمرو بن العاص[٤]، وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم. هذه أهم المدارس التي كان لحركة الفتوحات أثر في نشأتها والتي أشرف على نواتها الأولى الفاروق رضي الله عنه، وقد كان عمر رضي الله عنه إذا اجتمع إليه جيش بعث عليهم رجلاً من أهل العلم والفقه ليعلم الجند أمور دينهم وما قد يعرض لهم من الأمور والأحكام والقواعد الفقهية والقرآن[٥]، وعندما اتسعت الفتوحات الإسلامية احتاجت للمؤسسات العلمية التربوية، بنيت فقد الأمصار الإسلامية مثل الكوفة والبصرة والفسطاط، فبالإضافة إلى كونها قواعد عسكرية ومراكز لتجمع الجند

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٢٢)، الأنصار في العصر الراشدي ص١٢٤.
(٢) تفسير التابعين (١/ ٥٢٦ إلى ٥٢٨).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٥٤٠، ٥٤١).
(٤) حسن المحاضرة (١/ ٢٩٦).
(٥) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (٢/ ٧١٢).

وأسرهم، أصبحت أيضًا مقرًّا لتجمع العلماء والفقهاء والوعاظ(١)، فقد كان الفاروق يعين الدعاة والمعلمين ويرسلهم إلى البلدان المفتوحة، وقد صرح الفاروق بأن من أهم مقاصد بعث الولاة والأمراء إلى الأمصار أن يقوموا بتعليم الناس، فقد خطب الفاروق رضي الله عنه وقال: اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار وإني إنما بعثتهم عليهم ليعدلوا بينهم وليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويقسموا فيهم فيئهم(٢)...، وقد فرض الفاروق الأرزاق من بيت مال المسلمين للمعلمين والمفتين حتى يتفرغوا لأداء مهمتهم في التعليم والإفتاء وحتى الذين يعلمون الأطفال تكفل الفاروق بأرزاقهم، فقد كان بالمدينة ثلاثة معلمين يعلمون الصبيان، فكان عمر يرزق كلاً منهم خمسة عشر (درهمًا) في كل شهر(٣)، فقد كان نشر التعليم من أهم أهداف الخليفة عمر بن الخطاب، فقد أرسل في البوادي والأمصار من يعلمهم دينهم، ولم يكتف عمر رضي الله عنه بجهود ولاة الأمصار في نشر التعليم، بل دعمها بالعلماء الذين كان يرسلهم من المدينة، محملين بوصاياه، فقد بعث عشرة من الصحابة رضي الله عنهم وكان فيهم عبد الله بن مغفل المزني ليفقهوا الناس بالبصرة(٤)، وكذلك بعث عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنه إلى البصرة ليفقه أهلها وكان من فقهاء الصحابة(٥).

ويبدو أن التعليم في الشام كان أكثر مركزية من بقية الأمصار؛ لأن عمر رضي الله عنه لما افتتح البلدان كتب إلى أبي موسى الأشعري، وهو على البصرة، يأمره أن يتخذ للجماعة مسجدًا، ويتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة وشهدوا الجمعة، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص، وهو على الكوفة، بمثل ذلك، وكتب إلى عمرو بن العاص، وهو على مصر، بمثل ذلك، وكتب إلى أمراء أجناد الشام: لا يتبدوا إلى القرى ويتركوا المدائن، وأن يتخذوا في كل مدينة مسجدًا واحدًا، ولا يتخذوا للقبائل مساجد كما اتخذ أهل الكوفة والبصرة ومصر(٦)، فقد اهتم الفاروق بالكرادر العلمية المتخصصة وبعثها إلى الأمصار، وأرشد القادة

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ٧١٢).
(٢) مسلم رقم ٥٦٧.
(٣) رواه البيهقي (٦/ ١٢٤)، السلطة التنفيذية (٢، ٧٦٦).
(٤) عصر الخلافة الراشدة ص٢٧٣.
(٥) المصدر نفسه ص٢٧٣.
(٦) المصدر نفسه ص٢٧٥.

والأمراء- مع توسع حركة الفتوحات- بإقامة المساجد في الأقاليم المفتوحة لتكون مراكز للدين الجديد، ومراكز للعلم والمعرفة ونشر الحضارة الإسلامية، فقد كانت المساجد هي المؤسسات العلمية الأولى في الإسلام، ومن خلالها تحرك علماء الصحابة لتعليم الأمة وفق الخطة الاستراتيجية التي سار عليها الفاروق والتي وضعت منذ عصر النبي ﷺ، وقد وصلت المساجد التي يصلى فيها الجمعة في دولة عمر رضي الله عنه إلى اثني عشر ألف منبر[1]، وكانت تقوم بدورها في تعليم الناس وتربيتهم وتهذيب نفوسهم، وعندما احتاج المسلمون إلى فصل مكان تعليم الصبيان عن المساجد أمر عمر رضي الله عنه ببناء بيوت المكاتب ونصب الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم[2]، وشجع الفاروق الطلاب على تلقي العلوم ويسر سبلها لهم، وأعطاهم المكافآت المالية تشجيعًا لهم، فقد كتب إلى بعض عماله بمنح الجوائز تشجيعًا للمتفوقين، وقد تجلى ذلك في أمره لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بأن يعطي من يتعلم القرآن مما بقي من المال[3]، وهذا التشجيع من الفاروق لأبناء الأمة- الذين إن تفرغوا لتعلم كتاب الله وحفظه فلن يجدوا إلا العون والتشجيع وخصوصًا في الأقاليم التي أهلها حديثو عهد بالإسلام- يفجر الطاقات الكامنة فيها من مقدرة أبنائها على حفظ وفهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد كان رضي الله عنه يهتم بكافة العلوم التي لها علاقة بالقرآن والسنة وخصوصًا اللغة العربية، ومن أقواله في ذلك: تعلموا العربية فإنها تثبت العقل وتزيد في المروءة[4]. وقوله: تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض[5]، وقوله: تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه[6]، وقوله: شر الكتابة المشق[7]، وشر القراءة الهذرمة، وأجود الخط أبينه[8]، بل نجد أن الفاروق يعاقب من يخطئ في العربية وهو في مكان مهم ينبغي أن يكون فيه مجيدًا لما كلف به وتحمله، فقد ورد أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتابًا،

(١) نظام الحكومة الإسلامية (٢/ ٢٦٢).
(٢) السلطة التنفيذية (٢/ ٧٦٨).
(٣) أشهر مشاهير الإسلام (٢/ ٥٤٠، ٥٤١).
(٤) معجم الأدباء (١/ ١٩).
(٥) البيان والتبيين للجاحظ (٢/ ٢١٩).
(٦) ألف باء للبلوي (١/ ٤٢) أولويات الفاروق ص٤٥٨.
(٧) المشق: تطويل الخط بغير إجادة.
(٨) تدريب الراوي للسيوطي ص١٥٢.

فكتب إليه عمر: إن كاتبك الذي كتب إليَّ لحن فاضربه سوطًا[١]، وقد روى ابن الجوزي أيضًا: أن كاتب عمرو بن العاص كتب إلى عمر فكتب: بسم الله، ولم يكتب السين، فكتب عمر إلى عمرو: أن اضربه سوطًا، فضربه عمرو، فقيل له: في أي شيء ضربك؟ قال في سين[٢].

إن الفاروق رضي الله عنه كان حريصًا على إتقان كل شيء، ولذا لم يترك أمراً من الأمور التي تتصل بالسياسة أو الاقتصاد أو الجيوش، أو التعليم، أو الأدب، أو غير ذلك مما يتصل بحياة الأمة ومجدها وعزتها وقوتها وحضارتها إلا أبدع فيه وأعطاه اهتمامه، ويدلنا ذلك على شمولية سياسته وحسن رعايته للأمة باستعمال الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والحفاظ على أن يكون مستوى الكتابة بين الولاة على مستوى الفصحى في أمة دستورها القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين[٣].

كانت خلف المؤسسة العسكرية التي قامت بفتح العراق وإيران والشام ومصر وبلاد المغرب، كوادر علمية وفقهية ودعوية متميزة تربت على يدي رسول الله ﷺ في المدينة، وقد استفاد الفاروق من هذه الطاقات فأحسن توجيهها ووضعها في محلها، فأسست تلك الكوادر الحركة العلمية والفقهية التي كانت مواكبة لحركة الفتح، واستطاع علماء الصحابة الذين تفرغوا لدعوة الناس وتربيتهم أن ينشئوا جيلاً من العارفين بالدين الإسلامي من أبناء المناطق المفتوحة، وقد استطاعوا أن يتغلبوا على مشكلة إعاقة الحاجز اللغوي، بل تعلم الكثير من الأعاجم لغة الإسلام، وأصبح كثير من روّاد حركة العلم بعد عصر الصحابة من العجم، لقد أثرت المدارس العلمية والفقهية في المناطق المفتوحة، وشكلت جيلاً من العلماء نقلوا إلى الأمة علم الصحابة وأصبحوا من ضمن سلسلة السند التي نقلت للأمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويرجع الفضل - بعد الله - في نقل ما تلقاه الصحابة من علم من الرسول ﷺ بالدرجة الأولى إلى مؤسسي المدارس العلمية، بمكة والمدينة، والبصرة، والكوفة، ومصر وغيرها من الأقطار[٤].

---

(١، ٢) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص١٥١ .

(٣) أولويات الفاروق ص٤٥٨ .

(٤) الدور السياسي للصفوة ص٤٦٢ إلى ٤٦٣ .

وقد اهتم الفاروق بأولئك العلماء والفقهاء وتابع أحوالهم وسعيهم، حتى بارك الله في جهودهم وأثمرت تلك الثمار، فأصبحت يانعة.

**ثالثاً: الفاروق والشعر والشعراء:**

يظهر من الأخبار التي وصلتنا أن الحركة الشعرية، كانت نشطة في المدينة أيام عمر ابن الخطاب، حيث لا يخلو كتاب في تاريخ الشعر العربي من ذكر عمر بن الخطاب، وبخاصة في موضوع النقد الأدبي. وانتشار الآراء النقدية في زمنه دليل على وجود السماع أو الرواية، ومعروف أن كتب الأدب لم تعتمد في الأسانيد على الموثوقين من الرواة، ولكنها تكون المصدر الوحيد للأخبار الأدبية والنقدية التي تتصل بالخلفاء الراشدين، والصحابة بعامة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما عدا بعض الأراجيز التي كانت تردد في العهد النبوي وروتها كتب الحديث الشريف[١]، ونحو أبيات للنابغة الجعدي[٢] وأمية بن أبي الصلت وحسان بن ثابت[٣]، فالمراجع في ما يتعلق بالشعر والشعراء في عهد عمر هي كتب الأدب والأدباء، فهي غنية في هذا الباب.

**١- عمر والشعر:**

كان عمر رضي الله عنه أكثر الخلفاء الراشدين ميلاً لسماع الشعر وتقويمه، كما كان أكثرهم تمثلاً به، حتى قيل: كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر[٤]: روي أنه خرج يوماً - وقد لبس برداً جديداً فنظر إليه الناس نظراً شديداً، فتمثل قائلاً:

لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

أين الملوك التي كانت نوافلها ... من كل أوب إليها راكب يفد

حوض هنالك مورود بلا كذب ... لابد من ورده يوماً كما وردوا[٥]

(١) مجمع الزوائد (٨/ ١٢٦). (٢) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/ ٩٨).

(٣، ٤) البيان للجاحظ (١/ ٢٤١)، الأدب في الإسلام. نايف معروف ص١٦٩.

(٥) الأدب في الإسلام د. نايف معروف ص١٧٠.

ويروي الإمام الشافعي - رحمه الله - أن عمر كان يحرك في محسر ويقول:

إليك تغـــدو قلقًا وضينهـــا مخالفًا دين النصـــارى دينهـــا[١]

والبيت لواحد من نصارى نجران أسلم وقد ذهب يحج.

وقيل لامرأة أوسية حكيمة من العرب بحضرة عمر رضي الله عنه: أي منظر أحسن؟ فقالت: قصور بيض في حدائق خضر، فأنشد عمر رضي الله عنه لعدي بن زيد:

كدمُى العـــاج في المحاريـــــب

أو كالبيض في الروض زهره[٢] مستنير

وعن ابن عباس قال: خـرجت مع عمر في بعض أسفاره فإنا لنـسير ليلة، وقد دنوت منه إذ ضرب مقدم رجله بسوطه. وقال:

كذبتم وبَيْتِ الله يُقتل أحمد ونسلمه حتى نُصرَّع حولـه

ولما نطاعــن دونه ونناضـــل ونذهل عن أبنائنا والحلائـل

وقال أيضًا:

وما حملت من ناقة فوق رحلها أبرّ وأوفى ذمـة من محمـــــد

وأكسى لبرد الخـال قبل ابتذالـه وأعطى لرأس السابق المتجـــرد[٣]

ويلاحظ الباحث أن محفـوظ عمر من الشعر - قديمه ومعاصـره- كان طيِّعًا له، مما ينبئ عن حافظة مستـوعبة لمخزونها، مصنفة له؛ إذ كـان على طرف لسانه منه ما يناسب وقائع يومـه في بديهة حاضـرة وحافظة سريعـة، بل إنه حفظ من الشعـر ما صدر عن ضغينة للإسلام، فأسمع حسان بن ثابت ما قالته هند بنت عتبة ضد حمزة والمسلمين[٤]، مما هيج حسان للرد عليها.

وبهذا يمكننا أن نقول: إن عمر كان مرهـف الحس، رقيق الشعور، يتذوق الشعر ويرويه، ويبدي فيه رأيـا صائبًا، بيد أنه لم يكن شاعرًا، كمـا يرى بعض الباحثين، وما قيل من أنه شاعر لا يسلم به النقاد والأدباء المنصـفون؛ لأنه عاش في قومه كتابًا

---

(١) مسند الشافعي ص١٢٢ نقلاً عن عمر بن الخطاب د. أبو النصر ص٢٠٩.

(٢) المصدر نفسه ص٢٠٩، أدب الإملاء للسمعاني ص٧١.

(٣) تاريخ الطبري (٥/٢١٨).

(٤) عمر بن الخطاب ص٢٠٩ محمد أبو النصر.

مفتوحًا، لا يستتر منهم في شيء، وكانت لـه مجالسه التي تجمعه وغيره من الناس، ولو كان لعـمر شعر لـرواه عنه هؤلاء ورددوه وأذاعوه فيمـا بينهم، ووصل إلينا عن طريق الرواة كمـا وصلت إلينا سيـرته وحياته، كـما أن النقـاد الأوائل لم يذكروا أن عمر كان شـاعرًا ، فلم يذكره ابن سلاّم في طبقـاته، ولا ابن قتيبة في كتـابه الشعر والشعراء، كـما لم يذكره الجاحظ في كـتاباته التي عني فيـها بكثير من بلاغـة عمر وأدبه[١]، وقد ذكر المبرد في خـبر عمر ومتمم بن نويرة - في رثـائه الأخير - مالك ابن نويرة قول عـمر لمتمم: لو كنت أقـول الشعر - كـما تقول - لرثيت أخي كـما رثيت أخاك[٢]، وكان رضي الله عنه يحب من الشـعر ما يعبـر عن جوهر الحياة الإسـلامية، ويصور مبادئها، ولا تتـعارض معانيه مع معاني الدين الجديد، أو تغـاير قيمه. وكان يحث المسلمين على تعلم الشـعر الجمـيل فيقول: تعـلموا الشعر فـإن فيه مـحاسن تبتغـى، ومساوئ تُتَّقَى، وحكمة للحكمـاء، ويدل على مكارم الأخلاق[٣]، وكتب لأبي موسى الأشعري واليه على العراق: مُـرْ من قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معـالي الأخلاق، وصـواب الرأي، ومـعرفة الأنـساب[٤]، ولا يقف عند هذا الحد فحسب، بل يراه مفتـاحًا للقلوب ومحركًا لمشاعر الخيـر في الإنسان، فهو يقول في فضـله ونفعـه: أفضل صناعـات الرجل الأبيات من الشـعر يقـدمهـا في حاجـاته، يستعطف بهـا قلب الكريم ويستميل بهـا قلب اللئيم[٥]. ولكي تكتمل تربية الأبناء يوجه الآباء ليرووّا أولادهم محاسن الشعر، فـيقول: علموا أولادكم العوم والرماية، ومروهم فليثـبوا على الخيل وثبًا، وروّوهم ما يجـمل من الشعر[٦]، ويظهر حرص عمـر على الشعر الجـاهلي شديدًا، لما لذلك من صلة بكتاب اللـه حين يقول: عليكم بديوانكم لا تضلّوا. فقال له سامعوه: وما ديواننا؟ قال: شعـر الجاهلية؛ فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم[٧]، وهذا يتفق مع موقف تلميذه ترجـمان القرآن عبد الله بن

---

(١) المصدر نفسه ص٢١٠ .
(٢) الكامل في الأدب (٢/ ٣٠٠).
(٣) أدب الإملاء للسمعاني ص٧١.
(٤) العمدة لأبي رشيق (١/ ١٥).
(٥) الأدب في الإسلام د. نايف معروف ص١٧١ .
(٦) الكامل في الأدب (١/ ٢٢٧).
(٧) المعجم الكبير للطبراني (٧/ ١٢٩)، الأدب الإسلامي ص١٧١.

عباس الذي يقول: إذا قرأتم شيئًا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب[١]. وكان عمر ﷺ يرى أن الشعر كان أصح العلوم عند الجاهليين، فقد ورد أنه قال: كان الشعر علم القوم، ولم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو الروم ولهيت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب في الأمصار، راجعوا رواية الشعر فلم يئولوا إلى ديوان مدون، ولا كتاب مكتوب وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عنهم أكثره[٢].

وقد كان ﷺ يحب من الشعراء من ملأ الإيمان قلبه، وعمر وجدانه بمثل الإسلام الرفيعة، وقيمه السامية، وترجمها شعراً ينم عن التدين الحق، ويصور الأخلاق الفاضلة، التي حث الإسلام عليها، وطالب أتباعه باعتناقها، أما ما عدا ذلك مما يتعارض مع هذه المبادئ وتلك القيم، فإن عمر كان يلفظه ويأباه، ويقف من أصحابه موقفًا متشدداً، يؤازره في ذلك: حسه الرهيف، وذوقه الرفيع، الذي ينفذ إلى أعماق النص الأدبي يكشف عما فيه من قيم شعورية تتمشى مع الإسلام ولا ترفضها تعاليمه[٣].

### ٢- الفاروق والحطيئة والزبرقان بن بدر:

روي أن الشاعر الحطيئة – أبا مليكة – جرول بن أوس من بني قطيعة بن عبس، كان في طريقه إلى العراق فراراً بأهله من الجدب، وطلبًا للعيش، فلقي الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف التميمي السعدي[٤] وكان في طريقه إلى عمر بصدقات قومه، وعرفه الزبرقان فحادثه، وعلم بحاله، فطلب إليه أن ينزل بقومه، وينتظر أوبته، فنزل الحطيئة بهم، لكن بغيض بن عامر بن شماس بن لؤي بن جعفر أنف الناقة، وكان خصمًا للزبرقان، استطاع أن يفسده عليه، وأن يضمه إليه، وأن يغريه

(١) الأدب في الإسلام ١٧١، العمدة لابن رشيق(١/ ١٧).
(٢) طبقات الشعراء ابن سلام (١/ ٢٥)، أدب صدر الإسلام ص٨٧.
(٣) عمر بن الخطاب، محمد أبو النصر ص٢١٨.
(٤) المصدر نفسه ص٢١٩.

بالزبرقـان، فاندفع يهـجوه ويمدح بني أنف الناقـة، وبلغ هجـاؤه قصائد عـدة دفع الزبرقان بن بدر بواحدة منها إلى عمر، يقول فيها الحطيئة:

ما كـان ذنب بغيض لا أبا لكم ... في بائس جاء يحدو آخر الناس

لقد مريتكـم لو أن درتكـم ... يومًا يجيء بها مسحي وإبساسي[١]

إلى أن قال:

دع المكـارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

من يفعل الخير لا يعدم جـوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

ما كان ذنبي أن فلت معاولكـم ... من آل لأبي صفاة أصلهـا راسي

قد ناضلوك فسلوا من كنانتهـم ... مجدًا تليدًا ونبلاً غير أنكـاسي[٢]

ثم رفع أمره إلى عمـر وأتاه به وقال له: هجاني قال: وما قـال لك؟ قال: قال لي: دع المكارم لا ترحل لبـغيتـها... إلخ الأبيات. فـقال عمـر: ما أسـمع هجاء ولكنها معاتبـة، فقال الزبرقان: أو ما تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس؟ فـقال عمر: عليّ بحسان، فجيء به فسأله، فقال لم يهجه، بل سلح عليه، فسجنه عمر[٣] وكان عمر ﷺ أعلم الناس بالشعـر ولكنه هنا في مقام القضاء فاسـتدعى أهل التخصص ليحكموا ثم أصدر بعد ذلك حكمه، ويقول العقاد عن عمر في هذه القضية: (... فنسي أنه الأديب الراوية، ولم يذكر إلا أنه القاضي، الذي يدرأ الحـدود بالشبهات، ولا يحكم بما يعلم دون مـا يعلمه أهل الصنـاعة)[٤]، وحينمـا شعر الحطيـئة بمرارة السجن أخذ يستعطف عمر بأبـيات ينفي ما نُسب إليه، وذلك على طريقة النابغة في اعتذارياته للنعمان بن المنذر، حين يقول:

---

(١) الإبساس: دعاء الناقة بقولهم، بس بس طلباً لإدرارها.
(٢) عمر بن الخطاب، محمد أبو النصر، ص٢٢٠.
(٣) سلح: تغوط، الأدب في الإسلام، ص١٧٢.
(٤) عبقرية عمر، ص٢٤٦.

أعـــوذ بجـــدك إني امـــرؤ سقتني الأعادي إليك السِّجالا
ولا تأخذني بقول الوشــــاة فإن لكل زمــــــان رجالا
فإن كان ما زعمـــوا صادقًا فسيقت إليك نسـائي رجالا[١]
حواسر لا يشتكـــين الوَجَا يُخَضْخِضْن آلا ويرفعـــن آلا[٢]

فلم يستجب عمـر لاعتذاره، حتى قال أبياته العاطفـية المؤثرة الرائعة التي يقول فيها[٣]:

ماذا تقول لأفراخ بذى مـــرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعـــر مظلمة فاغفر عليك ســلام الله يا عمر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقت إليك مقاليد النُّهى البشـر[٤]
لم يؤثروك إذا ما قدمـــوك لها لكن بك استأثروا إذ كانت الأثر
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح تغشاهم بهـا القِرَرُ
أهلي فـــداؤك ما بيني وبينهـــم من عرض داوية تعمى بها الخُبُرُ[٥]

فبكى عمر تأثرًا بما سمعه، وأمر بإطـلاق سراحه، وعملاً على لجم لسانه، فقد اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم. فقال الحطيئة متشاكيًا في ذلك:

وأخذتَ أطراف الكلام فلم تدع شتمًا يضر ولا مديحًا ينفــــع
وحميتني عرض اللئيم فلم يخف ذمي وأصبح آمنًا لا يفــــزع

ويبدو أن الحطيئة لم يقتنع في قرارة نفسه بوجوب هجر الهجاء نهائيًا، فاستدعاه عمر، وأجلســه بين يديه، وهدده بقطع لسانه، فقال الحطيئـة: يا أمير المؤمنين، إني والله قد هجوت أبي وأمي، وهجـوت امرأتي وهجوت نفسي، فتبـسم عمر رضي الله عنه، وعفا عنه[٦]، وانتهى الحطيئـة عن الهجاء في زمن عمر، وهـناك حادثة أخرى مماثلة

(١) رجالا: أي راجلة. (٢) الوجا: الحفا. (٣) الكامل في الأدب (٢/ ٧٢٥).
(٤) النهي: العقل. (٥) الداوية: الفلاة الواسعة. (٦) الكامل في الأدب (٢/ ٧٢٥).

ذكرها صاحب (زهر الآداب) حيث قال: كان بنو العَجلان يفخرون بهذا الاسم ويتشرفون بهذا الوسم إذ كان عبد الله بن كعب جدهم إنما سمّي العجلان لتعجيله القِرَى للضِّيفان. . . فكان شرفًا لهم حتى قال النجاشي- واسمه قيس بن عمرو بن كعب- يهجوهم بقصيدة منها:

أولئك أخوال اللعين وأسرة الهجين ورهط الواهن المتذلّلِ

وما سمي العجلان إلا لقوله خذ العقب واحلب أيها العبد واعْجلِ

وزعمت الرواة أن بني العجلان استعدوا على النجاشي - لما قال هذا الشعر- عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحبسه وقيل جلده[1]، فالخليفة عمر بن الخطاب يعاقب على شعر الهجاء، وليس الأمر كذلك فحسب، وإنما كان يعاقب على أنواع أخرى من الشعر منها: التعرض لأعراض المسلمين، إثارة الشحناء والبغضاء بين المسلمين، التعرض لنساء المسلمين، وقد فصل ذلك الدكتور واضح الصمد[2].

### ٣- الشعر يحول حزم عمر إلى لين وشفقة:

كان أمية بن الأسكر الكناني، وكان سيدًا من سادات قومه، وله ابن اسمه كلاب هاجر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأقام بها مدة، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام فسألهما: أي الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقال له: الجهاد، فسأل عمر فأغزاه في الجند الغازي إلى الفرس. فقام أمية وقال لعمر: يا أمير المؤمنين ، هذا اليوم من أيامي ولولا كبر سني، فقام إليه ابنه كلاب وكان عابدًا زاهدًا، فقال: لكني يا أمير المؤمنين أبيع الله نفسي وأبيع دنياي بآخرتي فتعلق به أبوه وكان في ظل نخل له وقال: لا تدع أباك وأمك شيخين ضعيفين ربياك صغيراً حتى إذا احتاجا إليك تركتهما. فقال: نعم أتركهما لما هو خير لي، فخرج غازيًا بعد أن أرضى أباه فأبطأ، وكان أبوه في ظل نخل له، وإذا حمامة تدعو فرخها، فرآها الشيخ فبكى، فرأته العجوز فبكت، وأنشأ يقول:

---

(١) زهر الآداب للقيرواني (١/ ٥٤)، الأدب في الإسلام ص٩٢.

(٢) أدب صدر الإسلام د. واضح الصمد ص٩٢، ٩٣.

لمن شيخـــان قد نشدا كلابا | كتاب الله لـــو قبل الكتابا
أناديــــه فيعرض في إبـــاء | فلا وأبي كـــلاب ما أصـابا
لذا هتفت حمامــــة بطن وج[1] | على بيضـــاتها ذكرًا كلابـــا
فـــإن مهاجـــرين تكنفـــاه | ففـــارق شيخـه خطئًا وخابا
تركت أبـــاك مرعشــــة يداه | وأمـــك ما تسيغ لهـــا شرابا
تنفض مهـــده شفقًا عليـــه | وتجنبه أبا عــــرها الصعـــابا
فإنك قد تركـــت، أباك شيـــخًا | يطارق[2] أينقًا[3] شربًا[4] طرابا
إذا ارتعشـــن أرقالاً[5] ســراعًا | أثـــرن بكـــل رابيـــة ترابـــا
طويلاً شــــوقه يبكيك فـردًا | على حـــزن ولا يرجو الإيابا
فإنك والتمـــاس الأجر بعدي | كباغي الماء يتبـــع الســـرابا[6]

وكان أمية قد أضر (أي عمي) فأخذه قائده بيده ودخل به على عمر وهو في المسجد فأنشده:

أعاذل قد عذلـــت بغير علم | وما تدرين عـــاذل ما ألاقي
فأما كنت عاذلتي فـــردي | كلابًا إذ توجـــه للعــراق
ولم أقض اللبـانة من كلاب | غـــداة غد وآذن بالفـــراق
فتى الفتيـــان في عسر ويسر | شديد الركن في يوم التلاقي
فلا وأبيك ما باليت وجـدي | ولا شفقي عليـك ولا اشتياقي
وإيفادي عليـــك إذا شتونا | وضمك تحت نحري واعتناقي
فلو فلق الفـؤاد شديد وجد | لَهَمَّ ســـواد قلبي بانفلاق

---

(١) اسم واد بالطائف. (٢) يطارق: يضرب. (٣) أينقًا: جمع ناقة.
(٤) شربًا: ضامرة. (٥) الإرقال: السير السريع (٦) عمر بن الخطاب، محمد أبو النصر ص٢٢٦.

سأستعـــدي على الفاروق ربًّا ... له دفع الحجيـــج إلى بساق[١]
وأدعو الله مجتهـــــدًا عليـه ... ببطن الأخشبين[٢] إلى دقـاق[٣]
إن الفـــاروق لم يردُد كلابًا ... على شيخين هامهمـــا زواق[٤]

فبكى عــمر بكاءً شديدًا وكتب إلى أبي مـوسى يأمره بإشخاص كـلاب، فرحّله على الفور. فقدم على عمر، فأمر به فأدخل ثم أرسل إلى أميّة، فتحدث معه ساعة ثم سأله ما أحب الأشياء إليه في يومه، فـقال: كلاب أحب أنه عندي فأشمه، فأمر بكلاب فـأخرج إليه. فـوثب الشيخ، فـجعل يشمّ ابنـه ويبكي، وجعل عـمر ﷺ يبكي[٥]، والحاضرون كذلك وقـالوا لكلاب: الزم أبويك فجاهد فيهمـا ما بقيا، ثم شأنك بنفسك بعدهما، وأمر له بعطائه، وصرفـه مع أبيه، وتغنت الركبان بشعر أبيه فبلغه، فأنشأ يقول:

لعمرك ما تركت أبا كـــلاب ... كبير الســـن مكتئبًا مصـــابا
وأمًّا لا يزال لهـــا حنـــين ... تنادي بعد رقدتهـــا كـــلابا
لكسب المال أو طلب المعالي ... ولكني رجـــوت بـه الثوابا

وكان كلاب من خيار المسلمين فلم يزل مقيمًا عندهما حتى ماتا[٦].

وهناك حادثة مشابهـة حيث هاجر شيبان بن المخبل السعـدي (الشاعر المعروف) وخرج مع سـعد بن أبي وقاص لحـرب الفرس، فجـزع عليه والده (المخبل) جـزعًا شديدًا، وكان قد أسنَّ وضعف، فلم يملك الصبر عنه، فأنشد قصيدة يقول فيها:

أيهلكني شيبـــان في كلِّ ليـــلة ... لقلبي من خـــوف الفـــراق وجيبُ
فإني حنت ظهري خطوب ألا ترى ... أرى الشخص كالشخصين وَهْوَ قريب
ويخبرني شيبـــــان أن لن يعقّني ... تَعُـــقُّ إذا فارقتنـــي وتحـــــوب[٧]
فلا تُدخلَنَّ الدهر قبـرك حـوبـةً ... يقـــــوم بها يومًا عليـــك حسيب[٨]

---

(١) جبل عرفات. (٢) جبلان بمكة. (٣) موضع. (٤) زواق: أشرف على الموت.
(٥) الأدب الإسلامي د. نايف معروف ص ١٨٠ . (٦) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص٢٢٨ .
(٧) تحوب: تأثم. (٨) الحوبة: الذنب.

فلما سمعها عمر رق له وبكى، وكتب إلى سعد بأن يرجع شيبان، فرده إلى أبيه[١]، ولم تكن هذه الحادثة هي الأخيرة من نوعها حيث يتأثر عمر بالشعر بل يُذكر له حوادث مماثلة منها: هاجر خراش بن أبي خراش الهذلي في أيام عمر بن الخطاب، وغزا مع المسلمين فأوغل في أرض العدو فقدم أبو خراش المدينة، فجلس بين يدي عمر وشكا إليه شوقه إلى ابنه وأنه رجل قد انقرض أهله وقتل إخوته، ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خراش، وقد غزا وتركه، وأنشأ يقول:

ألا من مبلغ عني خراشًا ... وقد يأتيك بالنبأ البعيد
وقد تأتيك بالأخبار من لا ... تجهز بالحذاء ولا تزيد
تناديه ليعقبه كليب ... ولا يأتي لقد سفه الوليد
فرد أناءة لا شيء فيه ... كأن دموع عينيه الفريد
وأصبح دون غابقة وأمسى ... جبال من جرار الشام سود
ألا فاعلم خرش بأن خير ... المهاجر بعد هجرته زهيد
رأيتك وابتغاء البِرِّ دوني ... كمخضوب اللبان ولا يصيد[٢]

فتأثر عمر، وكتب بعودة خِراش إلى أبيه، وأمر بأن لا يغزو من كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذن له[٣].

وهكذا نلاحظ تأثر أمير المؤمنين بالشعر، ولشدة تأثره يبكي، وهو الذي اشتهر بالشدة والحزم، وهذا يدل على إحساسه المرهف وشعوره الإنساني، حيث يشارك الآباء العاجزين توقهم وحاجتهم إلى أبنائهم، وكذلك يشارك كل إنسان مظلوم أو مغلوب على أمره، ما ينتابه من أحاسيس ومشاعر وقد مرّ معنا موقفه من شعر الهجاء[٤].

### ٤ - نزعة النقد الأدبي عند عمر:

كان عمر بن الخطاب من أشد الناس تأثرًا برسول الله ﷺ حتى في نظرته إلى

---

(١) أدب صدر الإسلام، ص (٩٠).
(٢) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص ٢٣٠.
(٣) الأغاني للأصفهاني (١٣/ ١٨٩).
(٤) أدب صدر الإسلام ص ٩٠.

الأدب، وفي حكمه على الشعر والشعراء، وقد أثرت عنه آراء وأحكام نقدية لنصوص أدبية كثيرة، ومعظم هذا المروي - نقل عنه - وهو خليفة - أي في السنوات العشر الأخيرة من حياته، وهي آثار تصور في جملتها مدى تقديره للأثر الأدبي عندما تكتمل له (نظرية الكمال) التي يراها عمر، والتي هي لديه نتاج ثقافة العمر في تلك المرحلة الناضجة، لذا ينبغي أن نحيط بالروافد التي أصقلت حسه النقدي، ونمت ملكة النقد عنده واضعين في الاعتبار حياته بشطريها الجاهلي والإسلامي على هذا النحو:

- كان عمر في جاهليته واحدًا من المسئولين عن صيانة القيم الجاهلية، وكانت له مكانته في قريش، وقريش آنذاك محط أنظار العرب وملتقى أفئدتهم، وكان كذلك في الإسلام في عصر الخلافة.

- كان عمر خبيراً بالشعر العربي جاهليه وإسلاميه، مستوعبًا لما قاله المشركون والمرتدون وأعداء الإسلام من شعر ضد هذا الدين الحنيف.

- كان عمر عليمًا بأحوال العرب في الجاهلية والإسلام - عقيدة وتاريخًا وأنسابًا وسلوكًا وعلمًا، وقد أنار له علمه بهذه الأشياء طريق نقد الكلام وإبداء الرأي فيه.

- حرص عمر منذ نشأته على غشيان المجالس الأدبية، التي لم تخل من المسامرة وإنشاد الشعر ومطارحة الأدب وتذوقه وإبداء الرأي فيه، حتى إذا أسلم عمر أصبح يَعُدُّ مجالسة الرجال، الذين ينتقون أطايب الحديث كما ينتقى أطايب الثمر، إحدى ثلاث ترغبه في الدنيا بعد الصلاة والجهاد في سبيل الله، كما كان عمر واحداً من سمار النبي ﷺ، وقد أقام وهو خليفة رحبة في ناحية المسجد سميت البطحاء كان يرتادها محبو الشعر وطلابه[1].

- كان لعمر صاحب رسول الله ﷺ القدح المعلى والنظر الثاقب والألمعية الهادفة، والذكاء الخارق المصحوب بالإلهام، والشفافية المبصرة، مما يجعله يصيب المعنى فلا يكاد يخطئه، وهو بجانب ذلك موفور الإحساس بما يقرأ أو يسمع، شديد التذوق للنص الأدبي وما احتوى عليه من قيم جمالية أو شعورية، وذلك لفرط

---

(١) عمر بن الخطاب، د. محمد أبو النصر ص٢٤٤.

إحساسه به وإدراك كنهه وغاياته[١]، فقد كان ﷺ تأخذ المعاني الهادفة بمجامع قلبه، فترضى بها نفسه، ويفصح عن إعجابه بها وتقديره، فقد روي أن متمم بن نويرة رثا أخاه مالكًا، الذي لقي حتفه على يدي جنود خالد بن الوليد في حروب الردة، فلما انتهى متمم إلى قوله:

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه حلو شمـــائله عفيف المئزر

قام إليــه عمر فـقال: لوددت أني رثيت أخي زيد بن الخطاب بمـثل ما رثيت به مالكًـا أخاك: فقـال له: يا أبا حفص، والله لو عـلمت أن أخي صار بحـيث صار أخوك ما رثيته. فقال عمر: ما عزاني أحد بمثل تعزيتك[٢].

ومن هذا المنطق في فهم النص وتقدير حيويته، كان عمر يرتفع بقيمة النص الأدبي البليغ، ويسمو به، إلى منزلة لا تدانيها قيمة كنوز الدنيا الفانية، روي عنه ﷺ أنه قال لبعض ولد هرم بن سنان: أنشدني بعض ما قال فيكم زهيـر، فأنشده، فقال: لقد كان يقول فيكم فيحسن، فقال: يا أمير المؤمنين، إنا كنا نعطيه فنجزل، فقال عمر: ذهب ما أعطيتمـوه وبقي ما أعطاكم[٣] هذه هي الروافد التي غذت ذوق عـمر النقدي وصقلت ملكته الناقدة، وجعلته يتبوأ هذه المكانة الأدبية في عصر صدر الإسلام[٤].

وأما المقاييس التي أخـذها عمر في إيثاره نصًا على نص، أو تقديمه شاعرًا على غيره، فإنها مقاييس الشكل وهي:

- **سلامة العربية:** فقد كان ذوقه مطبوعًا على سلامة الفصحى وصحتها، يتأفف من اللحن، وينفر منه، وكان اللحن في العبارة كـافيًا لأن يسقط النص ويرفضه، بل ويعاقب من يقع منه اللحن[٥].

---

(١) المصدر نفسه السابق ص٢٤٦.

(٢) المصدر نفسه ص٢٤٧، الكامل للمبرد (٢/ ٣٠٠).

(٣) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢ / ١٠٦)..

(٤) عمر بن الخطاب، محمد أبو النصر ص٢٤٨ .

(٥) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص٢٤٨ .

- أنس الألفاظ والبعد عن المعاظلة والتعقيد:

روي أن عمر ﷺ كان يقدم زهيرًا، ويستحسن شعره، ويعلل لهذا الاستحسان، بأنه كان لا يعاظِلُ بين الكلام ولا يَتْبَعُ وحشيَّه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه[1] والمعاظلة: أن يعقد الكلام ويوالي بعضه فوق بعض حتى يتداخل ويغمض، وحوشي الكلام: وحشيّه وغريبه[2]، وهذا الأثر يوضح أصول الشعر الذي يرضى عنه الإسلام: وهو الشعر الواضح المعنى، القريب المفردات، الصادق البعيد عن المبالغة.. لأن الشعر يدعو إلى قضية، ويخاطب جمهور الناس، ولابدّ أن يكون مفهومًا[3]، والجدير بالذكر أن علماء البلاغة، الذين دونوا أصول هذا العلم فيما بعد، لم يخرجوا في مباحثهم عن فصاحة المفرد وبلاغته والكلام وفصاحته، عما قال عمر في هذا الصدد، اللهم إلا ما اقتضاه التصنيف من منهج وتنظيم وتبويب عند بعضهم[4].

- الوضوح والإبانة:

فقد كتب إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ: أنه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به، قلة علمي بما هجتم عليه، والذي استقرّ عليه أمر عدوكم، فصف لنا منازل المسلمين، والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر إليه، واجعلني من أمركم على الجلية[5].

وهذه الكلمة الأخيرة (واجعلني من أمركم على الجلية) تبين بجلاء إيثار عمر الوضوح والإبانة في الكلام، كما تصور إيثاره الصدق فيه، وهذا مقياس نقدي دقيق كما كتب إلى كل قضاته يناشدهم الإيضاح في التعبير عن فهم مسائل القضاء:... الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك، وقال عن أمر أراد أن يخطب فيه: وكنت رويت مقالة أعجبتني. وهكذا يرى عمر أن الكلمة وسيلة إفهام وأداة هدي وبيان، وليست سبيلاً إلى الإغراب والتعمية، ومن ثم أنكر التشادق والتقعر[6].

(١-٣) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢/١٠٢).
(٤) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص٢٥٠ .
(٥) مجموعة الوثائق السياسية ص٤١٤ .
(٦) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص٢٥١ .

- أن تكون الألفاظ بقدر المعاني:

ومن مأثور كلامه من ذلك قوله: إياك والمكابلة[١]. قال الإمام الدارمي: يعني في الكلام أي: المزايدة فيه، فعمر إذن يريد البعد عن فضول القول؛ لأنه ضياع لمضمون الفكرة وتبديد لها ولا يخلو من تكرار ممل وترداد مكروه، فوق كونه يفقد روعة النص ويذهب بجماله[٢]، قال عمر رضي الله عنه: إن شقائق الكلام من شقائق اللسان فأقلوا ما استطعتم[٣].

- جمال اللفظة في موقعها:

كان رضي الله عنه ينفر من اللفظة التي أقحمت في غير مكانها المناسب؛ لأنها تشين المعنى وتذهب برونق الكلام وبهائه، ومن ذلك قوله لسحيم عبد بني الحسحاس بصدد تعقيبه على بيت، له يقول فيه:

عميرة ودع أن تجهزت غاديًا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيًا

فقال عمر رضي الله عنه: لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك؛ وذلك لأن عمر أدرك بذوقه، الذي صقله الإسلام ونماه، أن الإسلام في نفس المؤمن، أقوى زجرًا من قبل الشيب ومن بعده.. وجدير به أن يقدم في النص تمشيًا مع أهميته وتأثيره في النفوس، وهذا ما نأى عنه البيت[٤].

- حسن التقسيم:

كما كان عمر يعلن عن إعجابه الشديد بما في البيت من جمال فني يرضي الأذواق والعقول على السواء ويترجم هذا الإعجاب في ترديده البيت، ترديدًا ينم عن حسن تذوق، وعمق إحساس بما في النص من جمال. ومما يدل على ذلك ما روي من أن عمر أُنشد قصيدة عبدة بن الطيب، التي أولها:

---

(١) سنن الدارمي (١/ ٩) نقلاً عن عمر بن الخطاب، أبو النصر ص٢٥٢ .
(٢) عمر بن الخطاب، أبو النصر ص٢٥٢ .
(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد (٣/ ١١٢).
(٤) المدينة النبوية، شرّاب (٢/ ١٠٢)، عمر بن الخطاب، أبو النصر ص٢٥٣ .

هل حبل خولة بعد الهجر موصول ... أم أنت عنها بعيد الدار مشغـــول

فلما بلغ المنشد قوله:

والمرء ساع لأمر ليس يدركـــــه ... والعيش شـح وإشفـاق وتأميل

قال عمر متـعجبًا: والعيش شح وإشفاق وتأميل، يعجبـه من حسن ما قسم وما فصل[١].

ولما أنشد عمر قول زهير بن أبي سلمى:

فإن الحـق مقطعـــه ثلاث ... يمين أو نفـــــار أو جـلاء

فذلكـــم مقاطـــع كل حق ... ثلاث كلهن لكم شفـــــاء[٢]

فهو يريد أن الحقوق إنما تصح بواحدة من هذه الثلاث: يمين أو محاكمة أو حجة بينة واضحة، وسُمِّي زهيـر (قاضي الشعراء) بهذا البيت. فكان عـمر رضي الله عنه يتعجب من معرفة زهير لمقاطع الحق مع أنه جاهلي، وقد جاء الإسلام وأكد تلك المقاطع[٣].

وهناك مقاييس أخـرى كان عمر يؤثرها في مضمـون الأدب، ويوجه بها الأدباء وجهة جديدة، تنبع من الدين والخلق، ويمكن أن تضاف إلى المقاييس الفنية السابقة، حـتى يمكن أن تعطي القـارئ تصورًا لمقـاييس نقد الأدب فـي عصـر عمـر ممثلة في تعبيراته ومأثوراته منها: الصدق في التـرجمة عن الخواطر وتصوير العواطف النبيلة، كان مما يستـحسنه عمر وينال إعـجابه، وعنصر الصدق هذا هو الذي جـعله يعجب إعجابًا شديدًا بقصيدة المخبل السعـدي، وأمية بن الأسكر الكناني كما كان عمر يؤثر في المعنى أن يكون جـديدًا مبـتكرًا يناسب الدين ويتمـشى مع أخلاقـه وآدابه، وأن يصاغ هذا المعنى صياغة محكمة، وأن يعبر عنه في تصوير جميل وبيان حسن، وكان عمر يؤثر في المعنى فـوق صدقه وابتكاره، أن يكون موائمًا لمقـاييس الدين الخلقية، بحيث لا يتـورط الشاعر في هجـاء ذميم أو سباب فـاضح، أو نهش للأعراض، أو

(١) البيان والتبيان (١/ ٢٤٠)، المدينة النبوية شرّاب (٢/ ١٠٥).

(٢) عمر بن الخطاب، أبو النصر ص٢٥٤ . (٣) أدب صدر الإسلام ص٩٦ .

الانكباب على وصف الشراب وتصوير سورة الخمور أو غير ذلك مما ينبئ عن ضعف العقيدة وفساد الخلق، وقد سبق أن ذكرت موقفه من الحطيئة وسحيم، ومن كان على شاكلتهما من الشعراء(١).

ومما يتصل بنقده هذا ما روي من أن النعمان بن عدي قد عينه عمر على ميسان(٢)، فذهب إليها، وامتنعت زوجته عن أن ترافقه، فأراد أن يبعث في نفسها الرغبة في صحبته، بما يعرف عن غيرة النساء، فكتب إليها بأبيات من فضل القول، لا تمثل حقيقة في قليل أو كثير هي:

فمن مبلغ الحسناء أن حليلها ... بميسان يُسقى في زجاج وحنتم
إذا شئت غنتني دهاقين قرية ... وصناجة تحدو على كل ميسم
إذا كنت ندماني فبالأكبر اسقني ... ولا تسقني بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه ... تنادمنا في الجوسق المتهدم

فلما سمعها عمر ﷺ قال: وايم الله لقد ساءني، ثم عزله. ولا غرابة فيما فعل عمر من عزله النعمان؛ لأن النعمان كان أمير قوم وإمامهم في الصلاة، وقدوتهم في الحياة، وهذا الشعر وإن لم يمثل حياة رجل كان من أهل الهجرة الأولى، لكنه يتعارض مع قيم هذا الدين، وتأباه تعاليمه، ومن ثم رفضه عمر، وعاقب قائله(٣).

هذه هي أبرز الملامح والنزعات النقدية التي تميز بها نقد عمر بن الخطاب ﷺ، والتي تدل على أصالة النقد الأدبي في أطوار نشأته الأولى، كما تبين منزعه واتجاهه، حيث لم يعتمد على الذوق وحده في تقويم الأدب والحكم عليه، وإنما جنح إلى لون من الموضوعية الدقيقة في شرح النص، وتبيان جماله أو قبحه والتعليل لما يستجاد أو يستهجن من نماذجه، وسيظل النقد العربي مدينًا لعمر ما عاش يتوخى

(١) عمر بن الخطاب أبو النصر، ص٢٥٥-٢٦٢ .
(٢) ميسان: بلدة في العراق كثيرة القرى والنخل تقع بين البصرة وواسط.
(٣) عمر بن الخطاب، د. محمد أبو النصر ص٢٦٣ .

في النص سلامة العـربية، وبلاغة عبارتها، واسـتقلال المعنى بحظه التام من التعـبير وصدق التكوين وحسن التصوير ووضوحه، وهذه مقاييس نقدية دقيقة لا يختلف مع عمر فيـها ناقد أصيل[1]، ويطول بنا القول لو اسـترسلنا في بيان ثقافـة هذا الخليفة العظيم ومقدرته على تذوق الشعر ونقده والحكم علـيه؛ فإن ذلك يحتاج إلى فصول طويلة، ومن خيـر الكتب التي ترضي حاجة النفس فـي هذا الباب كتاب: عـمر بن الخطاب للدكـتور مـحمد أبـو النصر، والأدب الإسـلامي في عهـد النبوة وخـلافة الراشدين للدكـتور نايف مـعروف، وأدب صدر الإسـلام للدكتور واضح الصـمد، والمدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي للأستاذ: محمد حسن شُرَّاب.



(١) المصدر السابق ص٢٦٥ .

# ▪ الفصل الرابع ▪

# المؤسسة المالية والقضائية وتطويرها في عهد عمر رضي الله عنه

## المبحث الأول: المؤسسة المالية

### أولاً: مصادر دخل الدولة في عهد عمر رضي الله عنه:

نظر المسلمون في العصر الراشدي إلى المال بكل أشكاله وأنواعه بأنه مال الله، وبأن الإنسان مستخلف فيه، يتصرف فيه بالشروط التي وضعها المولى -عز وجل-، والقرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة في كل أمر يتعلق بالمال وإنفاقه فيقول: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد،آية:٧)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة،آية:٢٥٤)، وقوله تعالى يتحدث عن البر وهو جماع الخير: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ (البقرة،آية:١٣٧) وإيتاء المال اعتراف من المسلم -ابتداء- بأن المال الذي في يده هو رزق الله له: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ لأنه خلقه هو، ومن هذا الاعتراف بنعمة الرزق انبثق البر بعباد الله[1]، وعلى هذا الأساس الإيماني نظر الفاروق إلى مال الدولة التي توسعت مواردها في عصره؛ حيث فتحت الدولة بلدانًا واسعة، وخضعت لحكمها شعوب كثيرة، فنظم علاقة الدولة مع هذه الشعوب، فمنهم من دخل في حكم الدولة صلحًا، ومنهم من دخل في حكمها كرهًا، وتبعًا للفتح آلت إليها أرض غلبت عليها عَنْوة (بقوة السلاح)، وأراضٍ صالح أصحابها، وأرضٌ جلا عنها مالكوها أو كانت ملكًا لحكام البلاد السابقين ورجالهم، ومن شعوب هذه البلاد كتابيون (أهل كتاب كاليهود والنصارى) نظم الفاروق طريقة التعامل معهم وفق شرع الله المحكم، وقد قام عمر رضي الله عنه بتطوير النظام المالي في دولته سواء في الموارد أو الإنفاقات أو ترتيب حقوق الناس من خلال نظام الدواوين، وقد أخذت موارد الدولة

---

(١) دراسات في الحضارة الإسلامية، أحمد إبراهيم الشريف ص٢٥٣.

تزداد في عصر عمر رضي الله عنه، وشرع في تطويرها، ورتب لها عمالاً للإشراف عليها، فكانت أهم مصادر الثروة في عهده: الزكاة، والغنائم، والفيء، والجزية، والخراج، وعشور التجار، فعمل الفاروق على تطوير هذه المصادر واجتهد في قضايا وفق مقاصد الشريعة التي وضعت لمصالح العباد، فقد أخذت الدولة تستجد فيها ظروف لم تكن موجودة في عهد رسول الله ﷺ[(١)]، وكان عمر رضي الله عنه منفذًا للكتاب والسنة تنفيذًا عبقريًّا، لا يستأثر بالأمر دون المسلمين، ولا يستبد بالرأي في شأن من الشئون، فإذا نزل به أمر جمع المسلمين يستشيرهم ويعمل بآرائهم[(٢)]، وأما أهم مصادر الثروة في عهد الفاروق فهي الآتي:

### ١- الزكاة:

هي الركن الاجتماعي البارز في أركان الإسلام، وأول تشريع سماوي إسلامي، فرض في أموال أغنياء المسلمين؛ لتؤخذ منهم، وترد إلى الفقراء، بحسب أنصبتها المعروفة في الزروع والثمار، والذهب والفضة وعروض التجار والماشية؛ ليكون هناك نوع من التضامن والتكافل الاجتماعي، والمحبة والألفة بين الأغنياء والفقراء، فالزكاة تكليف يتصل بالمال، والمال كما يقولون عصب الحياة، فمن الناس سعيد بالمال ومنهم شقي به، وهذه سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ونظرًا لما للمال من أثر في حياة الناس فقد عني الإسلام بأمره أشد العناية، واهتم بالزكاة غاية الاهتمام ووضع لها نظامًا دقيقًا حكيمًا رحيمًا، يؤلف بين القلوب[(٣)]، ولذلك سار الفاروق على نهج رسول الله ﷺ وأبي بكر، فقام بتنظيم مؤسسة الزكاة، وتطويرها، فأرسل المصدّقين لجمع الزكاة في أرجاء الدولة الإسلامية بعد أن أسلم الكثير من سكان البلاد المفتوحة، وكان العدل في جباية الأموال صفة الخلافة الراشدة، دون الإخلال بحقوق بيت المال، وقد أنكر الفاروق على عامل من عمال الزكاة أخذه لشاة كثيرة اللبن ذات ضرع عظيم، قائلاً: ما أعطى هذه أهلها وهم طائعون، لا تفتنوا

---

(١) المصدر السابق نفسه ص٢٥٤.

(٢) مبادئ النظام الاقتصادي الإسلامي د. سعاد إبراهيم صالح ص٢١٣.

(٣) سياسة المال في الإسلام في عهد عمر بن الخطاب، عبد الله جمعان السعدي ص٨.

الناس[١]، وقد جاء ناس من أهل الشام إلى عمر، فقالوا: إنا قد أصبنا أموالاً وخيلاً ورقيقًا نحب أن يكون لنا فيها زكاة وطهور قال عمر: ما فعله صاحباي قبلي فأفعله، واستشار أصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم عليٌّ، فقال عليٌّ: هو حسن، إن لم يكن جزية راتبة يؤخذون بها بعدك[٢]، وقد ذكر الدكتور أكرم ضياء العمري: أن الصحابة اقترحوا على عمر فرض الزكاة على الرقيق والخيل بعدما توسعت ملكية الرقيق والخيل في أيدي المسلمين، فعدَّ عمر الرقيق والخيل من أموال التجارة وفرض على الرقيق الصبيان والكبار دينارًا (عشرة دراهم) وعلى الخيل العربية عشرة دراهم وعلى البراذين (الخيل غير العربية) خمسة دراهم، ويفهم أنه لم يفرض الزكاة في رقيق الخدمة والخيل المعدة للجهاد لأنها ليست من عروض التجارة، بل إنه عوَّض من يدفع زكاتهما كل شهرين جريبين (حوالي ٢٠٩ كيلو غرامًا من القمح) وهو أكثر قيمة في الزكاة، وذلك لحديث رسول الله ﷺ: (ليس على المسلم في فرسه ولا عبده صدقة)[٣]، وقد أخذ من الركاز (المال المدفون) -إذا عثر عليه- الخمس، وحرص على تداول الأموال وتشغيلها لئلا تذهب بها الزكاة مع تعاقب الأعوام[٤]، فكان عنده مال ليتيم فأعطاه للحكم بن العاص الثقفي ليتجر به[٥]؛ إذ لم يجد عمر وقتًا للتجارة لانشغاله بأمور الخلافة، وعندما صار الربح وفيرًا من عشرة آلاف درهم إلى مائة ألف شك عمر في طريقة الكسب، ولما علم أن التاجر استغل صلة اليتيم بعمر رفض جميع الربح واسترد رأس المال حيث اعتبر الربح خبيثًا[٦]، فهو يعمل بمبدأ فرضه على ولاته وهو رفض استغلال مواقع المسئولية في الدولة، ومن هنا قاسم الولاة ثروتهم إذا نمت بالتجارة[٧]، وسيأتي بيان ذلك عند الحديث عن الولاة بإذن الله تعالى، وقد أخذ عمر في زكاة الزروع العشر فيما سقته الأمطار والأنهار،

---

(١) الموطأ (١/ ٢٥٦)، عصر الخلافة الراشدة ص١٩٤.

(٢) الموسوعة الحديثية مسند أحمد رقم ٨٢، إسناده صحيح.

(٣) صحيح الترمذي (١/ ١٩٦) وقال الترمذي: والعمل عليه عند أهل العلم.

(٤) عصر الخلافة الراشدة ص١٩٤، ١٩٥.

(٥) عصر الخلافة الراشدة ص١٩٥، الأموال لابن زنجويه (٣/ ٩٩٠) الأثر صحيح.

(٦) الأموال أبو عبيد ص٤٥٥ والأثر صحيح نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ص١٩٥.

(٧) عصر الخلافة الراشدة ص١٩٥.

ونصف العشر فيما سقي بالآلة[(١)]، وهو الموافق للسنة، وكان يوصي بالرفق بأصحاب البساتين عند تقدير الحاصل من التمر[(٢)]، وأخذ زكاة عشرية من العسل إذا حمت الدولة وادي النحل لمستثمره[(٣)]، وقد كثرت الحنطة في خلافته، فسمح بإخراج زكاة الفطر من الحنطة بنصف وزن ما كانوا يؤدونه قبل خلافته من الشعير أو التمر أو الزبيب[(٤)]، وهذا فيه تيسير على الناس، وقبول للمال الأنفس في الزكاة وإن تفاوت الجنس[(٥)]، وأما بخصوص مقادير أموال الزكاة التي كانت تُجبى كل عام فأمر غير معروف، والإشارات التي تذكر بعض الأرقام إشارات جزئية وغير دقيقة، ولا تنفع في إعطاء تقدير كلي، وقد قيل: إن عمر بن الخطاب حمى أرض الربذة لنعم الصدقة، وكان يحمل عليها في سبيل الله، وكان مقدار ما يحمل عليه كل عام في سبيل الله أربعين ألفًا من الظهر[(٦)]، وأما الموظفون الذين أشرفوا على هذه المؤسسة فقد ذكرت المصادر أسماء عدد منهم في خلافة عمر رضي الله عنه، وهم: أنس بن مالك، وسعيد بن أبي الذباب على السراة، وحارث بن مضرب العبدي، وعبد الله بن الساعدي، وسهل بن أبي حثمة، ومسلمة بن مخلد الأنصاري، ومعاذ بن جبل على بني كلاب، وسعد الأعرج على اليمن، وسفيان بن عبد الله الثقفي كان واليًا على الطائف فكان يجبي زكاتها[(٧)].

### ٢- الجزية:

هي الضريبة التي تفرض على رءوس من دخل ذمة المسلمين من أهل الكتاب[(٨)]، وقيل هي الخراج المحمول على رءوس الكفار إذلالاً لهم (وصغارًا) [(٩)]؛ لقوله

---

(١) المصنف (٤/ ١٣٤، ١٣٥) والأثر صحيح نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ص١٩٥.
(٢، ٣) عصر الخلافة الراشدة ص١٩٥ والأثر صحيح.
(٤) المصدر نفسه ص١٩٦ والأثر صحيح.
(٥) فتح الباري (٣/ ٣١٣) نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ص١٩٦.
(٦) الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى د. محمد بطاينة ص١٠٤.
(٧) عصر الخلافة الراشدة ص١٩٦، ١٩٧.
(٨) السياسة الشرعية لابن تيمية ص١١٣، ١١٤؛ المعاهدات في الشريعة د. الديك ص٣١٣.
(٩) أهل الذمة في الحضارة الإسلامية حسن المِمّي ص٣٩.

تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة، آية: ٢٩).

وتؤخذ الجزية من أهل الكتاب: وهم اليهود والنصارى وهو إجماع لا خلاف فيه ومن لهم شبهة كتاب: وهم المجوس، وقد حار عمر رضي الله عنه في أمرهم في أول الأمر، أيأخذ منهم الجزية؟ أو لا يأخذها؟ حتى قطع عبد الرحمن بن عوف حيرته حين حدّثه أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر[1]، فقد روى ابن أبي شيبة وغيره أن عمر كان بين القبر والمنبر فقال: ما أدري ما أصنع بالمجوس، وليسوا بأهل كتاب، فقال عبد الرحمن بن عوف: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سُنّوا بهم سُنّة أهل الكتاب[2]، وفي حديث آخر أن عمر لم يرد أن يأخذ الجزية؛ من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر[3]، وقد علل العلماء أخذها من المجوس بأنهم كانوا في الأصل أهل كتاب، وإنما طرأت عليهم عبادة النار بعد ذلك، وعندئذ أخذها من أهل السواد[4] وأخذها من مجوس فارس وكتب لجزء بن معاوية: انظر مجوس من قِبَلك فخذ منهم الجزية فإن عبد الرحمن بن عوف أخبرني أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر[5]، وهي تجب على الرجال الأحرار العقلاء، ولا تجب على امرأة ولا صبي ولا مجنون ولا عبد لأنهم أتباع وذراري، كما أن الجزية لا تؤخذ من المسكين الذي يتصدق عليه ولا من مقعد، والمقعد والزَّمِن إذا كان لهما يسار أخذت منهما، وكذلك الأعمى وكذلك المترهبون الذين في الديارات، إذا كان لهم يسار أخذ منهم، وإن كانوا مساكين يتصدّق عليهم أهل اليسار لم يؤخذ منهم[6] وتسقط الجزية بالموت، فإذا مات من تجب عليه الجزية سقطت الجزية؛ لأن الجزية واجبة على الرءوس، فإذا فاتت الرءوس بالموت سقطت،

---

(١) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٢٣٥.

(٢) المصدر نفسه ص٢٣٥ نقلاً عن مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٤١).

(٣) البخاري، ك الجزية والموادعة رقم ٣١٥٦.

(٤) سواد العراق.

(٥) البخاري، رقم ٣١٥٦.

(٦) أهل الذمة في الحضارة الإسلامية ص٤٢.

وبالإسلام، فإذا أسلم من فرضت عليه الجزية، سقطت عنه بإسلامه، فقد أسلم رجلان من أهل أليس، فرفع عنهما جزيتهما[(١)]، وأسلم الرفيل دهقان النهرين ففرض له عمر في ألفين ووضع عن رأسه الجزية[(٢)]، ومن الجدير بالذكر أن الجزية تسقط عن العام الذي أسلم فيه الذمي، سواء كان إسلامه في أوله أو في وسطه أو في آخره، قال عمر: إن أخذ الجزية الجابي بكفه ثم أسلم صاحبها ردها عليه[(٣)]، وتسقط بالافتقار، فإذا افتقر الذمي بعد غنى وأصبح غير قادر على دفع الجزية سقطت عنه الجزية، وقد أسقطها عمر عن الشيخ الكبير الضرير البصر عندما رآه يسأل الناس[(٤)] وفرض له ما يعوله من بيت المال، وتسقط عند عجز الدولة عن حماية الذميين؛ لأن الجزية ما هي إلا ضريبة على الأشخاص القاطنين في أقاليم الدولة الإسلامية، وتدفع هذه الضريبة في مقابل انتفاعهم بالخدمات العامة للدولة، علاوة على أنها نظير حمايتهم والمحافظة عليهم وبدل عدم قيامهم بواجب الدفاع عن الدولة ومواطنيها[(٥)]، ومن الأدلة على أن الجزية في مقابل الحماية، ما قام به أبو عبيدة بن الجراح، حينما حشد الروم جموعهم على حدود البلاد الإسلامية الشمالية، فكتب أبو عبيدة إلى كل وال ممن خلفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ما جبي منهم من الجزية والخراج، وكتب إليهم أن يقولوا لهم: إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وأنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن على الشرط، وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم، فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم أموالهم التي جبيت منهم، قالوا: ردكم الله علينا ونصركم عليهم (أي الروم) فلو كانوا هم ما ردوا علينا شيئًا وأخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا لنا شيئًا[(٦)]،

(١) موسوعة فقه عمر ص٢٣٨.
(٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٢٣٨ نقلاً عن المحلى (٧/ ٣٤٥).
(٣) المصدر نفسه ص٢٣٩ نقلاً عن المغني (٨/ ٥١١).
(٤) موسوعة فقه عمر ص٢٣٩.
(٥) المعاهدات في الشريعة الإسلامية د. الديك ص٣١٤.
(٦) فتوح البلدان ص١٤٣، الموارد المالية د. يوسف عبد المقصود ص٢٢٨.

كما تسقط إذا قاموا هم بعبء الدفاع بتكليف من الدولة، كما حدث في العهد الذي وقعه سراقة بن عمرو مع أهل طبرستان بعد أن وافقه عمر على ذلك[١].

وأما قيمتها فقد كانت غير محددة واختلفت من إقليم لآخر بحسب قدرة الناس، وظروف الإقليم، فقد وَضَعَ على أهل السواد، ثمانية وأربعين درهمًا، وأربعة وعشرين درهمًا، بحسب حال كل واحد من اليسار، يؤخذ ذلك منهم كل سنة، وإن جاءوا بعرض قبل منهم مثل الدواب والمتاع وغير ذلك ويؤخذ منهم بالقيمة[٢]، وجعل على أهل الشام أربعة دنانير وأرزاق المسلمين من الحنطة مُدَّيْنِ وثلاثة أقساط من زيت لكل فرد، وعلى أهل الفضة أربعين درهمًا وخمسة عشر صاعًا لكل إنسان، وعلى أهل مصر دينارين لكل حالم إلا أن يكون فقيرًا[٣]، وأما أهل اليمن فقد خضعت للإسلام في عهد النبوة، وفرضت الجزية على كل رجل دينار أو عدله معافر، وتشير روايات ضعيفة إلى بقاء هذه الجزية على أهل اليمن دون تغير في خلافة عمر ورغم ضعفها فإنها تتفق مع سياسة عمر في مراعاة أحوال الرعية، وعدم تغيير الإجراءات النبوية[٤]، فالجزية كانت تختلف بحسب يسار الناس وبحسب غنى الإقليم كذلك، وكانت تخضع للاجتهاد بما يكون من طاقة أهل الذمة بلا حمل عليهم ولا إضرار[٥]، وكان عمر يأمر جباة الجزية بأن يرفقوا بالناس في جبايتها، وعندما أتي عمر بمال كثير فقال: إني لأظنكم قد أهلكتم الناس، قالوا: لا والله، ما أخذنا إلا عفوًا صفوًا، قال: بلا سوط ولا نوط؟ قالوا: نعم . قال: الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي ولا في سلطاني[٦]، ومن أشهر الموظفين في هذه المؤسسة: عثمان بن حنيف، وسعيد بن حذيم، وولاة الأمصار كعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهم.

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية د. جميل المصري ص٣٢٧.
(٢،٣) دور الحجاز في الحياة السياسية ص٢٣٠.
(٤) عصر الخلافة الراشدة ص١٧٣.
(٥) المصدر نفسه ص٢٣١، عصر الخلافة الراشدة ص١٦٧.
(٦) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٢٤٣.

وقد نظمت الجزية بمجموعة من الأحكام والقوانين، استمدها الفقهاء والمشرعون من نصوص القرآن والسنة وعمل الخلفاء الراشدين، ودلت تلك الأحكام على أن مؤسسة الجزية من مصادر الدولة الإسلامية، كما أن لها صفة سياسية، فدفع أهل الذمة للدولة دليل على إخلاصهم لها وخضوعهم لأحكامها وقوانينها والوفاء بما عاهدوا عليه[١]، ويذهب الأستاذ حسن المّي إلى أن مؤسسة الجزية لها صبغة سياسية أكثر منها صبغة مالية[٢]، والحقيقة أن هذه المؤسسة جمعت بين الصبغتين، وهي من مصادر الثروة في الدولة الإسلامية.

**- أخذ عمر الصدقة مضاعفة من نصارى تغلب:**

كان بعض عرب الجزيرة من النصارى قد رفضوا دفع الجزية لكونهم يرونها منقصة ومذمة، فبعث الوليد برؤساء النصارى وعلمائهم إلى أمير المؤمنين فقال لهم: أدُّوا الجزية. فقالوا لعمر: أبلغنا مأمننا، والله لئن وضعت علينا الجزاء لندخلن أرض الروم والله لتفضحُنَّا من بين العرب، فقال لهم: أنتم فضحتم أنفسكم، وخالفتم أمتكم فيمن خالف وافتضح من عرب الضاحية، والله لتؤدنّه وأنتم صَغَرة قَمأة (يعني حقيرين) ولئن هربتم إلى الروم لأكتبن فيكم، ثم لأسبينكم. قالوا: فخذ منا شيئًا ولا تسمه جزاء، فقال: أما نحن فنسميه جزاء وسموه أنتم ما شئتم، فقال له علي بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين ألم يُضْعِف عليهم سعد بن مالك الصدقة؟ قال: بلى، وأصغى إليه فرضي به منهم جزاء، فرجعوا على ذلك[٣]، ومن هذا الخبر نأخذ درسًا في معاملة المتكبرين من الأعداء الذين يخاطبون المسلمين بعزة وأنفة ويهددون باللجوء إلى دول الكفر، فنجد أمير المؤمنين خاطبهم بعنف وحقّرهم وهددهم إذا لجئوا إلى الكفار بالسعي في إحضارهم ومعاملتهم كمعاملة الحربيين من سبي ذراريهم ونسائهم، وهذا أشد عليهم كثيرًا من دفع الجزية، فهذا الجواب القوي أزال ما في رءوسهم من الكبرياء والتعاظم فرجعوا متواضعين يطلبون من أمير المؤمنين أن يوافق على أخذ ما يريد من غير أن

---

(٢،١) أهل الذمة في الحضارة الإسلامية ص٤٣.

(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٣٠) وقد ضعف الدكتور العمري هذه الرواية، انظر عصر الخلافة الراشدة ص١٦٧.

يُسمِّي ذلك جزية، وهنا تدخل علي رضي الله عنه وكان لرأيه مكانة عند عمر لفقهه في الدين، فأشار عليه بأن يُضعِف الصدقة كما فعل سعد بن أبي وقاص بأمثالهم، فقبل ذلك أمير المؤمنين تألفًا لهم ومنعًا من محاولة اللجوء إلى دول الكفر، وقد أصبح هذا الرأي مقبولاً حينما وقع موقعه، وذلك بعدما أزال أمير المؤمنين ما في نفوسهم من العزة والكبرياء، فأما لو قبل ذلك منهم في بداية العرض فإنهم سيعودون بكبريائهم ولا يؤمن منهم بعد ذلك أن ينقضوا العهد ويسيئوا إلى المسلمين[١].

وقد جاء في رواية عن قصة بني تغلب، بأنهم دعوا إلى الإسلام فأبوا، ثم إلى الجزية فلم يطمئنوا إليها، وولوا هاربين يريدون اللحاق بأرض الروم، فقال النعمان ابن زرعة لعمر: يا أمير المؤمنين، إن بني تغلب قوم عرب، يأنفون من الجزية، وليست لهم أموال إنما هم أصحاب حروث ومواشٍ، ولهم نكاية في العدو فلا تعن عدوك عليك بهم قال: فصالحهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على أن ضاعف عليهم الصدقة[٢].. وقال: هي جزية وسموها ما شئتم[٣]، فقال بنو تغلب: أما إذا لم تكن جزية كجزية الأعلج فإنا نرضى ونحفظ ديننا[٤]، والسر في قبول الخليفة عمر رضي الله عنه الصدقة من بني تغلب، وهل تعد صدقة أم جزية؟ يرجع إلى أن الاختلاف في التسمية أمر قد تسوهل فيه ورضي الخليفة به مادام في ذلك المصلحة العامة، والذي دفعه إلى ذلك خشية انضمام بني تغلب إلى الروم وما كان يرجوه من إسلامهم ليكونوا عونًا للمسلمين على أعدائهم؛ ولأن هؤلاء قوم من العرب لهم من العزة والأنفة ما يبرر حفظ كرامتهم، وأن ما يرد إلى بيت المال من أموالهم خير للمسلمين وأجدى على خزانة الدولة من هربهم وانضمامهم إلى صفوف الروم[٥]، أما من ناحية هل هي صدقة أم جزية؟ فهي جزية؛ لأنها تصرف في مصارف الخراج، ولأن الصدقة لا

(١) التاريخ الإسلامي (١١/ ١٤١، ١٤٢).
(٢) الأموال (١/ ٣٧) نقلاً عن سياسة المال في الإسلام عبد الله جمعان ص٧٢.
(٣) فتح القدير (١/ ٥١٤)، سياسة المال في الإسلام ص٧٢.
(٤) فتوح البلدان ص١٨٦، سياسة المال في الإسلام ص٧٢، يعتبر كتاب سياسة المال في عهد عمر بن الخطاب للأستاذ عبد الله جمعان السعدي هو العمدة في مبحث المؤسسة المالية فقد قمت بتلخيصه وإضافة بعض الأشياء.
(٥) سياسة المال في الإسلام ص٧٢.

تجب على غير المسلمين، ولأن الجزية في نظير الحماية وكان بنو تغلب في حماية المسلمين، وفي الوقت نفسه يمكننا أن نقول: إنّها ليست بجزية عمليًّا؛ لأن ما فرض على نصارى بني تغلب كان على الأموال التي تفرض عليها الزكاة، فكل شيء على المسلمين فيه زكاة كالزروع والثمار والماشية والنقدين.. فهو عليهم مضاعف يؤخذ من النساء كما يؤخذ من الرجال ولم يكن على الأشخاص، وهذا ينافي معنى الجزية عرفًا[1]، والمهم في كلتا الحالتين باعتبارها صدقة أو جزية فهي ضريبة بينت مدى خضوعهم لسلطة الإسلام[2]، هذا وقد كانت هنالك حقوق والتزامات كثيرة للعرب على البلاد المفتوحة عدا الجزية، وقد تنوعت هذه الحقوق وتطورت أيام الخليفة عمر رضي الله عنه، فمن ذلك ضيافة الحاكم إذا وفد، والرسل والسفراء ومن نزل من المسلمين بأهل البلاد، وقد حددت مدة الضيافة في خلافة عمر رضي الله عنه بثلاثة أيام مما يأكلون، ولا يكلفون بذبح شاة ولا دجاجة ولا مما لا طاقة لهم به[3]، وقد مرّ معنا عند حديثنا عن التطوير العمراني في عهد عمر أن بعض الاتفاقيات في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه اشتملت على إصلاح الطرق، وإنشاء الجسور وبناء القناطر وقد تطور نظام الجزية في عهد عمر رضي الله عنه، فأحصى السكان وميز بين الغني والفقير ومتوسط الحال، واستحدث كثيرًا من الشروط والالتزامات في نصوص المعاهدات مما لم يعرف من قبل؛ وذلك لاتساع العمران وبسط السلطان على مصر والشام والعراق ومخالطة المسلمين لأهل البلاد واتصالهم الدائم بحضارتها، مما مكنهم من سياسة الدولة وشئون العمران وما تتطلبه طبيعة التدرج والنمو فأوجدوا ما لم يكن موجودًا من إصلاح الطرق والعمران وبناء القناطر والجسور التي هي عون الأمم المتحضرة، ومن هنا انتظمت الأمور، واتسعت البلاد، ورسخت قواعد النظم المالية وغيرها[4].

**- شروط عقد الجزية ووقت أدائها:**

وقد استنبط الفقهاء من خلال عصر الخلفاء الراشدين مجموعة من الشروط:

---

(١) المصدر نفسه ص٧٣، النظام الإسلامي المقارن ص٣٩. (٢) المصدر نفسه ص٧٣.

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص١٦٤.

(٤) سياسة المال في الإسلام في عهد عمر بن الخطاب ص١٧٤.

* ألا يذكروا كتاب الله تعالى بطعن فيه ولا تحريف له.
* ألا يذكروا رسول الله ﷺ بتكذيب ولا ازدراء.
* ألا يذكروا دين الإسلام بذم له ولا قدح فيه.
* ألا يصيبوا مسلمة بزنًى ولا باسم نكاح.
* ألا يفتنوا مسلمًا عن دينه، ولا يتعرضوا لماله ولا دينه.
* وأن لا يعينوا أهل الحرب ولا يودّوا أغنياءهم[١].

وأما وقت أدائها فقد حدد الخليفة عمر رضي الله عنه وقت أداء الجزية في آخر الحول ومرادنا به آخر العام الزراعي، ويرجع هذا التغيير في وقت أداء الجزية في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه إلى حالة الاستقرار، والاستقرار يدعو إلى التنظيم وتعيين الأوقات المناسبة للدولة والمكلفين بدفع الجزية، كما أن تحصيلها وقت إتيان الغلات - وهو ما يعبر عنه المؤرخون بآخر العام - فيه دفع للمشقة، وتسهيل على المكلفين وراحة للدافعين[٢].

### ١- الخراج:

الخراج له معنيان: عام وهو كل إيراد وصل إلى بيت مال المسلمين من غير الصدقات، فهو يدخل في المعنى العام للفيء ويدخل فيه إيراد الجزية وإيراد العشور وغير ذلك، وله معنى خاص: وهو إيراد الأراضي التي افتتحها المسلمون عنوة وأوقفها الإمام لمصالح المسلمين على الدوام كما فعل عمر بأرض السواد من العراق والشام[٣]، والخراج كما قال ابن رجب الحنبلي: لا يقاس بإجارة ولا ثمن، بل هو أصل ثابت بنفسه لا يقاس بغيره[٤].

عندما قويت شوكة الإسلام بالفتوحات العظيمة وبالذات بعد القضاء على القوتين العظيمتين الفرس والروم، تعددت موارد المال في الدولة الإسلامية وكثرت مصارفه،

(١) سياسة المال في الإسلام في عهد عمر ص٧٦.
(٢) المصدر نفسه ص٦٧.
(٣) الخراج لأبي يوسف ص٢٤،٢٥، اقتصاديات الحرب ص٢١٥.
(٤) الاستخراج لأحكام الخراج ص٤٠، اقتصاديات الحرب ص٢١٥.

وللمحافظة على كيان هذه الدولة المترامية الأطراف وصون عزها وسلطانها، وضمان مصالح العامة، والخاصة كان لابد من سياسة مالية حكيمة ورشيدة، فكر لها عمر رضي الله عنه، ألا وهي إيجاد مورد مالي ثابت ودائم للقيام بهذه المهام، وهذا المورد هو: الخراج فقد أراد الفاتحون أن تقسم عليهم الغنائم من أموال وأراض وفقًا لما جاء في القرآن الكريم خاصًا بالغنائم: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنفال، آية: ٤١).

وقد أراد عمر رضي الله عنه في بداية الأمر تقسيم الأرض بين الفاتحين، لكن عليًّ بن أبي طالب رضي الله عنه رأى عدم التقسيم، وشاركه الرأي معاذ بن جبل، وحَذَّرَ عمر من ذلك[1]، وقد روى أبو عبيد قائلاً: قدم عمر الجابية فأراد قسم الأراضي بين المسلمين فقال معاذ: والله إذن ليكونن ما تكره، إنك إن قسمتها صار الريع العظيم في أيدي القوم ثم يبيدون فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة، ثم يأتي من بعدهم قوم يَسُدون من الإسلام مَسَدًا، وهم لا يجدون شيئًا فانظر أمرًا يسع أولهم وآخرهم[2]، لقد نبه معاذ بن جبل رضي الله عنه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إلى أمر عظيم، جعل عمر يتتبع آيات القرآن الكريم، ويتأملها مفكرًا في معنى كل كلمة يقرؤها حتى توقف عند آيات تقسيم الفيء في سورة الحشر، فتبين له أنها تشير إلى الفيء للمسلمين في الوقت الحاضر، ولمن يأتي بعدهم، فعزم على تنفيذ رأي معاذ رضي الله عنه، فانتشر خبر ذلك بين الناس ووقع خلاف بينه وبين بعض الصحابة رضوان الله عليهم، فكان عمر ومؤيدوه لا يرون تقسيم الأراضي التي فتحت، وكان بعض الصحابة ومنهم بلال بن رباح، والزبير بن العوام يرون تقسيمها، كما تقسم غنيمة العسكر، كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر، فأبى عمر رضي الله عنه التقسيم وتلا عليهم الآيات الخمس من سورة الحشر من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحشر، آية: ٦) حتى فرغ من شأن بني

(١) سياسة المال في الإسلام ص١٠٣.

(٢) الأموال لأبي عبيد ص٧٥، سياسة المال ص١٠٣.

النضير ثم قال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(الحشر،آية:٧) فهذه عامة في القرى كلها، ثم قال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشر،آية:٨) ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر،آية:٩) فهذا في الأنصار خاصة ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم، فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر،آية:١٠)، فكانت هذه عامة لمن جاء بعدهم، فما من أحد من المسلمين إلا له في هذا الفيء حق، قال عمر: فلئن بقيت ليبلغن الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفيء ودمه في وجهه[1]، وفي رواية أخرى جاء فيها. قال عمر: فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الأرض بعلوجها قد اقتسمت وورثت عن الآباء وحيزت، ما هذا برأي، فقال له عبد الرحمن بن عوف: فما الرأي؟ ما الأرض والعلوج إلا مما أفاء الله عليهم، فقال عمر: ما هو إلا كما تقول ولست أرى ذلك، والله لا يفتح بعدي بلد فيكون فيه كبير نيل بل عسى أن يكون كَلاًّ على المسلمين، فإذا قسمت أرض العراق بعلوجها، وأرض الشام بعلوجها، فما يسد به الثغور؟ وما يكون للذرية والأرامل لهذا البلد وبغيره من أراضي الشام والعراق؟ فأكثروا على عمر وقالوا: تقف ما أفاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا، ولأبناء القوم وأبناء أبنائهم ولم يحضروا، فكان عمر رضي الله عنه لا يزيد على أن يقول: هذا رأيي، قالوا: فاستشر، فأرسل إلى عشرة من الأنصار من كبراء الأوس والخزرج وأشرافهم فخطبهم، وكان مما قال لهم: إني واحد كأحدكم، وأنتم اليوم تقرون

(١) الخراج لأبي يوسف ص٦٧، اقتصاديات الحرب ص٢١٧.

بالحق، خالفني من خالفني، ووافقني من وافقني، ولست أريد أن تتبعوا هذا الذي هواي، ثم قال: قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أني أظلمهم حقوقهم، ولكن رأيت أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى، وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلوجهم فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله، وأخرجت الخمس فوجهته على وجهه، وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها واضعًا عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئًا للمسلمين، المقاتلة والذرية، ولمن يأتي من بعدهم، أرأيتم هذه الثغور لابد لها من رجال يلزمونها أرأيتم هذه المدن العظام لابد لها من أن تشحن بالجيوش، وإدرار العطاء عليهم فمن أين يُعطى هؤلاء إذا قسمت الأرض والعلوج؟ فقالوا جميعًا: الرأي رأيك فنعم ما قلت ورأيت، إن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال وتجري عليهم ما يتقوّون به رجع أهل الكفر إلى مدنهم[1]، وقد قال عمر فيما قاله: لو قسمتها بينهم لصارت دولة بين الأغنياء منكم، ولم يكن لمن جاء بعدهم من المسلمين شيء، وقد جعل الله لهم فيها الحق بقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ**﴾ ثم قال: فاستوعبت الآية الناس إلى يوم القيامة، وبعد ذلك استقر رأي عمر وكبار الصحابة ﷺ على عدم قسمة الأرض[2].

وفي حواره مع الصحابة يظهر أسلوب الفاروق في الجدل، وكيف جمع فيه قوة الدليل، وروعة الصورة، واستمالة الخصم، في مقالته التي قال للأنصار، عند المناقشة في أمر أرض السواد، ولو أن رئيسًا ناشئًا في السياسة، متمرسًا بأساليب الخطب البرلمانية أراد أن يخطب النواب (لينال موافقتهم) على مشروع من المشروعات لم يجئ بأرقّ من هذا المدخل، أو أعجب من هذا الأسلوب. وامتاز عمر فوق ذلك بأنه كان صادقًا فيما يقول، ولم يكن فيه سياسيًا مخادعًا وأنه جاء به في نمط من البيان يسمو على الأشباه والأمثال[3].

---

(١) الخراج لأبي يوسف ص٦٧، اقتصاديات الحرب ص٢١٧.
(٢) سياسة المال في الإسلام في عهد عمر ص١٠٥.
(٣) أخبار عمر ص٢١٠.

## هل كان الفاروق مخالفاً للنبي ﷺ في حكم أرض الخراج؟:

من قال: إن الفاروق خالف الرسول ﷺ بفعله في عدم تقسيم أرض الخراج؛ لأن النبي ﷺ قسم خيبر، وقال: إن الإمام إذا حبس الأرض المفتوحة عنوة نقض حكمه لأجل مخالفة السنة، فهذا القول خطأ وجرأة على الخلفاء الراشدين - إذا فعلوا هذا الفعل - فإن فعل النبي ﷺ في خيبر إنما يدل على جواز ما فعله ولا يدل على وجوبه، فلو لم يكن معنا دليل على عدم وجوب ذلك، لكان فعل الخلفاء الراشدين عمر وعثمان وعلي ﷺ دليلاً على عدم الوجوب، فكيف وقد ثبت أنه فتح مكة عنوة كما استفاضت به الأحاديث الصحيحة، بل تواتر ذلك عند أهل المغازي والسير؟ فإنه قدم حين نقضوا العهد ونزل بمر الظهران، ولم يأت أحد منهم يصالحه ولا أرسل إليهم أحدًا يصالحهم، بل خرج أبو سفيان يتجسس الأخبار فأخذه العباس وقدم به كالأسير، وغايته أن يكون العباس أمنه فصار مستأمنًا، ثم أسلم فصار من المسلمين، فكيف يتصور أن يعقد صلح الكفار - بعد إسلامه- بغير إذن منهم؟ مما يبين ذلك أن النبي ﷺ علق الأمان بأسباب، كقوله: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن)[1]، فأمن من لم يقاتله، فلو كانوا معاهدين لم يحتاجوا إلى ذلك، وأيضًا، فسماهم النبي ﷺ طلقاء؛ لأنه أطلقهم من الأسر كثمامة بن أثال وغيره، وأيضًا فإنه أذن في قتل جماعة منهم من الرجال والنساء، وأيضًا فقد ثبت عنه في الصحاح أنه قال في خطبته: إن مكة لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة[2].

ودخل مكة وعلى رأسه المغفر ولم يدخلها بإحرام، فلو كانوا صالحوه لم يكن قد أحل له شيء، كما لو صالح مدينة من مدائن الحل لم تكن قد أحلت فكيف يحل له البلد الحرام وأهله مسالمون لهم صلح معه؟! وأيضًا فقد قاتلوا خالدًا وقتل طائفةٌ من المسلمين طائفةً من الكفار، وفي الجملة، فإن من تدبر الآثار المنقولة علم

---

(١) مسلم رقم ١٧٨٠.

(٢) النسائي في الكبرى في الحج (٢/ ٣٨) الفتاوى (٢٠/ ٣١٣).

بالاضطرار أن مكة فتحت عنوة، ومع هذا فالنبي ﷺ لم يقسم أرضها كما لم يسترق رجالها، ففتح خيبر عنوة وقسمها، وفتح مكة عنوة ولم يقسمها، فعلم جواز الأمرين[1]، وبذلك لم يكن الفاروق مخالفًا للهدي النبوي في عدم تقسيمه للأراضي المفتوحة، وقد كان سنده - فيما فعل - أمورًا منها:

١- آية الفيء في سورة الحشر.

٢- عمل النبي ﷺ حينما فتح مكة عنوة فتركها لأهلها ولم يضع عليها خراجًا.

٣- قرار مجلس الشورى الذي عقده عمر لهذه المسألة بعد الحوار والمجادلة وقد أصبح سنة متبعة في أرض يظهر عليها المسلمون ويقرون أهلها عليها، وبهذا يظهر أن عمر حينما ميز بين الغنائم المنقولة وبين الأراضي كان متمسكًا بدلائل النصوص، وجمع بينها وأنزل كلاً منها منزلته التي يرشد إليها النظر الجامع السديد، يضاف إلى ذلك أن عمر كان يقصد أن تبقى لأهل البلاد ثرواتهم وأن يعصم الجند الإسلامي من فتن النزاع على الأرض والعقار، ومن فتن الدعة والانشغال بالثراء والحطام[2].

إن الفاروق رضي الله عنه كان يلجأ إلى القرآن الكريم يلتمس منه الحلول ويطوف بين مختلف آياته، ويتعمق في فهم منطوقها ومفهومها، ويجمع بينها ويخصص بعضها ببعض حتى يصل إلى نتائج تحقق المصالح المرجوة منها، مستلهمًا روح الشريعة غير واقف مع ظواهر النصوص وقد أسعفه في قطع هذه المراحل إدراكه الدقيق لمقاصد الشريعة بتلكم النصوص، وهي عملية مركبة ومعقدة لا يحسن الخوض فيها إلا من تمرس على الاجتهاد وأعطي فهمًا سديدًا وجرأة على الإقدام حيث يحسن الإقدام، حتى خيل للبعض أن عمر كان يضرب بالنصوص عُرْضَ الحائط في بعض الأحيان، وحاشا أن يفعل عمر رضي الله عنه ذلك لكنه كان مجتهدًا ممتازًا اكتسب حاسة تشريعية لا تضاهى حتى كان يرى الرأي فينزل القرآن على وفقه، والنتيجة التي نخرج بها من

---

(١) الفتاوى (٢٠/ ٣١٢، ٣١٣).

(٢) الاجتهاد في الفقه الإسلامي ص١٣١.

هذه القضية هي أن القرآن يفسر بعضه بعضًا، ومثله في السنة، فعلى المجتهد وهو يبحث عن الحكم الشرعي أن يستعرض جميع النصوص التي تساعد على الحل دون الاقتصار على بعضها، وإلا عد مقصرًا في اجتهاده، ويكون ما توصل إليه لاغيًا[١].

- كيف تمّ تنفيذ مشروع الخراج في عهد الفاروق؟

لما انتهى كبار الصحابة ورجال الحل والعقد إلى إقرار رأي الخليفة عمر ﷺ بتحبيس الأرض على أهلها، وتقسيم الأموال المنقولة على الفاتحين انتدب شخصيتين كبيرتين هما: عثمان بن حُنيف، وحذيفة بن اليمان وذلك لمسح أرض سواد العراق، وحين بعثهما لهذه المهمة زوّدهما الخليفة بنصائحه وتوجيهاته الثاقبة، وأمرهما بأن يلاحظا ثروة الأفراد، وخصوبة الأرض وجدبها، ونوع النباتات والشجر، والرفق بالرعية، فلا تحمل الأرض ما يتحمله المكلفون، بل يترك لهم ما يجبرون به النوائب والحوائج، ولكي ينطلق قرار عمر ﷺ على أساس عادل، رغب أن يعرف الحالة التي كان عليها أهل العراق قبل الفتح، وطلب من الصحابيين عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان أن يرسلا إليه وفدًا من كبار رجال السواد، فبعثا إليه وفدًا من دهاقنة السواد، فسألهم عمر ﷺ: كم كنتم تؤدون إلى الأعاجم في أرضهم؟ قالوا: سبعة وعشرين درهمًا، فقال عمر ﷺ: لا أرضى بهذا منكم[٢]، وهذا يدل على أن الفتح الإسلامي كان عدلاً على الناس الذين فتحت بلادهم، وكان عمر يرى أن فرض الخراج على مساحة الأرض أصلح لأهل الخراج، وأحسن ردًا، وزيادة في الفيء من غير أن يحملهم ما لا يطيقون، فقام عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان بما وكل إليهما خير قيام فبلغت مساحة السواد (٣٦٠٠٠,٠٠٠) ستة وثلاثين ألف ألف[٣]، ووضعا على جريب العنب عشرة دراهم، وعلى جريب النخل ثمانية دراهم، وعلى جريب القصب ستة دراهم، وعلى جريب الحنطة أربعة دراهم وعلى

(١) المصدر نفسه ص١٣١، ١٣٢.
(٢) الخراج لأبي يوسف ص٤٠، ٤١.
(٣) الخراج لأبي يوسف ص٣٨.

جريب الشعير درهمين[١]، وكتبا إلى عمر بن الخطاب بذلك فأمضاه، وقد حرص عمر رضي الله عنه على العناية بأهل تلك الأرض والبلاد، وما يوفر العدل ويحققه خوفًا أن يكون عثمان وحذيفة رضي الله عنهما حملا الناس والأرض ما لا يطيقون أداءه من خراج فسألهما: كيف وضعتما على الأرض لعلكما كلفتما أهل عملكما ما لا يطيقون؟ فقال حذيفة: لقد تركت فضلاً، وقال عثمان: لقد تركت الضعف، ولو شئت لأخذته فقال عمر رضي الله عنه عند ذلك: أما والله لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعنهم لا يفتقرون إلى أمير بعدي[٢].

وهذه الطريقة التي نفذت في سواد العراق هي ذاتها التي نفذت في الأراضي المصرية، لكن الذي تولاها هو عمرو بن العاص وكانت وحدة المساحة التي ربط على أساسها الخراج الفدان[٣]، وكذلك فعل عمر رضي الله عنه بأرض الشام كما فعل بأرض السواد، ولم يذكر المؤرخون معلومات صريحة واضحة عن المساحة ونوع الزروع والثمار التي فرض عليها الخراج، ولا من قام بعملية مسح أراضي الشام[٤]، وكان الخليفة عمر رضي الله عنه بهذا الصدد قد عمل إحصاءً دقيقًا لثروة الولاية قبل الولاية عليها، ثم إلزام الولاة عند اعتزالهم أعمالهم بمصادرة بعض الأموال التي جمعوها لأنفسهم في أثناء ولايتهم، إذا تبين له أن أعطياتهم لا تسمح لهم بادخار هذه الأموال كلها[٥] وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله عند حديثنا عن الولاة . وقد كثرت الممتلكات الخاصة للدولة التي اصطفاها عمر رضي الله عنه لبيت المال في العراق والشام ومصر، فكانت هذه الأملاك تدرّ دخلاً عظيمًا ووفيرًا على خزانة الدولة، خاصة في مصر لاتساع الأراضي الزراعية التي يملكها التاج في العصور القديمة[٦].

**- ما القيم والمصالح الأمنية في عدم تقسيم أراضي الخراج؟**

هناك جملة من المصالح الأمنية التي استند إليها الخليفة -والذين وافقوه على

(١) الخراج لأبي يوسف ٣٩، سياسة المال في الإسلام ص١٠٨.
(٢) الخراج لأبي يوسف ص٤٠، سياسة المال في الإسلام ص١٠٨.
(٣) الدولة العباسية للخضري ص١٤٤، سياسة المال ص١٠٩.
(٤) سياسة المال في الإسلام ص١١١ . (٥) المصدر نفسه ص١١٤ . (٦) المصدر نفسه ص١١٨.

رأيه- في اتخاذ هذا القـرار يمكنني تصنيفهـا إلى صنفين: أولهما: المصـالح الداخلية وأهمها سـد الطريق على الخلاف والقتال بـين المسلمين، وضمان توافر مـصادر ثابتة لمعايش البلاد والعباد، وتوفير الحاجات المادية اللازمة للأجيال اللاحقة من المسلمين، وثانيهمـا: المصالح الخارجيـة والتي يتمثل أهمهـا في توفير ما يسـد ثغور المسلمين، ويسدّ حاجتها من الرجال والمؤن، والقدرة علـى تجهيز الجيوش، بما يستلزمه ذلك من كـفـالة الرواتب وإدرار العطاء وتمويـل الإنفـاق على العتـاد والسـلاح وترك بعض الأطراف لتتولى مـهام الدفاع عن حدود الدولة وأراضـيها اعتمـادًا على ما لديها من خراج، والذي يجب ملاحظته في هذه المصالح أن الخليفة أراد أن يضع بقراره دعائم ثابتة لأمن المجتـمع السياسي ليس في عصره فـقط، بل وفيما يليه من عـصور بعده وعباراته من مثل (فكيف بمن يأتي من المـسلمين)، و(كرهت أن يترك المسلمون) التي توحي بنظرته المسـتقـبليـة لهذا الأمن الشـامل تشـهد على ذلك، وقـد أثبت تطور الأحداث السياسية في عصر الخليفة الثاني صواب وصدق ما قرره.

- إن تعدد أطوار اتخاذ القرار بعدم تقسـيم الأراضي قد أكد أمرين: أولهما: أن بعض القـرارات المهمة التـي تمس المصالح الجوهـرية للمسلمين قـد تأخذ من الجـهد والوقت الكثير، كما أنها قد تتطلب قدرًا من الأناة في تبادل الحجج والبراهين، دون أن يتيح ذلك مـجالاً للخلاف وتعمـيق هوة الانقسام أحيـانًا أو يفوت بابًا من أبواب تحقيق بعض المصالح الخاصة بأمن الأمة في حاضـرها ومستقبلها، والأمر الثاني: أن بعض القرارات المهمة التي قد تخرج بعد عسر النقاش والحوار، والبداية المتعثرة لها، يفرض على الحـاكم الشرعي أن يكون أول المسلمين وآخـرهم جهـدًا في السعي إلى تضييق هوة الخلاف، والتقريب بين وجهات النظر المتعارضة لكي يصل بالمسلمين إلى الحكم الشرعي فيما هو متنازع بشأنه[1].

- إن تبادل الرأي والاجـتهاد بين الخليفـة والصحابة الذين لم يوافـقوه على رأيه واستناد الكل في ذلك إلى النصـوص المنزلة في الاجتهاد يثبـت أن الفيصل في إبداء

(١) الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام، مصطفى منجود ص٣١٧، ٣١٨.

الآراء في القرارات السياسية عامة والتي تمس مصالح المسلمين بصفة مباشرة خاصة، هو أن تجيء هذه الآراء مستندة إلى النصوص المنزلة، أو ما ينبغي أن يتفرع عنها من مصادر أخرى لا تخرج عن أحكامها في محتواها ومبرراتها.

- إن لجوء الخليفة إلى استشارة أهل السابقة من كبار الصحابة العلماء في فقه الأحكام ومصادر الشرع، واستجابتهم بإخلاص النصح له، يؤكد أن أهل الشورى لهم مواصفات خاصة تميزهم، فالذين يستشارون هم أهل الفقه والفهم والورع والدراية، الواعون لدورهم، إنهم بعبارة أدق الذين لا إمعية في آرائهم، ومن دأبهم توطين أنفسهم على قول الحق وفعله، غير خائفين في ذلك لومة لائم من حاكم أو غيره.

- ثم يبقى القول: إن ما حدث بصدور قرار عدم تقسيم الأراضي، يظل نموذجًا عاليًا سار عليه الصحابة في كيفية التعامل وفق آداب الحوار وأخلاقيات مناقشة القضايا، وتقليب أوجهها المختلفة ابتداء بمرحلة التفكير في اتخاذ القرار بعدم تقسيم الأراضي -بصفة مباشرة، أو غير مباشرة- وعلى رأسهم الخليفة الذي لم يخرج عن هذه الآداب رغم اختلاف اجتهاداتهم بشأنه[١]، بل إن الفاروق ﷺ بين أن الحاكم مجرد فرد في هيئة الشورى، وأعلن الثقة في مجلس شورى الأمة، خالفته أو وافقته، والرد إلى كتاب الله، فقد قال ﷺ: إني واحد منكم، كأحدكم، وأنتم اليوم تقرون بالحق، خالفني من خالفني، ووافقني من وافقني، ومعكم من الله كتابٌ ينطق بالحق[٢].

### - أهم الآثار الدعوية في هذا القرار:

من أهم هذه الآثار: القضاء نهائيًا على نظام الإقطاع، فقد ألغى عمر ﷺ كل الأوضاع الإقطاعية الظالمة التي احتكرت كل الأرض لصالحها واستعبدت الفلاحين لزراعتها مجانًا، فقد ترك عمر ﷺ أرض السواد في أيدي فلاحيها يزرعونها مقابل خراج عادل يطيقونه يدفعونه كل عام، وقد اغتبط الفلاحون بقرار عمر بن الخطاب

(١) الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام، مصطفى منجود ص٣١٧، ٣١٨.
(٢) الدور السياسي للصفوة ص١٨٥.

رضي الله عنه بتمليكهم الأرض الزراعية يزرعونها مقابل دفع الخراج الذي يستطيعونه، مما جعلهم يشعرون لأول مرة في حياتهم أنهم أصحاب الأرض الزراعية لا ملكًا للإقطاعيين من الطبقة الحاكمة، وكان الفلاحون مجرد أجراء يزرعونها بدون مقابل، وكان تعبهم وكدهم يذهب إلى جيوب الطبقة الإقطاعية، طبقة ملاك الأرض ولا يتركون لهم إلا الفتات[1].

- **قطع الطريق على دعوة جيوش الروم والفرس بعد طردهم:**

لقد أدت سياسة عمر رضي الله عنه في تمليك الأرض لفلاحي الأمصار المفتوحة عنوة إلى شعورهم بالرضا التام كما تقدم، وهذا مما جعلهم يبغضون حكامهم من الفرس والروم ولا يقدمون لهم أية مساعدات، بل كانوا على العكس من ذلك يقدمون المساعدات للمسلمين ضدهم، حتى إن رستم القائد الفارسي دعا أهل الحيرة فقال: يا أعداء الله فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا وكنتم عيونًا لهم علينا وقويتموهم بالأموال!![2]

- **مسارعة أهل الأمصار المفتوحة إلى الدخول في الإسلام:**

فقد ترتب على ما تقدم من تمليك الأرض للفلاحين أن سارعوا إلى الدخول في الإسلام، الذي انتشر بينهم بسرعة مدهشة لم يسبق لها مثيل، فقد لمسوا العدل وتبين لهم الحق، وأحسوا بكرامتهم الإنسانية من معاملة المسلمين لهم[3].

- **تدبير الأموال لحماية الثغور:**

فقد امتدت الدولة الإسلامية صوب جهاتها الأربع وانتقلت أسماء الثغور إلى ما وراء حدود الدولة في عصورها الأولى، ومن أهم هذه الثغور ما كان يعرف بالثغور الفراتية، والتي كانت تمتد على طول خط استراتيجي يفصل ما بين الدولة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية وغيرها من الثغور، وقد اتخذ عمر في كل مصر على قدره خيولاً، وقد وصلت قوات الفرسان المرابطين في الأمصار إلى أكثر من ثلاثين ألف

---

(١) الدعوة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب حسني غيطاس ص١٣٠.
(٢) الدعوة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عمر ص١٣١.
(٣) المصدر نفسه ص١٣٢.

فارس، وهذا بخلاف قوات المشاة وأي قوات أخرى كالجمالة وخلافه، وهذه خصصها عمر كجيش منظم لحماية ثغور المسلمين وكفل أرزاقهم وصرفهم عن الاشتغال بأي شيء إلا بالجهاد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، فكان الخراج من الأسباب التي ساقها المولى -عز وجل- لتجهيز هذه القوات وكفالة أرزاق أجنادها[١].

إن الفاروق ﵁ وضع قواعد نظام الخراج باعتباره مورداً من الموارد المالية المهمة لخزينة الدولة، وكان يهدف من ورائه إلى أن يكون بيت المال قائمًا بما يجب عليه من تحقيق المصالح العامة للأمة وحفظ ثغورها وتأمين طرقها، ولا يتأتى ذلك إلا بإبقاء أصحاب الأرض التي تملكها المسلمون عنوة لقاء نسبة معينة مما تنتجه الأرض، وهذا أمرٌ من شأنه أن يزيدهم حماسًا في العمل ورغبة في الاستغلال والاستثمار ومقارنة ذلك بما كانوا يرهقون به من الضرائب من طرف أولياء أمورهم قبل وصول المسلمين[٢].

**٤- العشور:**

هي الأموال التي يتم تحصيلها على التجارة التي تمر عبر حدود الدولة الإسلامية سواء داخلة أو خارجة من أراضي الدولة، وهي أشبه ما تكون بالرسوم الجمركية في العصر الحاضر، ويقوم بتحصيلها موظف يقال له (العاشر) أي الذي يأخذ العشور[٣]، ولم يكن لهذه الضريبة وجود في عهد النبي ﷺ، وخليفته الأول أبي بكر الصديق ﵁؛ لأن تلك الفترة كانت فترة دعوة إلى الإسلام، والجهاد في سبيل نشره، وبناء الدولة الإسلامية، فلما اتسعت الدولة في عهد الخليفة عمر ﵁، وامتدت حدودها شرقًا وغربًا وصار التبادل التجاري مع الدول المجاورة ضرورة تمليها المصلحة العامة، رأى الخليفة عمر ﵁ أن يفرض تلك الضريبة على الواردين إلى دار الإسلام، كما كان أهل الحرب يأخذونها من تجار المسلمين القادمين إلى بلادهم، معاملة بالمثل، وقد أجمع المؤرخون[٤] أن أول من وضع العشر في الإسلام عمر بن الخطاب ﵁ وذلك عندما كتب إليه أهل منبج ومن وراء بحر عدن يعرضون عليه أن

---

(١) المصدر السابق نفسه ص١٣٥ .
(٢) أهل الذمة في الحضارة الإسلامية ص٦٣ .
(٣) الخراج لأبي يوسف ص٢٧١، اقتصاديات الحرب ص٢٢٣ .
(٤) سياسة المال في الإسلام ص١٢٨ .

يدخلوا بتجارتهم أرض العرب وله منها العشر فشاور عمر في ذلك أصحاب النبي ﷺ فأجمعوا على ذلك، فهو أول من أخذ منهم العشور، ولكن عمر أراد أن يتأكد من مقدار ما تأخذه الدول الأخرى من تجار المسلمين إذا اجتازوا حدودهم، فسأل المسلمين: كيف يصنع بكم الحبشة إذا دخلتم أرضهم؟ قالوا: يأخذون عشر ما معنا، قال: فخذوا منهم مثل ما يأخذون منكم[1]، وسأل أيضًا عثمان بن حنيف: كم يأخذ منكم أهل الحرب إذا أتيتم دارهم؟ قال: العشر، قال عمر: فكذلك فخذوا منهم[2]، وروي أن أبا موسى الأشعري كتب إلى الخليفة عمر رضي الله عنه: إن تجارًا من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر، فكتب إليه الخليفة عمر رضي الله عنه: خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين، وخذ من أهل الذمة نصف العشر، ومن المسلمين من كل أربعين درهمًا درهمًا، وليس فيما دون المائتين شيء، فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم، وما زاد فبحسابه[3]، وقد ساهم هذا التشريع الجديد في تنظيم العلاقات التجارية بين الدول، وقد حققت التجارة الإسلامية مكاسب كبيرة في عالم التجارة، حيث فتحت أبواب الدولة الإسلامية للتجارة، وجلبت البضائع والسلع إلى الدولة الإسلامية من كل أنحاء العالم، وهذا بطبيعة الحال شجع التاجر المسلم والأجنبي على زيادة نشاطهم في التصدير والاستيراد من كافة أنحاء العالم، وبذلك نشطت المراكز التجارية داخل بلاد الدولة الإسلامية بما فيها الجزيرة، وزادت حركة القوافل التجارية القادمة والذاهبة من أقاليم الجزيرة إلى الأقاليم الإسلامية الأخرى، كما استقبلت موانئ بلاد الإسلام السفن الكبيرة التي تصل إليها من الهند والصين وشرقي إفريقية محملة بأغلى وأنفس البضائع وظهر ذلك جليًا في العصر الراشدي والدولة الأموية[4]، وقد كان في عهد عمر عشارون يأخذون زكاة ما يمر بهم من أموال التجار ويعتبرون النصاب والحول، قال أنس بن مالك: بعثني عمر بن الخطاب على جباية العراق، وقال: إذا بلغ مال المسلم مائتي

---

(١، ٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٦٥١ .

(٣) الخراج لابي يوسف ص١٤٥، ١٤٦ سياسة المال ص١٢٨ .

(٤) التجارة وطرقها في الجزيرة العربية د. محمد العمادي ص٣٣٢ .

درهم فخذ منها خمسة دراهم، وما زاد على المائتين، ففي كل أربعين درهمًا، درهم[١] وذكر الشيباني أنّ عمر بن الخطاب بعث زياد بن جرير، وقيل: زياد ابن حدير مصدّقًا إلى عين التمر، وأمره بأن يأخذ من أموالهم ربع العشر، ومن أهل الذمة إذا اختلفوا بها للتجارة نصف العشر، ومن أموال أهل الحرب العشر، وجعل عمر بن الخطاب نفقة العاشر أي المصدّق من المال الذي يأخذه[٢].

إن من يفكر في ذلك التحديد الذي رسمه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد يصل إلى أنه فرض العشر على الحربيين لمعاملتهم المسلمين كذلك، فهذا مبدأ المعاملة بالمثل، وأنه فرض نصف العشر على أهل الذمة تمييزًا لهم عن المسلمين، وتطبيقًا لما سبق أن فرضه على نصارى بني تغلب، الذين قبلوا أن تؤخذ منهم الجزية ضعف ما يؤخذ من المسلمين من الصدقة، وأن ما قرره على المسلمين هو بمثابة زكاة، ومعروف نصاب الزكاة لعروض التجارة، وهو الذي جعله حدًا أدنى لأخذها ومنع من تكرار أخذها من المسلمين وأهل الذمة، ما دام رأس المال ثابتًا والبضاعة الواردة لم تزد قيمتها عنه، ولو تكرر مرات دخولها، إلا بعد الحول، وتمشيًا لمبدأ المعاملة بالمثل، فإنه حينما يرفع أهل الحرب ما يأخذونه من المسلمين من ضريبة، فيحق للمسلمين رفع الضريبة على ما يرد منهم إلى دار الإسلام بنفس النسبة، وكذلك الحال عند إسقاطهم لها، فعلى المسلمين إسقاطها عنهم. وهذا ما تسير عليه الدول حديثًا، ويسمى برفع الحواجز الجمركية[٣]، وعندما يكون المسلمون في حاجة إلى بعض البضائع والمنتجات الواردة إليهم فإنهم يخفضون أو يعفون التجار من ضريبتها تشجيعًا لتوريدها، والإكثار منها، وقد فعل الخليفة عمر رضي الله عنه ذلك، حين أمر عماله أن يأخذوا نصف العشر من الحربيين حين دخولهم الحجاز بالزيت والحبوب، كما أمر بإعفائهم أحيانًا أخرى، فعن الزهري عن سالم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه، أنه كان يأخذ من النَّبَط من القطنية العشر، ومن الحنطة والزبيب نصف العشر؛ ليكثر الحمل

---

(١) الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى ص١٠١ .
(٢) شرح السير الكبير (٥/٢١٣٣،٢١٣٤) الحياة الاقتصادية ص١٠١ .
(٣) سياسة المال في الإسلام ص١٣٢ .

إلى المدينة[١]، وقد كان لهذه التنظيمات المالية التي وجدت أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، النفع الكبير في سهولة التبادل التجاري بين المسلمين وجيرانهم، وورود أصناف متعددة من متطلبات الناس واحتياجاتهم فهو لم يقتصر اهتمامه على تنظيم المواد الآتية إلى بيت المال، بل نظم الطرق التي بواسطتها وبسببها يزداد دخل بيت المال، وتنعم البلاد بالرخاء ورغد العيش، ومن ذلك اهتمامه بالتجارة الخارجية، وحسن معاملته لأهلها، وتتبعه العمال والأمراء، والكتابة إليهم بذلك وحرصه على استيفاء حقوق الدولة من غير تعسف في جبايتها[٢].

**٥- الفيء والغنائم:**

أما الفيء، فهو كل مال وصل المسلمين من المشركين من غير قتال، ولا بإيجاف خيل ولا ركاب، ويوزع خمس الفيء على أهل الخمس[٣] الذين بينهم الله سبحانه في كتابه الكريم: **﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾** (الحشر،آية:٧).

وأما الغنائم: فهي ما غلب عليه المسلمون من مال أهل الحرب حتى يأخذوه عنوة[٤]، قال تعالى: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** (الانفال،آية:٤١).

ففي خلافة عمر رضي الله عنه زادت الغنائم زيادة كبيرة لاتساع المناطق المفتوحة ولما كانت تتمتع به من ازدهار اقتصادي كبير، وكان القادة الفرس والروم يخرجون إلى الميدان بكامل أبهتهم، فيقع سلبهم للمسلم، وأحيانًا يبلغ ١٥,٠٠٠ درهم، و ٣٠,٠٠٠ درهم[٥]، وقد فتحت المدن العظيمة كالمدائن وجلولاء وهمذان والري

(١، ٢) سياسة المال في الإسلام ص١٣٣ .

(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية د. جميل عبد الله المصري ص٣٢٢ .

(٤) الخراج لأبي يوسف ص١٩ نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ص١٨٣ .

(٥) عصر الخلافة الراشدة ص١٨٨ .

واصطخر وغيرها، فحاز المسلمون أموالاً عظيمة، مثل بساط كسرى، وهو ٣٦٠٠ ذراع مربعة، أرضه مفروشة بالذهب وموشى بالفصوص وفيه رسوم ثمار بالجواهر، وورقها بالحرير، وفيه رسوم للماء الجاري بالذهب، وقد بيعت بعشرين ألف درهم (٢٠,٠٠٠ درهم) وحاز المسلمون الذهب والفضة والمجوهرات العظيمة من غنائم جلولاء ونهاوند، حيث بلغ خمس جلولاء ستة ملايين درهم(١)، وأعظم الغنائم هي أرض السواد التي وقفها عمر رضي الله عنه للدولة، وأراضي الصوافي التي قتل أصحابها أو فروا عنها، وأملاك كسرى وأهله، حيث جعلت غلتها للدولة، فكانت بإدارتها لصالح بيت المال، ويقال: إن غلتها - فيما بعد - بلغت سبعة ملايين درهم، فقد كانت الغنائم عظيمة القدر، وإنها أغنت المسلمين أفرادًا ودولة وارتفعت بمستوى المعيشة وظهرت آثارها أكثر جلاء في خلافة عثمان رضي الله عنه(٢).

هذه هي أهم مصادر الدولة في عهد الفاروق رضي الله عنه.

**ثانياً: بيت مال المسلمين وتدوين الدواوين:**

بيت المال: هو المكان الذي ترد إليه جميع موارد الدولة، وهو كذلك المكان الذي تصرف منه جميع مصروفاتها من أعطيات الخلفاء والجيش والقضاة والعمال والمرافق العامة والخاصة للدولة وهكذا(٣)، وأما الدواوين: فهي السجلات والدفاتر التي تسجل فيها أمور الدولة وقد أطلقت كلمة ديوان على المكان الذي يجتمع فيه الكتاب والموظفون العاملون بتلك السجلات عند الفرس(٤)، وفي بداية الدولة الإسلامية لم يكن هناك بيت مال بالمعنى الذي عرف به فيما بعد، فقد كانت سياسة الرسول ﷺ تقوم على ألا يؤخر تقسيم الأموال أو إنفاقها، وقد سار أبو بكر على نهج النبي ﷺ، ونهج الفاروق طريق صاحبيه في أول خلافته، حتى اتسع سلطان الدولة شرقًا وغربًا، فبدأ بالتفكير في طريقة يدبر فيها ما تجمع لدى الخليفة من أموال الفتوحات وغنائمها، وإيرادات الجزية والخراج والصدقات، فكثرت الجيوش

---

(١، ٢) عصر الخلافة الراشدة ص١٨٩. (٣) سياسة المال في الإسلام ص١٥٥.

(٤) مقدمة ابن خلدون ٢٤٣، سياسة المال في الإسلام ص١٥٥.

واحتاجت إلى ضبط احتياجاتها وأسماء رجالها خوفًا من ترك أحدهم دون عطاء، أو تكرار العطاء للآخرين وتوالت حملات الفتح وانتصاراتها، فكثرت الأموال بشكل لم يكن معروفًا لدى المسلمين من قبل، فرأى أمير المؤمنين عمر ألا طاقة للخليفة وأمرائه بضبطها، وأنه ليس من الحكمة الاقتصادية أن يترك زمام الأمور المالية بيد العمال والولاة دون أن يضبطها عدًا أو يحصيها حسابًا، فكان نتيجة ذلك التفكير مليًا في وضع قواعد ثابتة لهذه الأموال، ومن هنا نشأ الديوان، وكان عمر رضي الله عنه هو أول من وضع الديوان في الدولة الإسلامية[(١)] وقصة ذلك كما تناقلها المؤرخون: أن أبا هريرة قال: قدمت من البحرين بخمسمائة ألف درهم فأتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسألني عن الناس، فأخبرته، ثم قال لي: ماذا جئت به؟ قال: قلت: جئت بخمسمائة ألف، قال: ويحك. هل تدري ما تقول؟ قلت: نعم، مائة ألف، ومائة ألف، ومائة ألف، ومائة ألف، ومائة ألف. قال: إنك ناعس، ارجع إلى أهلك فنم، فإذا أصبحت فائتني، فلما أصبحت أتيته، فقال: ماذا جئت به؟ قلت: جئت بخمسمائة ألف، قال: ويحك! هل تدري ما تقول؟! قلت: نعم، مائة ألف، حتى عدها خمس مرات، يعدها بأصابعه الخمس قال: أطيب؟ قلت: لا أعلم إلا ذلك. قال: فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنه قد جاءنا مال كثير، فإن شئتم أن نكيلكم كيلاً، وإن شئتم أن نعدكم عداً فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إني قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديوانًا لهم[(٢)]، فاشتهى عمر ذلك[(٣)]، وقد استشار عمر المسلمين في تدوين الدواوين، فأشار بعضهم بما يراه إلا أن الوليد ابن هشام بن المغيرة، قال: جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانًا وجندوا جندًا، فَدَوَّنْ ديوانًا وَجَنَّدْ جندًا، وفي بعض الروايات أن الذي قال ذلك هو خالد بن الوليد[(٤)]، وذكر بعض المؤرخين أنه كان بالمدينة بعض مرازبة الفرس، فلما رأى حيرة

---

(١) سياسة المال في الإسلام ص١٥٧ .

(٢) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٠٠، ٣٠١) خبر صحيح.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص٢٤٤ ، والخراج لأبي يوسف ص٤٨، ٤٩ .

(٤) الأحكام السلطانية ص٢٢٦، ٢٢٧ ، وفتوح البلدان ص٤٣٦ .

عمر قال له: يا أمير المؤمنين: إن للأكاسرة شيئًا يسمونه ديوانًا جميع دخلهم وخرجهم مضبوطة فيه لا يشذ منه شيء، وأهل العطاء مرتبون فيه مراتب لا يتطرق عليها خلل، فتنبه عمر وقال: صفه لي، فوصفه المرزبان فدون الدواوين وفرض العطاء[١]، وقد حبذ عثمان التدوين فأشار برأيه: أرى مالاً كثيرًا يسع الناس وإن لم يحصوا حتى يُعرف من أخذ ممن لم يأخذ، خشية أن ينتشر الأمر[٢]. هذه بعض الروايات التي حدثت بناء على استشارة عمر ﷺ في مرات متعددة لمن يحضرون عنده، وهناك اختلاف بين المؤرخين في السنة التي تم فيها التدوين، فمن قائل: إن ذلك في السنة الخامسة عشرة للهجرة كالطبري وعنه أخذ ابن الأثير وغيرهم، وقال آخرون: إن ذلك كان في شهر محرم من سنة عشرين هجرية كالبلاذري، والواقدي، والماوردي وابن خلدون[٣] وغيرهم، والأرجح أن يكون تمّ في سنة عشرين هجرية؛ لأنه في سنة خمس عشرة كانت القادسية، ولم يستكمل فتح العراق والشام ومصر إلا بعدها[٤] وقد سار عمر في تقسيم الأموال على خلاف ما سار عليه أبو بكر حيث كان الصديق يقسم الأموال بين الناس بالسوية، في حين قسم عمر أعطياتهم على حسب السابقة في الإسلام والفضل في الجهاد ونصرة رسول الله ﷺ[٥]، وقد كان رأي الفاروق هذا من زمن الصديق وقال لأبي بكر لما رآه سوّى بين الناس قال له: أتسوي بين من هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين، وبين من أسلم عام الفتح خوف السيف؟ فقال له أبو بكر: إنما عملوا لله وإنما أجورهم على الله، وإنما الدنيا دار بلاغ للراكب، فقال له عمر: لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه[٦]، ولذلك قسم الفاروق الناس في العطاء إلى:

- ذوي السوابق الذين بسابقتهم حصل المال.

---

(١) الأحكام السلطانية ص٢٢٦ ، تاريخ الإسلام السياسي (١/٤٥٦).
(٢) الأحكام السلطانية ص٢٢٦ ، سياسة المال ص١٥٨ .
(٣) مقدمة ابن خلدون ص٢٤٤ ، سياسة المال ص١٥٩ .
(٥،٤) سياسة المال في الإسلام ص١٥٩ .
(٦) الأحكام السلطانية للماوردي ص٢٠١ .

- من يغني المسلمين في جلب المنافع لهم كولاة الأمور والعلماء الذين يجلبون لهم منافع الدين والدنيا.

- من يبلي بلاء حسنًا في دفع الضرر عنهم كالمجاهدين في سبيل الله من الجنود والعيون والناصحين نحوهم.

- ذوي الحاجات[(١)].

هذه سياسته في التقسيم تضمنها قوله: ليس أحد أحق بهذا المال من أحد إنما هو الرجل وسابقته والرجل وغناؤه، والرجل وبلاؤه، والرجل وحاجته[(٢)]، وقد دعا الفاروق ﷺ عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم، وكانوا من شبان قريش وقال: اكتبوا للناس على منازلهم، فبدءوا ببني هاشم فكتبوهم ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم عمر وقومه، وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة ثم رفعوه إلى عمر، فلما نظر فيه قال: لا، ما وددت أنه كان هكذا، ولكن ابدءوا بقرابة النبي ﷺ الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله، فجاءت بنو عدي إلى الخليفة عمر ﷺ وقالوا: إنك خليفة رسول الله ﷺ وخليفة أبي بكر ﷺ وأبو بكر خليفة رسول الله ﷺ فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم الذين كتبوا فقال: بخ بخ يا بني عدي، أردتم الأكل على ظهري، وأن أهب حسناتي لكم لا، ولكنكم حتى تأتيكم الدعوة وأن ينطبق عليكم الدفتر - يعني ولو تكتبون آخر الناس - إن لي صاحبين سلكا طريقًا فإن خالفتهما خولف بي، ولكنه والله ما أدركنا الفضل في الدنيا ولا نرجو الثواب عند الله تعالى على عملنا إلا بمحمد ﷺ، فهو شرفنا وقومه أشراف العرب ثم الأقرب فالأقرب، ووالله لئن جاءت الأعاجم بعمل وجئنا بغير عمل لَهُمْ أولى بمحمد ﷺ منا يوم القيامة؛ فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه[(٣)]، وبدأ عمر ﷺ تسجيله بديوان سجل فيه أصحاب الأعطيات ومقدار أعطياتهم، وسمَّى ديوان الجند على أساس أن جميع

---

(١) السياسة الشرعية لابن تيمية ص٤٨، وأولويات الفاروق ص٣٥٨.

(٢) جامع الأصول (٢/ ٧١)، وأخبار عمر ص٩٤.

(٣) فتوح البلدان ص٤٣٦، والأحكام السلطانية ص٢٢٧.

العرب المسلمين جنود للجهاد في سبيل الله، فبدأ سجله للجيش ببني هاشم الأقرب فالأقرب من رسول الله ﷺ ثم بمن بعدهم طبقة بعد طبقة، وجعل لكل واحد من المسلمين مبلغًا محددًا، وفرض لزوجات النبي ﷺ وسراريه، وسائر المسلمين من الرجال والنساء والأطفال منذ الولادة والعبيد بمقادير مختلفة(١)، وبإخراج هذا الديوان أظهر عمر اهتمامه بأمر الجهاد في سبيل الله، واعتنى بأمر المجاهدين حفظًا لحقوقهم، وعمل سجل الجند باللغة العربية بالمدينة المنورة على يد نفر من نوابغ قريش وعلماء الأنساب منهم، ثم أمر بعمل الدواوين في أقاليم الدولة الإسلامية، فدونت بلغة البلاد المفتوحة، ولم يتم تعريبها إلا في خلافة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد، وبعد تدوين الدواوين صار عمر يجمع المال مدة سنة ثم يقسمه بين الناس؛ لأنه يرى أن جمعه أعظم للبركة، فكان جمع المال يستلزم أن يكون له أمناء، فكان زيد بن أرقم على بيت المال في عهد عمر(٢)، وروى أبو عبيد بسنده عن عبد القاري من قبيلة القارة قال: كنت على بيت المال زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٣).

### ثالثًا- مصارف الدولة في عهد عمر:

تنقسم مصارف بيت المال إلى ثلاثة أقسام هي: مصارف الزكاة وما يتصل بها، ومصارف الجزية والخراج والعشور وما يتصل بها، ومصارف الغنائم وما يتصل بها، وقد بين القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعمل الصحابة رضي الله عنهم مصارف هذه الأبواب(٤).

### ١- مصارف الزكاة:

ذكر المولى -عز وجل- ثمانية أصناف ممن تجب لهم الزكاة قال تعالى: **﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** (التوبة، آية: ٦٠).

وقد كان الفقراء والمساكين في عهد عمر رضي الله عنه يعطون من هذه الأموال ما يبعدهم

---

(١) سياسة المال في الإسلام ص١٦٠ .

(٢) صبح الأعشى في قوانين الإنشاء للقلقشندي (١/ ٨٩).

(٣) فقه الزكاة (١/ ٣١٨) هذا المصدر والذي فوقه من سياسة المال ص١٦٠ .

(٤) سياسة المال في الإسلام ص١٦٩ .

عن المسكنة والفقر، ويخرجهم من الفاقة والعوز، ويقربهم إلى أدنى مراتب الغنى واليسار[١]، وقد كان عمر رضي الله عنه يقول: إذا أعطيتم فأغنوا[٢]، وهذه هي السياسة العمرية الراشدة وهي إعطاء ما يكفي وزيادة النسبة للعجز المؤقت، أما العجز المزمن من مرضى ونحوه، فإن الزكاة بالنسبة لهذا الصنف من الناس معونة دائمة منتظمة، حتى يزول الفقر بالغنى، ويزول العجز بالقدرة، والبطالة بالكسب، وتتعدى هذه السياسة العمرية المسلمين فتشمل مساكين أهل الكتاب بعد إسقاط الجزية عنهم[٣]، كما أن من نفقات الزكاة العاملين عليها فهم لهم وظائف شتى، وأعمال متشعبة، كلها تتصل بتنظيم الزكاة، وبإحصاء من تجب عليه، وفيم تجب؟ ومقدار ما يجب، ومعرفة من تجب له؟ وكم عددهم؟ ومبلغ حاجتهم، وقدر كفايتهم، إلى غير ذلك من الشئون التي تحتاج إلى جهاز كامل من الخبراء وأهل الاختصاص ومن يعاونهم[٤]، وأما المؤلفة قلوبهم، فقد أسقط عمر سهمهم؛ وذلك لأن الإسلام كان قوي الجانب في خلافته فلا حاجة للإنفاق من أموال الزكاة على هذا الصنف من الأصناف الثمانية التي نصت عليها الآية[٥]، وأما في عصرنا الحاضر فلا يزال التأليف موجوداً بصورة أو أخرى، ويوجد من تنطبق عليهم شروط المؤلفة قلوبهم[٦]، وقد استغل بعض خصوم الإسلام ودعاة الجمود من المسلمين إسقاط نصيب المؤلفة قلوبهم من الزكاة في عهد عمر فكتبوا عن هذه القصة، وادعوا أن عمر رضي الله عنه بهذا أوقف نصًّا من نصوص القرآن الكريم، وهذا الادعاء ليس بصحيح، كما أنه لا يتفق مع الحقيقة، فالواقع أن الخليفة عمر رضي الله عنه أوقف نصيب المؤلفة قلوبهم لسبب وحكمة، وهي أن الإسلام أصبح عزيزاً قويًا بعد أن كان ضعيفًا في عهده الأول، ورأى رضي الله عنه أنه لا داعي لتأليف هؤلاء وهؤلاء بعد العزّة والنصر والقوة[٧].

---

(١) النظام الإسلامي المقارن ص١١٢ ، سياسة المال ص١٧١ .
(٢) الأموال لأبي عبيد (٤/٦٧٦)، سياسة المال ص١٧١ .
(٣) سياسة المال في الإسلام ص١٧٢ .
(٤) المصدر نفسه ص١٧٣ .
(٥) عصر الخلافة الراشدة ص٢٠٢ .
(٦) سياسة المال في الإسلام ص١٧٥ .
(٧) سياسة المال في الإسلام ص١٧٧، ١٧٨ .

وقد وافق الصحابة على قرار الفاروق، ولم تأت هذه الموافقة اعتباطًا وإنما نتيجة الاقتناع بالمبررات التي دفع بها لإيقاف إعطاء المؤلفة قلوبهم من حيث إن الإسلام قد غدا في قوة ومكنة تجعلانه في غنى عن عدد قليل لا وزن له، بعد دخول أمم كثيرة في الإسلام، كما أنه ليس ثمة خوف من هؤلاء الذين يطلبون التأليف، بل كان الخوف عليهم أن يظلوا على نزعتهم التواكلية، ثم إن حق هؤلاء ليس حقًا موروثًا يتوارثونه جيلاً بعد جيل[1]، إن عمر لم يقف جامداً أمام هذا النص فيما يتصل بسهم المؤلفة قلوبهم، فهو قد فهم أن المقصود من النص هو إعزاز الإسلام بدخول أشراف العرب فيه، وتثبيت من أسلم منهم على الإسلام، فقد نظر إلى علة النص لا إلى ظاهره، وحيث أعز الله الإسلام وكثر أهله فقد أصبح الإعطاء حينئذ -في نظر عمر- ذلة وخنوعًا، وزالت العلة التي من أجلها جعل الله للمؤلفة قلوبهم نصيبًا من الزكاة، وبناء على ذلك أوقف عمر هذا السهم ولم يعطه لهم، وبناء على هذا الفهم الصحيح لا يجوز أن نقول: إن عمر ألغى العمل بالنص القرآني المتعلق بإعطاء المؤلفة قلوبهم نصيبًا من الزكاة لأن ذلك من قبيل النسخ، ولا نسخ إلا من طرف صاحب الشرع نفسه وعليه فلا نسخ بعد وفاة الرسول ﷺ[2]، لقد كان عمر رضي الله عنه يراعي تغير الظروف والعلل التي بنيت عليها نصوص الأحكام، ولم يكن يقف مع ظواهرها كما سبق القول[3]، كما كان الإنفاق في الرقاب، والغارمين، وفي سبيل الله وابن السبيل، وقد اعتنى القرآن الكريم بابن السبيل أيّما اعتناء، فقد جعل له سهمًا من الزكاة ونصيبًا من الفيء ومن خمس الغنائم، وعناية الإسلام بالمسافرين الغرباء والمنقطعين عناية فذة لم يعرف لها نظير في نظام من الأنظمة أو شريعة من الشرائع، ويؤكد هذه العناية هدي النبي ﷺ والصديق، كما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتخذ في عهده دارًا خاصة أطلق عليها (دار الدقيق)، وذلك أنه جعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه، يعين به المنقطع، والضيف ومن ينزل بعمر، ووضع

---

(١) الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام ص٣٠٦ .
(٢) الاجتهاد في الفقه الإسلامي ص١٣٢، ١٣٣ .
(٣) المصدر نفسه ص١٣٤ .

عمر في طريق السبل ما بين مكة والمدينة ما يصلح من ينقطع بـه، ويحمل من ماء إلى ماء[١].

إن هذا التحـديد للأصناف الثمانية يوجـب على الدولة حصرهم وتتبع حـالتهم وأن يكون هناك سجلات في كل بلد، ثم في المقر الرئيسي للدولة، وقد كان للصدقة ديوان خاص بها في دار الخلافة، له فروع في سـائر الولايات وقد كان ذلك في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه بعد تدوين الدواوين[٢]، إن نظرة إلى تلك الأصناف الثمانية الذين ذكرتهم الآية نلاحظ أنها قد شملت المصالح الدينية والسياسية والاجتماعية من دعوة للجهاد في سبـيل الله، وتكوين الجيوش، والعمل على القضـاء على الفقر، وسداد الدين، ودفع الحاجة عن ذوي الحاجة، أي إنها تشـمل كل متطلبات المجتمع وإيجاد الأمن والمحبة والتآلف بين أفراده[٣].

**٢- مصارف الجزية والخراج والعشور:**

تصرف في أعطيات الخلفاء، والعـمال والجند، وآل البيت، وزوجات المجاهدين وغيرها من أوجه الخير.

- **أعطيات الخليفة:** وقد فرض للخليـفة عمر رضي الله عنه من الأعطيات خـمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم على رواية أخرى.

**أعطيات العمال:** أي ولاة الأقاليم، ففي عهد الخليـفة عمر رضي الله عنه، عين الفاروق في كل ولاية، واليًـا حـازمًا عـادلاً لحكمـهـا وإدارتها، وزوده بـعدد من الأعـوان والمساعـدين والجباة والقضـاة والكتّاب وعمـال الخراج، والصدقات وغـيرهـم، فكان للصـلاة والحرب عامل -وهو الأمـير- ولتـحصـيل الأموال عـامل آخر، ولمسـاحة الأراضي وتقدير الضرائب وإحـصاء الناس عمّال لهم خبـرة ودراية، وقد أجرى لهم الأعطيات بما يتناسب مع منصب كل منهم وما تتطلبه أعـماله، مراعيًا في ذلك حالة الإقليم من قرب وبعد، وتوفر خيرات، ورخص وغـلاء، ولم يجعل لصرفها موعدًا

(١) الطبقات (٣/ ٢٨٣).

(٢، ٣) سياسة المال في الإسلام ص١٨٤.

ثابتًا لا يتخلف[١] ، وسيأتي الحديث عن العمـال بالتفصيل بإذن الله عند حديثنا عن مؤسسة العمال.

- أعطيات الجند:

اهتم عمر رضي الله عنه بأمر الجند فنظم ديوان الجيش، وسار في تقسيم الأرزاق فيه على أساس القربى من النسب النبوي الشـريف، والسابقة للإسلام[٢]، وبذلك أصبح في مقدمـة أصحاب المعـاشات آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو هاشم وكان الـعباس يتسلمها ويوزعها عليهم، ثم زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وتختص كل واحدة بمعاش مستقل عن آل البيت، أما بقية المسلمين فقد قسـموا إلى طبقات حسب ترتيب اشتراكهم في الجهاد في سبـيل الله، فبدأ بأهل بدر، ثم من حاربوا بعد بدر إلى الحـديبية، ثم من حاربوا من الحديبية إلى آخر حروب الردة، ثم من تلاهم ممن شهد القادسية واليرموك وهكذا، كما أنه جعل مخصصات لزوجات المحاربين وأطفالهم منذ الولادة ولم يغفل أمر الغلمـان، واللقطاء، بل خصص لهم أعطيات سنوية، أدناها مـائة درهم، تتزايد عند بلوغهم[٣]، كما فرض للموالي من ألفين إلى ألف[٤]، وقد وردت روايات كثيرة تتفق فـيما بينها في كـثير من أرقام المقررات التـي قررها الخليفة عمـر رضي الله عنه أعطيات للجند، وتختلـف بعض الاختلافـات في تلك المقادير[٥]، وأما ما صح مـن مقادير العطاء، فإن عطاء زوجات النبي صلى الله عليه وسلم كان عشرة آلاف درهم (١٠٠٠٠ درهم) كل سنة إلا جويرية وصفية وميـمونة فقد فرض لهن أقل من ذلك، ثم زاد عطاءهن إلى اثني عشر ألف درهم (١٢٠٠٠ درهم) إلا صـفية وجويرية كـان عطاؤهن ستة آلاف درهم (٦٠٠٠ درهم)، وقد طالبت عائشة بالمساواة بين أمـهات المؤمنين، فوافق عمر على مسـاواتهن، وكان عطاء المهاجرين والأنصـار أربعة آلاف درهم (٤٠٠٠ درهم) لكل واحد سنويًا سوى عـبد الـله بن عمـر بن الخطاب فإنه فـرض له ثلاثة آلاف وخمسمائة درهم (٣٥٠٠ درهم) معللاً ذلك بأنه هاجر به أبوه، أي ليس كمن هاجر

(١) سياسة المال في الإسلام ص١٩٨ .
(٢) الأحكام السلطانية ص٢٢٧، سياسة المال ص١١٩.
(٣) الطبقات (٣/ ٣٠١).
(٤) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٥٣، ١٥٤).
(٥) سياسة المال في الإسلام ص٢٠٠.

بنفسه(١)، وكان عبد الله صبيًّا حين الهجرة، ثم زاد المهاجـرين ألفًا فصار عطاؤهم خمسة آلاف درهم (٥٠٠٠ درهم) كل سنة(٢)، ويبدو أن هذا العطاء للبدريين فقط من المهاجـرين والأنصار(٣)، وأما من شـهد صلح الحديبـية فكان عطاؤه ثلاثة آلاف درهم (٣٠٠٠ درهم) كل سنة(٤)، وفـرض لكل مـولود مـائة درهم (١٠٠ درهـم) وكان يفـرض للفطيم ثم فرض للمولود حين ولادته خـوفًا من تعجيل فطامـه، وأما الموالي فقد فرض لأشرافهم كالهرمزان حينما أسلم ألفي درهم (٢٠٠٠ درهم) وغير ذلك من الأعطيـات، وإضافـة إلى العطاء السنوي فإن عـمر ﷺ كـان يوزع عطايا متفـرقة(٥)، وإلى جانب مـا خصص لكل فرد ممن سـبق ذكرهم وزيادة على عطائه السابق طعام من الحنطة كل شهر(٦)، وقد قال الخليفة عمر ﷺ في آخر عهده: لئن كثر المال لأفرضن لكل رجل أربعة آلاف درهم، ألف لسفره، وألف لسلاحه، وألف يخلفها لأهله، وألـف لفرسه وبغله(٧)، وقد رأى الخليفة عـمر ﷺ أن لكل مسلم حقًّا في بيت المال، منذ أن يولد حتى يموت، ولقد أعلن هذا المبدأ بقوله: والله الذي لا إله إلا هو -ثلاثًا- ما من أحد إلا له في هذا المال حق أُعطِيَـه أو مُنِعَه، وما أحد بأحق به من أحد إلا عـبد مملوك، وما أنا فـيه إلا كأحـدكم، ولكنا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله ﷺ فالرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل وحاجـته، والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجـبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مـكانه قبل أن يُحْـمَرَّ وجـهه(٨)، ومن المهم أن نتبين وجهة نظر عمر ﷺ في عدم المساواة بين المسلمين في العطاء، ودعمه الواضح لقـرابة الرسول ﷺ ولكبـار الصحابة من المهـاجرين والأنصـار واعتـباره للسابقة في الإسلام والبلاء في الجهاد، فلا شك أن الفئة التي حازت الأموال الوفيرة في خلافته هي التي أقامت على أكتافها صرح الدولة الإسـلامية، كما أنها أكثر فقهًا

---

(١-٣) عصر الخلافة الراشدة ص٢١٤ . (٤، ٥) المصدر نفسه ص٢١٥.

(٦) سياسة المال في الإسلام ص٢٠٢.

(٧) سياسة المال في الإسلام ص٢٠٣، الطبقات الكبرى (٣/ ٢٩٨).

(٨) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٩٩) كتاب الخراج لأبي يوسف ص٥٠.

والتزامًا بالشرع ومقاصده، وأكثر ورعًا وصلاحًا في التعامل مع المال، وتذليله لتحقيق المقاصد الاجتماعية عن طريق الإنفاق، ودعم هذه الفئة اقتصاديًا يقوي نفوذها في المجتمع، ويجعلها أقدر على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويلاحظ أن عمر رضي الله عنه عزم على تبديل سياسة التفضيل في العطاء إلى المساواة، وقد صرّح بذلك في آخر خلافته قائلاً: لئن بقيت إلى قابل، لألحقن آخر الناس بأولهم ولأجعلنهم بيانًا واحدًا[1] -أي سواء- وأما عن نظرة عمر إلى الأموال العامّة فقد عبّر عنها بقوله: إن الله جعلني خازنًا لهذا المال، وقاسمًا له، ثم قال: بل الله يقسمه[2]، وقد بكى عندما رأى عظمة الأموال التي جلبت إلى بيت المال في فتوح فارس، فلما ذكره عبد الرحمن بن عوف بأنه يوم شكر وسرور وفرح وقال عمر رضي الله عنه: كلا إن هذا لم يعطه قوم إلا ألقي بينهم العداوة والبغضاء[3]، ونظر إلى أموال فتح جلولاء فقرأ الآية: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ** ﴾ (آل عمران، آية: ١٤) وقال: اللهم لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا، اللهم فاجعلني أنفقه في حقه، وأعوذ بك من شره[4].

### ٣- مصارف الغنائم:

أما توزيع الغنائم فقد قسمها الله تعالى ورسوله ﷺ كما جاء في الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ..** ﴾ (الأنفال، آية: ٤١)، وأما أربعة أخماس الغنيمة الباقية فكانت توزع بين الغانمين، للفارس ثلاثة أسهم: سهمان لفرسه وسهم له، وللراجل سهم[5]، وقد كان للرسول ﷺ سهم في حياته ينفقه على نفسه، وأزواجه، وما بقي من هذه الأسهم كان يجعله في المصالح العامة أو ينفقه على أهل الفاقة والاحتياج، وكان لذوي

(١) عصر الخلافة الراشدة ص٢١٦، الأموال ابن زنجويه (٢/٥٧٦).
(٢) الأثر صحيح، عصر الخلافة الراشدة ص٢١٦.
(٣) عصر الخلافة الراشدة، ص٢١٧ الأثر صحيح.
(٤) عصر الخلافة الراشدة ص٢١٧ الأثر حسن.
(٥) الخراج لأبي يوسف ص٢٢.

قربى الرسول ﷺ السهم الثاني، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب الذين خضعوا للإسلام وشملتهم دعوته ﷺ وقد اختلف الناس بعد وفاة الرسول ﷺ في هذين السهمين، سهم الرسول ﷺ، وسهم ذوي القربى، فقال قوم: سهم الرسول ﷺ للخليفة من بعده، وقال آخرون: سهم ذوي القربى لقرابة الرسول ﷺ، وقالت طائفة: سهم ذوي القربى لقرابة الخليفة من بعده، فأجمعوا على أن جعلوا هذين السهمين في الكراع والسلاح[1]، وبذلك أصبحت مخصصات السهمين تصرف في مصالح المسلمين العامة، كتجهيز الجيوش، وسد الثغور، والعمل على تقوية الدولة وتمكينها، في عهد الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأما مخصصات الفقراء والمساكين وأبناء السبيل، فقد بقيت كما كانت على أيام الرسول ﷺ، ولم يطرأ عليها أي تغيير أو تعديل في أيام الخليفة الثاني رضي الله عنه[2].

هذه بعض المعالم الواضحة على المؤسسة المالية في زمن الفاروق وكيف عمل على تطويرها، وقد كان رضي الله عنه شديد الورع في المال العام ويظهر ذلك في قوله: أنا أخبركم بما أستحل من مال الله، حلة الشتاء والقيظ وما أحج عليه وأعتمر من الظهر، وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم، أنا رجل من المسلمين يصيبني ما يصيبهم[3]، وكان يقول: اللهم إنك تعلم أني لا آكل إلا وجبتي، ولا ألبس إلا حلتي، ولا آخذ إلا حقي[4]. وكان يقول: إني أنزلت مال الله مني بمنزلة مال اليتيم، من كان غنيًا فليستعفف، ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف[5].

### ٤- أمور متعلقة بالتطوير الاقتصادي في الدولة:

#### - إصدار النقود الإسلامية:

النقود من المعادن الثمينة كالذهب والفضة، وهي وسيلة ضرورية للحياة

(١) الخراج لأبي يوسف ص٢٢.

(٢) سياسة المال في الإسلام ص٢٠٥، ٢٠٦.

(٣) تاريخ المدينة لابن شبة (٢/٦٩٨) الأثر صحيح.

(٤) المصدر نفسه (٢/٦٩٨)، عصر الخلافة الراشدة ص٢١٨.

(٥) الطبقات (٣/٣١٣)، عصر الخلافة الراشدة ص٢١٨.

الاجتماعيـة الخاصة والعامة، لا سيما فـي التعامل بين الأمم والدول، وما يعنينا من هذا الموضـوع - وقد أصبح للإسـلام دولة فـيهـا مـسلمون وغـيـرهم من الناس، ويجاورها أمم ودول ذات نظم وحـضارات، ظلت تتـعامل مع الدولة الإسلامية في عهـد عمر وغيـره من خلفاء وأمراء المسلمين - هو الناحـية التنظيمـية والإدارية التي سلكها عمـر بشأن النقود، سواء أكان في داخل الدولة الإسلامـية أم في دور الحرب الأخرى[١]، فالمعلومات التاريخية تشير إلى: أن عمر بن الخطاب قد أبقى على تداول النقود والعملة التي كانت متداولة قبل الإسلام وفي عهد الرسول ﷺ وأبي بكر بما كان عليها من نقوش هرقليـة عليها نقوش مسيحية أو كـسروية رُسم فيها بيت النار، بيد أنه أقرها على معيارها الرسمي المعروف على عهد النبيﷺ وأبي بكر، مضيفًا إليها كلمة جائز، لتمييزها من البهارج الزائفات[٢]، فالذي ضرب النقود المسكوكة في الخارج وأقر التعامل بها وقـرر الدرهم الشرعي في الإسلام هو الفاروق رضي الله عنه، يقول الماوردي: إن عـمر بن الخطاب هو الذي حـدد مـقدار الدرهم الشـرعي[٣]، ويقول المقريزي: وأول من ضرب النقود في الإسلام عـمر بن الخطاب سنة ثماني عشرة من الهجرة على نقش الكسـروية، وزاد فيها: الحمد لله. وفي بعـضها: لا إله إلا الله، وعلى جزء منهـا اسم الخليفة عـمر[٤]، وعليه فـإن الفاروق رضي الله عنه قد وضع تنظيـمًا خاصًا لوسيلة من وسائل الحـياة الضرورية للمسلمين وغيـرهم في أثناء حكمه، وقد تبـعـه الخلفـاء الراشدون وغـيـرهم ممن طوروا هذا الأمـر مع تطور وتقـدم المدنيـة والحضارة[٥].

### - الإقطاع:

مضى أبو بكر رضي الله عنه في تـطبيق السيـاسة النبوية في إقطاع الأراضـي للناس طلبًا لاستصلاحها، فقد أقـطع الزبير بن العوام أرضًا مواتًا ما بين الجرف وقناة[٦]، وأقطع

---

(١) الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ص٣٦٤ .
(٢) المصدر نفسه ص٣٦٦ .
(٣) الأحكام السلطانية ص١٤٧ .
(٤) شذور العقود في ذكر النقود ص٣١-٣٣ .
(٥) الإدارة العسكرية في عهد عمر ص٣٦٧ .
(٦) الطبقات الكبرى (٣/ ١٠٤) الأثر صحيح، عصر الخلافة الراشدة ص٢٢٠ .

مجاعة بن مرارة الحنفي الخضرمة (قرية كانت باليمامة) وأراد إقطاع عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس التميمي أرضًا سبخة - ليس فيها كلأ ولا منفعة - أرادا استصلاحها ثم عدل عن ذلك أخذًا برأي عمر رضي الله عنه في عدم الحاجة لتأليفهما على الإسلام، فقد قال لهما عمر رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ كان يتألفكما والإسلام يومئذ ذليل، وإن الله -عز وجل- قد أعز الإسلام، فاذهبا فاجهدا جهدكما[1]، ومن الواضح أن اعتراض عمر ليس على مبدأ الإقطاع لاستصلاح الأراضي بل على أشخاص بعينهم لا يرى تأليفهم على الإسلام، وقد توسع عمر رضي الله عنه في إقطاع الأراضي لغرض استصلاحها جريًا على السياسة النبوية، فقد أعلن: يأيها الناس من أحيا أرضًا ميتة فهي له[2]، وتعتضد آثار ضعيفة لتؤكد انتزاع عمر رضي الله عنه ملكية الأرض المقتطعة إذا لم يتم استصلاحها، وتحدد رواية ضعيفة لذلك ثلاث سنوات من تاريخ الإقطاع، وقد ثبت إقطاع عمر رضي الله عنه لخوات بن جبير أرضًا مواتًا[3] وللزبير بن العوام أرض العقيق جميعها، ولعلي بن أبي طالب أرض ينبع، فتدفق فيها الماء الغزير، فأوقفها علي رضي الله عنه صدقة على الفقراء، وتوجد آثار ضعيفة لإقطاعه عددًا من الصحابة الآخرين[4].



---

(١) البخاري، التاريخ الصغير (١/ ٨١)، عصر الخلافة الراشدة ص٢٢١ .
(٢) عصر الخلافة الراشدة ص٢٢١ الأثر صحيح.
(٣) المصدر نفسه ص٢٢١ .
(٤) المصدر نفسه ص٢٢٢ .

# ■ الفصل الخامس ■

# فقه عمر رضي الله عنه في التعامل مع الولاة

لما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد عمر، قسم الدولة أقسامًا إدارية كبيرة، ليسهل حكمها والإشراف على مواردها، وقد كانت الفتوحات سببًا رئيسًا في تطوير عمر لمؤسسات الدولة ومن بينها مؤسسة الولاة.

## المبحث الأول: أقاليم الدولة

يعتبر تقسيم الولايات في عهد عمر امتدادًا في بعض نواحيه لما كانت عليه في عهد أبي بكر إقليميًا، مع وجود تغيرات في المناصب القيادية لهذه الولايات في كثير من الأحيان وإليك نبذة مختصرة عن هذه الولايات.

### أولاً: مكة المكرمة:

تولى ولاية مكة في عهد عمر رضي الله عنه مُحرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد شمس ثم ولي مكة لعمر قُنفُذ بن عمير بن جدعان التميمي، وشأنه شأن من سبقه فلم تذكر أخبار عن مدة ولايته لمكة أو أحداثها. وبعده تولى مكة لعمر (نافع بن الحارث الخزاعي) وقد توفي عمر رضي الله عنه وهو على مكة وذكرت المصادر بعض الأحداث عن ولايته مكة منها شراؤه دارًا من صفوان بن أمية بغرض جعلها سجنًا وذلك فيما رواه البخاري[1] وقد ورد أيضًا أن نافعًا لقي عمر بـ (عُسفَان) أثناء قدومه للحج فقال له عمر: من استعملت على الوادي يعني مكة؟ قال نافع: ابن (أبْزى) قال: ومن ابن أبْزى؟ قال: مولى من موالينا، فقال: استعملت عليهم مولى؟ فقال: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم قال: الله يرفع بهذا الكتاب قومًا ويضع به آخرين[2]، وفي عهد عمر كانت أبرز الأعمال لولاية مكة هي توسعة الحرم المكي حيث قام عمر بشراء بعض الدور المجاورة للحرم وأمر بهدمها وإدخالها

(١) البخاري، ك الخصومات (٣/٢٥) باب الربط والحبس مسند أحمد رقم ٢٣٢ الموسوعة الحديثية إسناده صحيح.
(٢) الولاية على البلدان عبد العزيز العمري (١/٦٧) وهذا أهم مرجع في الفصل وقد قمت بتلخيص هذا الكتاب.

ضمن حرم المسجد وبنى حوله جدرانًا قصيرة. كانت مكة ملتقى الأمراء والولاة في مختلف الأصقاع بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في موسم الحج وبالتالي كان لمكة دور أساسٌ كبير كإحدى الولايات الرئيسة للدولة الإسلامية في عهد عمر رضي الله عنه.

**ثانيًا:- المدينة النبوية:**

يعتبر الخليفة هو الوالي المباشر للمدينة، نظرًا لأنه كان يقيم فيها وبالتالي كان يتولى شئونها ويسوس أمورها، وخلال غياب الخليفة عمر عن المدينة كان يولي عليها من يقوم مقامه في إدارة شئون المدينة المختلفة، فكان عمر أحيانا يولي على المدينة خلال بعض أسفاره أو حجه ( زيد بن ثابت رضي الله عنه[١]) كما ولى عمر علي بن أبي طالب على المدينة عدة مرات أثناء غيابه[٢] وهكذا فإن عمر رضي الله عنه سار على سياسة الرسول ﷺ وأبي بكر في الاستخلاف على المدينة في حال غيابه، وتكتسب ولاية المدينة المنورة أهمية سياسية متميزة بين الولايات المختلفة في تلك الأيام لعدة أسباب على رأسها أنها مقر الخليفة عمر، ومصدر الأوامر إلى مختلف الأقاليم الإسلامية ومنها تنطلق الجيوش المجاهدة، يضاف لذلك أنها مقر إقامة الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم، والذين كان عمر يمنعهم من الانتشار في الأمصار[٣]، ولذلك كان يفد إليها الكثير من طلاب العلم الذين يريدون أن يأخذوا القرآن وسنة الرسول ﷺ وفقههما من أفواه الصحابة رضوان الله عليهم[٤].

**ثالثًا- الطائف:**

تعتبر الطائف إحدى أهم المدن الإسلامية في عهد عمر رضي الله عنه، وكانت تمد حركة الجهاد بالمقاتلين الأشداء، وكان واليها منذ عهد الرسول ﷺ عثمان بن أبي العاص وأقره أبو بكر على ما كان عليه، واستمرت ولايته على الطائف لمدة سنتين من خلافة عمر، وقد تاقت نفس عثمان بن أبي العاص إلى الجهاد، فكتب إلى عمر يستأذنه في الغزو فقال له عمر: أما أنا فلا أعزلك، ولكن استخلف من شئت فاستخلف رجلاً

---

(١) الولاية على البلدان (١/ ٦٨).
(٢) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٤٧).
(٣) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٥٧).
(٤) الولاية على البلدان (١/ ٦٨).

من أهل الطائف مكانه، وعين عمر عثمان على عُمان والبحرين[١] وقد ورد أن والي عمر على الطائف حين وفاته هو (سفيان بن عبد الله الثقفي)[٢]، وقد كان بينه وبين عمر بن الخطاب مكاتبات تتعلق بأخذ الزكاة من الخضار والفواكه أو من العسل[٣]، وكلها تدل على كثرة المزارع ووفرة الإنتاج الزراعي في الطائف أيام عمر بن الخطاب ﷺ، وقد ظلت مدينة الطائف وما جاورها تنعم بالاستقرار في عهد عمر ﷺ، وقد كانت لأهل مكة متنفسًا يقدمون إليه في الصيف[٤]، واعتبرت الطائف أحد الأمصار الرئيسة التابعة للدولة الإسلامية في عهد عمر[٥].

**رابعًا- اليمن:**

عندما تولى عمر ﷺ الخلافة كانت اليمن تنعم بالاستقرار، وقد ضبطت أمورها عن طريق ولاة موزعين في أنحاء اليمن، وقد أقر عمر عمال أبي بكر على اليمن[٦]، وكان يعلى بن أمية أحد ولاة أبي بكر على اليمن، وقد لمع اسمه في خلافة عمر بن الخطاب، وذكره المؤرخون بأنه والٍ بعد ذلك على أنه والي عمر على اليمن واشتهر بذلك حتى وفاة عمر ﷺ[٧] وقد أوردت المصادر العديد من الحوادث التي وقعت لوالي اليمن (يعلى بن أمية) مع بعض الأهالي من اليمن. إضافة إلى حديثها عن بعض القضايا التي قدم أصحابها شكاوى ضد يعلى أمام عمر بن الخطاب، مما استلزم استدعاء يعلى إلى المدينة المنورة عدة مرات حقق خلالها عمر معه في هذه القضايا[٨]،وفي أثناء غياب يعلى كان عمر أحيانًا يعين مكانه من يقوم بعمله، وقد كانت بين يعلى وعمر عدة مكاتبات تتعلق بقضايا الزكاة[٩]، كما ذكر يعلى نفسه ضمن الولاة الذين قاسمهم عمر أموالهم في أواخر خلافته[١٠] وقد ذكر

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص١٣٤ .
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٢٣٩).
(٣) الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، نادية حسين صقر ص١٩ .
(٤) الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ص١٩ .
(٥) الولاية على البلدان (١/ ٦٩).
(٦) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، يحيى بن الحسين (١/ ٨٣).
(٧) تاريخ الطبري (٢/ ١٥٧).
(٨) غاية الأماني (١/ ٨٣).
(٩) الأموال للقاسم بن سلام ص٤٣٦ .
(١٠) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٥٧).

من ولاة اليمن لعمر عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، ولعله كان على منطقة محددة من اليمن وهي (الجَنَد) كما صرح بذلك الطبري حيث ذكره ضمن ولاته حين وفاته إذ كان واليًا لعمر على الجند بجانب ذكره ليعلى كوالٍ لليمن[1] وقد لعب أهل اليمن دورًا رئيسًا في حركة الفتوح أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فاشتركوا في فتوح الشام وفي فتوح العراق ومصر[2]، وعندما اختطت الأمصار الإسلامية الجديدة في العراق كالبصرة والكوفة نزلتها الكثير من القبائل اليمنية وعلى رأسها كندة التي نزلت الكوفة[3]، كما استقرت أعداد أخرى من القبائل اليمنية بالشام، وكان لهم دور كبير في فتوحاتها، كما سكنت مجموعة منهم في مصر بعد إنشاء الفسطاط[4]، ولا شك أن هذه الهجرات المنظمة من القبائل اليمنية في عهد عمر قد خطط لها، وقد يكون لأمراء البلدان على اليمن دور كبير في هذا التخطيط وفي عملية توزيع القبائل على الأمصار، ومن هنا كانت اليمن من أهم الولايات الإسلامية على عهد عمر، وكان دورها وتأثيرها واضحًا بالنسبة لمختلف الولايات[5].

### خامسًا- البحرين:

عندما تولى عمر أمر المسلمين كان العلاء بن الحضرمي واليًا على البحرين، فأقره عمر في بداية خلافته واليًا عليها واستمر عليها حتى سنة أربع عشرة على أرجح الأقوال[6]، وقد اشترك العلاء رضي الله عنه في الجهاد المبكر في نواحي بلاد الفرس، وكان له دور رئيس فيه، وفي أواخر فترة ولاية العلاء على البحرين أصدر عمر رضي الله عنه قرارًا بعزل العلاء عن الولاية، ونقله إلى ولاية البصرة وقد كره العلاء ذلك فتوفي قبل أن يصل البصرة ودفن في البحرين وقد قيل في سبب عزله إنه غزا فارس عن طريق البحرين دون إذن من عمر وكان عمر يكره أن يحمل المسلمين في البحر، وبعد وفاة العلاء تولى على البحرين عثمان بن أبي العاص، فأخذ يجاهد ما يليه من نواحي بلاد فارس، حتى وصل في بعض فتوحه إلى نواحي السند، وقد صدرت أوامر عمر رضي الله عنه

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٢٣٩).

(٢) الولاية على البلدان (١/ ٧١).

(٣) اليمن في ظل الإسلام د. عصام الدين ص٤٩ .

(٤) فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ص١١٩-١٢٣ .

(٥، ٦) الولاية على البلدان (١/ ٧١).

إلى عثمان بن أبي العاص تأمره بالتعاون في فتوحه مع والي البصرة أبي موسى الأشعري فأصبحت جيوشهما تتعاون في غزو فارس عن طريق البصرة[١].

وقد اشتهر عن عثمان بن أبي العاص ورعه وبعده عن الوقوع في الحرام[٢]، وقد تولى عثمان ولاية البحرين لعمر مرتين على الأقل إذ إنه ولاه للمرة الأولى في السنة الخامسة عشرة ثم احتاج إليه لقيادة بعض الجيوش في نواحي البصرة، ليشترك في فتوحاتها، وقد تولى (عيّاش بن أبي ثور) [٣] البحرين بعد عثمان بن أبي العاص، ويبدو أن فترته لم تطل، ثم ولى عمر على البحرين (قدامة بن مظعون) رضي الله عنه الذي صحبه أبو هريرة ووليَ له أمر القضاء في البحرين بالإضافة إلى بعض المهام الأخرى، وخلال فترة ولاية قدامة للبحرين امتدحه الناس، إلا أنه حدث في آخر ولايته أن اتهم رضي الله عنه بشرب الخمر، وبعد التحقيق ثبتت التهمة، فأقام الفاروق عليه الحد. وقدامة بن مظعون خال أولاد عمر بن الخطاب، عبد الله وأم المؤمنين حفصة[٤]، وقد غضب قدامة على عمر إلا أن عمر أصر على إرضائه وكان يقول: إني رأيت رؤيا أنه قد أتاني آت في منامي فقال لي: صالح قدامة فإنه أخوك[٥] وقيل إن عزل قدامة عن ولاية البحرين كان في سنة عشرين[٦] للهجرة، وقد تولى على البحرين بعد قدامة الصحابي المعروف (أبو هريرة) رضي الله عنه وقد كان أبو هريرة يتولى بعض المسئوليات في البحرين أثناء ولاية قدامة بن مظعون السابقة وكان ضمن الشهود الذين شهدوا على قدامة في الخمر، وقد أصدر عمر رضي الله عنه أمراً بتولية أبي هريرة على البحرين بعد عزله لقدامة[٧] وقد ولى البحرين لعمر فيما بعد عثمان بن أبي العاص الثقفي مرة أخرى واستمر والياً عليها حتى توفي عمر[٨]، وقد وردت في كثير من النصوص ولاية البحرين مضافة إليها عمان، ووردت روايات عند تولية عثمان بن أبي العاص أنه ولي البحرين واليمامة[٩] وهذه الروايات تعطينا دلالة قوية

(١) المرجع السابق نفسه (١/ ٧٣). (٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٧٤). (٣) الولاية على البلدان (١/ ٧٣).
(٤) الطبقات (٥/ ٥٦٠)، تاريخ المدينة (٣/ ٨٤٣) الولاية على البلدان (١/ ٧٤).
(٥) الولاية على البلدان (١/ ٧٤). (٦) البداية والنهاية (٧/ ١٠١). (٧) الولاية على البلدان (١/ ٧٥).
(٨) المرجع نفسه (١/ ٧٥). (٩) تاريخ الطبري (٥/ ٢٣٩).

على مدى ارتباط البحرين بكل من عمان واليمامة، وأن هذين القسمين ربما اعتبرا جزءًا من ولاية البحرين خلال عصر عمر بن الخطاب ﷺ، ولا يخفى مدى الارتباط الجغرافي والبشري بين هذين الإقليمين وبين البحرين، وقد يفيد تعبير البحرين وما والاها الذي يردده المؤرخون وجود توابع للبحرين ربما كان المقصود بها عمان واليمامة، وقد كانت البحرين مصدرًا رئيسيًا للخراج والجزية، وهذا يدل على ثراء هذه الولاية في تلك الأيام، وقد شاركت قبائل البحرين المسلمة وأمراؤها في فتوح بلاد فارس والمشرق، وكان لهم دور مهم في تلك الفتوح[1].

### سادسًا- مصر:

كان عمرو بن العاص ﷺ هو الذي تولى فتح مصر وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله عند حديثنا عن الفتوحات وأقره عمر واليًا عليها، واستمر في ولايته حتى توفي عمر بن الخطاب رغم اختلافه مع عمر في بعض الأحيان مما كان يدفع عمر إلى التهديد بتأديبه وكان عمرو هو والي مصر الرئيس، مما كان يرد من وجود بعض الولاة الصغار الآخرين في مصر مثل ما ورد عن ولاية عبد الله بن أبي السرح على الصعيد إبان وفاة الخليفة عمر[2]، ومن الملاحظ في فترة ولاية عمرو بن العاص لمصر في عصر عمر كثرة تدخل الخليفة عمر في شئون الولاية المختلفة[3]، وقد استفاد عمرو بن العاص من خبرة الأقباط في قضايا الخراج والجزية فاستخدمهم في هذا العمل[4]، وقد اشتهر عن عمرو منعه لجنوده من الزراعة والاشتغال بها ومعاقبة من يخالف ذلك بناءً على أوامر عمر بن الخطاب[5] وكان هذا بالطبع لتفريغ الجنود لأمور الجهاد، وعدم الركون إلى الدعة، أو الارتباط بالأرض، وقد كان للجند من الأرزاق التي تصرف من بيت المال ما يغنيهم عن ذلك، وقد استطاع عمرو بن العاص بمتابعة من الخليفة عمر تنظيم أمورها في سنوات قليلة حتى أخذت مكانتها كولاية كبرى من ولايات الدولة، وجرى فيها من الأحداث ما يدل على استقرار

---

(١) الولاية على البلدان (١/ ٧٦). (٢) فتوح مصر ص١٧٣ . (٣) الولاية على البلدان (١/ ٧٩).
(٤) فتوح مصر وأخبارها ص١٥٢ . (٥) الولاية على البلدان (١/ ٨٢).

أوضاع الولاية، بالرغم من المخاطر التي كانت تحدق بها من جراء محاولة الروم المستمرة استعادتها عن طريق غزو الإسكندرية من ناحية البحر، وقد كانت هذه الولاية أرضًا خصبة لانتشار الإسلام فيها في عهد الخليفة عمر نظرًا لما ظهر فيها من عدل بين الناس ورحمة، لم يعهدهما أهلها من قبل بالإضافة إلى اقتناعهم بحقائق الإسلام وتعاليمه السمحة فأصبحوا جندًا من جنوده، وكانت الأمور الإدارية في مصر تمضي بطريقة بسيطة إذ كان عمرو هو الوالي وهو المسئول عن الخراج، ولا يمنع هذا من استعانة عمرو ببعض الولاة على مناطق أخرى تابعة له كما مرّ، ولكن الوالي الرئيس والمسئول أمام الخليفة هو عمرو بن العاص طوال فترة حكم عمر بن الخطاب، وقد استفاد عمرو من بعض أهل البلاد في ترتيب أمور الخراج وتنظيم شئونها المالية[1].

**سابعاً: ولايات الشام:**

حينما توفي أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان المسئول عن جيوش الشام وبلادها هو خالد بن الوليد رضي الله عنه، ولما تولى عمر رضي الله عنه الخلافة أصدر أمرًا بعزل خالد بن الوليد عن ولاية الشام وتعيين أبي عبيدة بن الجراح مكانه أميرًا لأمراء الشام، ومسئولاً مباشرًا عنهم وواليًا على الجماعة فيها[2]، وحينما تولى أبو عبيدة على الشام أخذ ينظم أمورها، ويعين الأمراء من قبله على المناطق المختلفة فيها، وأخذ يعيد تنظيمها حيث كان على بعضها أمراء سابقون فمنهم من أقره أبو عبيدة ومنهم من عزله، يقول خليفة بن خياط: فولى أبو عبيدة حين فتح الشامات يزيد بن أبي سفيان على فلسطين وناحيتها، وشرحبيل بن حسنة على الأردن، وخالد بن الوليد على دمشق وحبيب بن مسلمة على حمص ثم عزله، وولى عبد الله بن قرط الثمالي[3]، ثم عزله، وولى عبادة بن الصامت ثم عزله ورد عبد الله بن قرط[4]، وكان يبعث أحيانًا بعض أصحابه لتولي مناطق من الشام لفترة معينة، ذلك أن أبا عبيدة بعث معاذ بن

(١) الولاية على البلدان (١/ ٨٣).
(٢) تهذيب تاريخ دمشق (١/ ١٥٢).
(٣) الأزدي له صحبة ورواية اشترك في فتوح الشام.
(٤) تاريخ خليفة ص١٥٥ .

جبل على الأردن[١]، ومن ذلك إنابته لبعض الناس مكانه حين كان يسافر للجهاد فقد أناب سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل[٢]، على دمشق حين خروجه إلى بيت المقدس،وكان أبو عبيدة -رحمه الله- طوال فترة ولايته على الشام مثالاً للرجل الصالح الورع الذي يقتدي به بقية أمرائه ويقتدي به العامة، وقد استشهد كما مرّ معنا في طاعون عمواس ثم تولى بعده معاذ، فاستشهد بعده بأيام وحينما علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بوفاة أبي عبيدة ووفاة معاذ من بعده عين على أجناد الشام يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه وفرق أمراء آخرين على الشام، وقد كان يزيد صاحب خبرة في إمارة الأجناد، إذ كان على رأس أحد الجيوش التي بعثها أبو بكر إلى الشام للفتح، كما أن أبا عبيدة قد استخلفه عدة مرات على دمشق أثناء غزواته[٣]، وقد ذكر المؤرخون أن عمر حينما ولّى يزيد على أجناد الشام حدد أمراء آخرين وزعهم على المناطق واختص يزيد بفلسطين والأردن[٤]، وتعتبر فترة يزيد على الشام قصيرة لذلك يقل الحديث عنها في المصادر التاريخية وقد توفي يزيد في السنة الثامنة عشرة، وقبيل وفاته استخلف أخاه معاوية بن أبي سفيان على ما كان يتولاه وكتب إلى عمر كتابًا في ذلك، وكانت مدة ولاية يزيد قريبًا من السنة[٥]، وأقرّ عمر رضي الله عنه ولاية معاوية وأجرى تعديلات في إدارة الشام بعد وفاة يزيد، وقد حدد لمعاوية جند دمشق وخراجها، وحدّ من سلطات معاوية في القضاء والصلاة حيث بعث إليه برجلين من أصحاب رسول الله ﷺ وجعلهما على القضاء والصلاة[٦]، وهذا فيه تحديد لسلطات معاوية خصوصًا أن الصلاة وكلت إلى غيره وكان الأمير في العادة هو أمير الصلاة، ولعل هناك أسبابًا دفعت عمر إلى هذه السياسة الجديدة التي بدأت تظهر في الأقاليم الأخرى وبالأسلوب نفسه الذي نهجه مع معاوية تقريبًا، وقد اشتهر معاوية بالحلم والبذل مما جعل مجموعات من الناس تلحق بولايته من العراق وغيرها[٧]،

---

(١) فتوح الشام ص٢٤٨ .

(٢) الفتوح، ابن أعثم الكوفي ص٢٨٩ الولاية على البلدان (١/ ٩٠).

(٣) فتوح البلدان ص١٣٧ .

(٤) فتوح البلدان ص١٤٥، ١٤٦ .

(٥) الوثائق السياسية للعصر النبوي والخلافة الراشدة ص٤٩٣ .

(٦) الولاية على البلدان (١/ ٩٢).

(٧) تاريخ الطبري (٥/ ٢٣٩).

وقد قام عمر بتعيين بعض الأمراء في الشام، وجعل ولايتهم من قبل معاوية، وخلال ولاية معاوية على بلاد الشام كان في بعض الأحيان يقوم ببعض الغزوات ضد الروم في شمال الشام وهي ما عرفت بالصوائف[(١)]، وقد استمر معاوية واليًا على الشام بقية عصر عمر حتى وفاته رضي الله عنه، مع وجود أمراء آخرين في مناطق معينة من الشام لهم اتصالهم المباشر بالخليفة في المدينة المنورة، إلا أن معاوية يعتبر أشهرهم، حيث كان واليًا على البلقاء والأردن وفلسطين وأنطاكية وقلقيلية ومعرة مصرين وغيرها من مدن الشام[(٢)]، وقد سماه بعض المؤرخين والي الشام بينما تحفظ بعضهم فقالوا حين ذكروا ولاة عمر «ومعاوية بن أبي سفيان على بعض الشام» ولكن بعضهم ذكر أنه قبل موت عمر جمع الشام كلها لمعاوية بن أبي سفيان[(٣)]، ولابد من التنبيه على أن الولايات كانت تجري فيها تغييرات مستمرة تبعًا للظروف العسكرية والظروف العامة للدولة في تلك الأيام، فكانت الأردن أحيانًا تستقل وأحيانًا تضم لها أقاليم وأحيانًا تنزع منها أقاليم وتضم إلى الشام أو إلى فلسطين إلى غير ذلك مما لا يتسع المقام لذكره[(٤)].

### ثامنًا- ولايات العراق وفارس:

كانت الفتوحات قد بدأت في العراق أيام أبي بكر رضي الله عنه وكانت في البداية تحت إمارة المثنى بن حارثة الشيباني إلى أن قدم خالد بن الوليد إلى العراق، فجعل الولاية له، فلما أمره بالمسير إلى الشام أعاد أبو بكر الولاية مرة أخرى إلى المثنى بن حارثة، وحينما تولى الخلافة عمر بن الخطاب عزل المثنى وعين أبا عبيد بن مسعود الثقفي، وكان عزل المثنى في الوقت نفسه الذي عزل فيه خالدًا، مما أثار استغراب الناس فقال عمر: إني لم أعزلهما في ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت أن يوكلوا إليهما[(٥)]، ومع عزل المثنى فقد كان جنديًا مخلصًا اشترك مع أبي عبيد في معظم معاركه وأبلى بلاء حسنًا[(٦)] وبعد استشهاد أبي عبيد عاد المثنى إلى القيادة ثم تولى قيادة جيوش

---

(١) الولاية على البلدان (١/ ٩٢).
(٢) الولاية على البلدان (١/ ٩٣).
(٣) تاريخ خليفة بن خياط ١٥٥ ، سير أعلام النبلاء (٣ / ٨٨).
(٤) الولاية على البلدان (١/ ١٠٢).
(٥) المصدر نفسه (١/ ١٠٨).
(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٨).

العراق سعد بن أبي وقاص، وقد انتقضت على المثنى جراحه التي أصابته يوم الجسر فمرض منها ومات قبل أن يصل سعد بن أبي وقاص للعراق[١] فقد كانت البصرة قد بدأت بالظهور على مسرح الأحداث كولاية قبيل معركة القادسية، إلا أن انتصار القادسية وسقوط المدائن في يد المسلمين يعتبر بداية مرحلة جديدة وقوية في بلاد العراق، بدأ فيها تنظيم الولايات يأخذ شكلاً معينًا وبارزًا تتضح فيه الملامح العامة سواء في ولاية البصرة أو ولاية الكوفة، وما ألحق بكل منهما من المدن والقرى التي كانت تتبع كلاً منهما من أقاليم فارس والعراق، أو ما استقل عنهما من الولايات في بلاد فارس[٢].

## - ولاية البصرة:

وجه عمر بن الخطاب إلى نواحي البصرة قبل إنشائها شريح بن عامر، أحد بني سعد بن بكر مدداً لقطبة بن قتادة ثم ولاه عمر في نواحي البصرة، وقتل في إحدى المعارك[٣]، ثم قام عمر بن الخطاب بإرسال عتبة بن غزوان إلى نواحي البصرة مع مجموعة من الجند وولاه عليها، وذلك في السنة الرابعة عشرة وليس في السادسة عشرة كما يرجح ذلك صالح أحمد العلي إذ يقول: ويزعم بعض المؤرخين أن عتبة أرسل سنة ١٦هـ بعد معركة القادسية أو جلولاء ولكن الأغلبية المطلقة من المؤرخين يؤكدون أنه أرسل سنة ١٤هـ مما يجعلنا نرجح روايتهم[٤]، وقد كانت مرحلة ولاية عتبة على البصرة مرحلة تأسيسية وهامة في حياة هذه الولاية، فقد كانت حافلة بالعديد من الأعمال الجليلة، ومنها مجموعة من الفتوح قام بها في بلاد الفرس القريبة منه على ضفتي دجلة والفرات[٥]، وقد استعفى عتبة من عمر فأبى عمر أن يعفيه وكان ذلك في موسم الحج وعزم عليه عمر ليرجعن إلى عمله ثم انصرف فمات في الطريق إلى البصرة، فلما بلغ عمر موته قال أنا قتلته، لولا أنه أجل معلوم، وأثنى عليه خيراً وكانت وفاته في السنة السابعة عشرة[٦] ثم تولى من بعده

---

(١) الولاية على البلدان (١/ ١١١).
(٢) الولاية على البلدان (١/ ١١٣).
(٣) تاريخ خليفة بن خياط ص١٥٥ .
(٤) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص٣٦ .
(٥) تاريخ خليفة بن خياط ص١٢٧، ١٢٨ .
(٦) الولاية على البلدان (١/ ١١٥).

المغيرة بن شعبة وهو أول من وضع ديوان البصرة واستمر واليًا على البصرة إلى أن عزله عمر رضي الله عنه في السنة السابعة عشرة من الهجرة بعد التهمة الموجهة إلى المغيرة بالزنا؛ وقد قام عمر بالتحقيق وثبتت براءة المغيرة وجلد الشهود الثلاثة وقام عمر بعزل المغيرة، من باب الاحتياط والمصلحة، وولاه عمر فيما بعد على أماكن أخرى[1]، وبعد عزل المغيرة بن شعبة ولّى عمر على البصرة أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، ويعتبر أبو موسى - بحق - أشهر ولاة البصرة أيام عمر بن الخطاب، فقد فتحت في أيامه المواقع العديدة في فارس، فكان يجاهد بنفسه ويرسل القواد للجهات المختلفة من البصرة، ففي أيامه تمكن البصريون من فتح الأهواز وما حولها وفتحوا العديد من المواضع المهمة وكانت فترة ولايته حافلة بالجهاد، وقد تعاون أبو موسى مع الولاة المجاورين له في كثير من الحروب والفتوحات، وقد قام بجهود كبيرة لتنظيم المناطق المفتوحة وتعيين العمال عليها وتأمينها وترتيب مختلف شئونها، وقد جرت العديد من المراسلات بين أبي موسى وعمر بن الخطاب في مختلف القضايا منها توجيهه لأبي موسى في كيفية استقباله للناس في مجلس الإمارة ومنها نصيحته لأبي موسى بالورع ومحاولة إسعاد الرعية، وهي قيّمة قال فيها عمر: أما بعد فإن أسعد الناس من سعدت به رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته، إياك أن ترتع فيرتع عمالك، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبغي السمن وإنما حتفها في سمنها[2]، وهناك العديد من الرسائل بين عمر وأبي موسى تدل على نواحٍ إدارية وتنفيذية مختلفة كان يقوم بها أبو موسى بتوجيه من عمر، وقد جمع معظم هذه المراسلات محمد حميد الله في كتابة القيم عن الوثائق السياسية[3]، وتعتبر فترة ولاية أبي موسى على البصرة من أفضل الفترات حتى لقد عبر عنها أحد أحفاد البصريين فيما بعد، وهو الحسن البصري -رحمه الله- فقال: ما قدمها راكب خير لأهلها من أبي موسى[4]، إذ إن

---

(١) المصدر السابق (١/ ١١٧).
(٢) مناقب عمر لابن الجوزي ص ١٣٠.
(٣) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة.
(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩).

أبا موسى -رحمه الله- كان بالإضافة إلى إمارته خير معلم لأهلها، حيث علّمهم القرآن وأمور الدين المختلفة[١]، وفي عهد عمر بن الخطاب كان العديد من المدن في فارس، والتي فتحت في زمنه تخضع للبصرة وتدار من قبل والي البصرة الذي يعين عليها العمال من قبله، ويرتبطون به ارتباطًا مباشراً وهكذا واعتبر أبو موسى من أعظم ولاة عمر، واعتبرت مراسلات عمر مع أبي موسى من أعظم المصادر التي كشفت سيرة عمر مع ولاته، وبيّنت ملامح أسلوبه في التعامل معهم[٢].

- ولاية الكوفة:

يعد سعد بن أبي وقاص أول ولاة الكوفة بعد إنشائها بل إنه هو الذي أنشأها بأمر عمر، وكان له الولاية عليها وعلى المناطق المجاورة لها قبل بناء الكوفة، وقد استمر سعد واليًا على الكوفة وقام بدوره على أكمل وجه، وكانت لسعد فتوحات عظيمة بعد استقراره بالكوفة في نواحي بلاد فارس[٣]، كما كان لسعد مجموعة من الإصلاحات الزراعية في ولايته، منها أن مجموعة من الدهاقين سألوا سعدًا أن يحفر لهم نهرًا لصالح المزارعين في مناطقهم، فكتب سعد إلى عامله في المنطقة يأمره بحفر النهر لهم فجمع العمال وحفر النهر، وقد كان سعد ينظم أمور المناطق التابعة للكوفة ويعين عليها الولاة من قبله بعد التشاور مع عمر بن الخطاب ﷺ، وقد أعجب عقلاء أهل الكوفة بسعد بن أبي وقاص وامتدحوه، فحين سأل عمر بن الخطاب أحد مشاهير الكوفة عن سعد أجاب: إنه متواضع في جبايته عربي في نمرته أسد في تأمُّرِه يعدل في القضية ويقسم بالسوية، ويبعد بالسرية ويعطف علينا عطف البرة وينقل علينا خفيًا نقل الذرة[٤]، كما سأل عمر جرير بن عبد الله عن سعد بن أبي وقاص وولايته فقال جرير: تركته في ولايته أكرم الناس مقدرة وأقلهم قسوة هو لهم كالأم البرة يجمع لهم كما تجمع الذرة أشد الناس عند البأس وأحب قريش إلى الناس[٥]، ومع اقتناع خيار أهل الكوفة وعقلائها بسعد وامتداحهم له فقد وقعت

---

(١، ٢) الولاية على البلدان (١/ ١٢٠).
(٣) فتوح البلدان ص١٣٩، تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٥١).
(٤، ٥) الولاية على البلدان (١/ ١٢٣).

بعض الشكاوى ضده من قبل بعض عوام الناس فتم عزله وسيتم بإذن الله بيان ذلك عند حديثنا عن الشكاوى ضد الولاة. وبعد عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة أصدر عمر قرارًا بتعيين عمار بن ياسر على صلاة الكوفة، ويلاحظ أن عمارًا ﷺ كان ضمن القادة الذي كانوا في الكوفة، وكان سعد بن أبي وقاص يستعين بهم أثناء ولايته على الكوفة ولذلك كانت لدى عمار خبرة سابقة وشبه كاملة عن الولاية قبل أن يتولى عليها، وتختلف ولاية عمار هذه عن ولاية سعد، إذ إن عمر جعل مع عمَّار أناسًا آخرين يشتركون معه في المسئولية ويتقاسمون المهام. فكان عمار على الصلاة وابن مسعود على بيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض، لذلك اختلف الوضع إلى حد ما في الولاية في هذه المرحلة عما كانت عليه أيام سعد، ولا يمكننا تجاهل هذا التوزيع الجديد للمسئولية في الولاية، وقد قام كل منهم بما نيط به من أمور، فكان عمار يقوم بالصلاة، وينظم أمور الولاية وشئونها ويقود الجيوش، فقام ببعض الفتوح، واشترك أهل الكوفة في أيامه في عدد من المعارك ضد الفرس الذين جمعوا الجموع ضد المسلمين، فكان عمار يدبر ولايته بمقتضى تلك الظروف الحربية حسب توجيهات عمر بن الخطاب، وقد استمر عمار يؤدي مهمته في ولاية الكوفة مع ابن مسعود إضافة إلى قيامه بالشئون المالية للولاية يقوم بتعليم الناس القرآن وأمور الدين[١]، وكانت ولاية عمار لأهل الكوفة قرابة سنة وتسعة أشهر، وعزله عمر بناء على عدة شكاوى من أهل الكوفة ضده وقد قال عمر لعمّار أساءك العزل؟ فقال عمّار: ما سرني حين استعملت ولقد ساءني حين عزلت، وقيل إنه قال: ما فرحت حين وليتني ولا حزنت حين عزلتني[٢]، كما ذكر أنه استعفى عمر حين أحس بكراهية أهل الكوفة له فأعفاه عمر ولم يعزله[٣] ثم عين عمر جبير بن مطعم على الكوفة ثم عزله قبل أن يتجه إلى الكوفة، نظرًا لأن عمر أمره بكتمان خبر التعيين، ولكن الخبر انتشر بين الناس فغضب عمر وعزله ثم تولى ولاية الكوفة المغيرة بن شعبة واستمر يؤدي واجبه واليًا للكوفة إلى أن توفي عمر بن الخطاب[٤].

---

(١) الطبقات (٣/ ١٥٧). (٣) الفتوح ابن أعثم (٢/ ٨٢). (٤) نهاية الأرب (١٩/ ٣٦٨).

(٤) تاريخ خليفة ص١٥٥ ، تاريخ الطبري (٥/ ٢٣٩).

- المدائن:

كانت المدائن عاصمة كسرى، قد تم فتحها من قبل سعد بن أبي وقاص، واستقر بها سعد فترة من الوقت ثم انتقل منها إلى الكوفة بعد تمصيرها، وقد كان ضمن جيش سعد سلمان الفارسي رضي الله عنه، وهو الذي اشترك في العديد من المعارك ضد الفرس، وكان له دور كبير في دعوتهم إلى الإسلام قبل القتال وقد ولاه عمر ابن الخطاب على المدائن فسار في أهلها سيرة حسنة، فقد كان مثالاً حيًا لتطبيق تعاليم الإسلام، وقد ذكر أنه كان يرفض الولاية لولا أن عمر أجبره على قبولها، فكان يكتب إلى عمر يطلب الإعفاء فيرفض عمر ذلك، وقد اشتهر عن سلمان رضي الله عنه زهده، فكان يلبس الصوف، ويركب الحمار ببرذعته بغير إكاف ويأكل خبز الشعير وكان ناسكًا زاهدًا[1] وقد استمر سلمان يعيش في المدائن إلى أن توفي على أرجح الأقوال سنة ٣٢هـ في خلافة عثمان بن عفان، ويبدو أن سلمان لم يكن والي المدائن في أواخر أيام عمر رضي الله عنه إذ إن عمر قد عين حذيفة بن اليمان على المدائن ولم يذكر المؤرخون عزل عمر لسلمان، فلعله استعفى عمر فوافقه بعد أن كان يمانع في إعفائه وولى بعده حذيفة بن اليمان، وقد ورد العديد من الأخبار عن ولاية حذيفة على المدائن منها كتاب عمر إلى أهل المدائن بتعيين حذيفة واليًا عليهم، وأمر عمر أهل المدائن بالسمع والطاعة لحذيفة، وقد استمر حذيفة واليًا على المدائن بقية أيام عمر وكذلك طيلة خلافة عثمان[2].

- أذربيجان:

كان حذيفة بن اليمان أول الولاة على أذربيجان ثم تولى بعد ما نقل إلى المدائن عتبة بن فرقد السلمي وفي أثناء ولايته حدثت بينه وبين عمر العديد من المراسلات، من ذلك أن عتبة بن فرقد حين جاء إلى أذربيجان وجد عندهم نوعًا من الحلوى الطيبة تسمى (الخبيص) ففكر أن يصنع منها لعمر بن الخطاب، وبالفعل وضع منها

(١) مروج الذهب (٢/٣٠٦) الولاية على البلدان (١/١٣١).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٦٤).

وغلفهـا بما يحفظها من الجلود وغيرها وبعث بها إلى عـمر بن الخطاب في المدينة، فلما تسلمها ذاق الخبيص فأعجبه، فقال عمر: أكل المهاجرين أكل منه شبعه؟ قال الرسول: لا إنما هو شيء خـصك بك، فأمـر عمر بردها على عـتبة في أذربيـجان، وكتب إليه يا عـتبة إنه ليس من كدك ولا كد أبيك، فـأشبع المسلمين في رحالهم مما تشـبع في رحلك، وإياك والتنعم وزي أهل الشـرك ولبوس الحـرير فإن رسـول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير[1]، وقد رويت الحادثة بروايات مـختلفة يؤكد بعـضها بعضًا، وقد استمر عتبة واليًا على أذربيـجان بقية خلافة عمر ﷺ وجزءًا من خلافة عثمان، وقد وجد العديد في ولاة عـمر في مناطق مختلفة في العراق وفارس، منهم من كان مستـقلاً بولايته، ومنهم من كانت ولايته مرتبطة بإحـدى الولايتين الكبيرتين في العـراق اللتين هما مـحورا الإدارة، والقـيادة لبـلاد العراق وفارس الـكوفة، أو البصرة، ومن هذه البلدان التي اختصت بولاة، الموصل، حلوان، كسكر[2].



(١) الولاية على البلدان (١/ ١٣٣).

(٢) الولاية على البلدان (١/ ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥).

# المبحث الثاني
# تعيين الولاة في عهد عمر

سار الفاروق رضي الله عنه على المنهج النبوي الشريف في اختيار الولاة، فكان لا يولي إلا الأكفاء والأمناء والأصلح من غيرهم على القيام بالأعمال، ويتحرى في الاختيار والمفاصلة غاية جهده ولا يستعمل من يطلب الولاية، وكان يرى أن اختيار الولاة من باب أداء الأمانات، بحيث يجب عليه أن يعين على كل عمل أصلح من يجده، فإن عدل عن الأصلح إلى غيره مع عدم وجود ما يبرر ذلك، يكون قد خان الله، ورسوله والمؤمنين[١]، ومن أقواله في هذا الشأن: وأنا مسئول عن أمانتي وما أنا فيه، ومطلع على ما يحضرني بنفسي إن شاء الله، لا أكله إلى أحد، ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامة، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم[٢]، وقال رضي الله عنه: من قلد رجلاً على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى لله منه، فقد خان الله، وخان رسوله، وخان المؤمنين[٣]، وقال أيضًا: من ولي من أمر المسلمين شيئًا فولى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمسلمين[٤].

**أولاً: أهم قواعد عمر في تعيين الولاة وشروطه عليهم:**

**١- القوة والأمانة:**

وقد طبق الفاروق رضي الله عنه هذه القاعدة، ورجّح الأقوى من الرجال على القوي، فقد عزل عمر شرحبيل بن حسنة وعين بدله معاوية. فقال له شرحبيل: أعن سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا إنك لكما أحب ولكني أريد رجلاً أقوى من رجل[٥]، ومن أجمل ما أثر عن عمر في هذا المعنى قوله: اللهم إني أشكو إليك جلد الفاجر، وعجز الثقة[٦].

---

(١) وقائع ندوة النظم الإسلامية (١/ ٢٩٥، ٢٩٦).
(٢) دور الحجاز في الحياة السياسية ص٢٥٥.
(٣) الفتاوى (٢٨/ ٤٢).
(٤) الفتاوى (٢٨ / ١٣٨).
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٣٩).
(٦) الفتاوى (٢٨/ ٤٢).

٢- مقام العلم في التولية:

وقد جرى عمر الفاروق على سنة رسول الله ﷺ في تولية أمراء الجيوش خاصة. قال الطبري: إن أمير المؤمنين، كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان، أمّر عليهم رجلاً من أهل الفقه والعلم[١].

٣- البصر بالعمل:

كان عمر بن الخطاب يستعمل قومًا، ويدع أفضل منهم لبصرهم بالعمل[٢]، والتفضيل هنا إنما يعني أن أولئك الذين تركهم عمر، كانوا أفضل دينًا، وأكثر ورعًا، وأكرم أخلاقًا، ولكن خبرتهم في تصريف الأمور أقل من غيرهم فليس من الضروري أن يجتمع الأمران كلاهما معًا، وهذه القاعدة التي وضعها عمر، ما زالت متبعة حتى اليوم، في أرقى الدول، ذلك بأن المتدين الورع الخلوق، إذا لم تكن له بصيرة في شئون الحكم، قد يكون عرضة لخديعة أصحاب الأهواء والمضللين، أما المحنَّك المجرَّب، فإنه يعرف من النظرة السريعة، معاني الألفاظ، وما وراء معاني الألفاظ وهذا السبب نفسه هو الذي دعا عمر بن الخطاب أيضًا لاستبعاد رجل لا يعرف الشر، فلقد سأل عن رجل أراد أن يوليه عملاً فقيل له: يا أمير المؤمنين: إنه لا يعرف الشر. فقال عمر لمخاطبه: ويحك ذلك أدنى أن يقع فيه[٣]، وهذا لا يعني أن يكون العامل غير متصف بالقوة والأمانة والعلم والكفاية وغيرها من الصفات التي يستلزمها منطق الإدارة والحكم، وإنما يقع التفاضل بين هذه الصفات، ويكون الرجحان لما سمّاه عمر بن الخطاب: البصر بالعمل[٤].

٤- أهل الوبر وأهل المَدَر:

وكان عمر ينظر، حين تعيينه أحد عماله، إلى بعض الخصائص والطباع والعادات والأعراف، فلقد عُرف أنه كان ينهى عن استعمال رجل من أهل الوبر على

---

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (١/ ٤٧٩).

(٢) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/ ٥٦).

(٣، ٤) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (١/ ٤٨٢).

أهل المدر[١]، وأهل الوبر هم ساكنو الخيام، وأهل المدر هم ساكنو المدن وهذه نظرة اجتماعية سلوكية في آن معًا، في اختيار الموظفين، فلكل من أهل الوبر والمدر طبائع وخصائص وأخلاق وعادات وأعراف مختلفة، ومن الطبيعي أن يكون الوالي عارفًا بنفسية الرعية، وليس من العدل أن يتولى أمرها رجلٌ جاهل بها، فقد يرى العُرف نُكرًا وقد يرى الطبيعي غريبًا، فيؤدي ذلك إلى غير ما يتوخاه المجتمع من أهداف يسعى إلى تحقيقها[٢].

## ٥- الرحمة والشفقة على الرعية:

كان عمر رضي الله عنه يتوخى في ولاته الرحمة والشفقة على الرعية، وكم من مرة أمر قادته في الجهاد ألا يغرروا بالمسلمين ولا ينزلوهم منزل هلكة، وكتب عمر لرجل من بني أسلم كتابًا يستعمله به، فدخل الرجل على عمر وبعض أولاد عمر في حجر أبيهم يُقبّلهم. فقال الرجل: تفعل هذا يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما قبّلت ولدًا لي قط، فقال عمر: فأنت والله بالناس أقل رحمة، لا تعمل لي عملاً، ورده عمر فلم يستعمله[٣]، وغزت بعض جيوشه بلاد فارس حتى انتهت إلى نهر ليس عليه جسر فأمر أمير الجيش أحد جنوده أن ينزل في يوم شديد البرد لينظر للجيش مخاضة يعبر منها، فقال الرجل: إني أخاف إن دخلت الماء أن أموت، فأكرهه القائد على ذلك، فدخل الرجل الماء وهو يصرخ: يا عمراه يا عمراه! ولم يلبث أن هلك، فبلغ ذلك عمر وهو في سوق المدينة. فقال: يا لبيكاه يا لبيكاه، وبعث إلى أمير ذلك الجيش فنزعه وقال: لولا أن تكون سنّة لأقدت منك، لا تعمل لي على عمل أبدًا[٤]، وخطب عمر ولاته فقال: اعلموا أنه لا حلم أحب إلى الله تعالى ولا أعمّ من حلم إمام ورفقه، وأنه ليس أبغض إلى الله ولا أعمّ من جهل إمام وخرقه، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهرانيه يُرزق العافية ممن هو دونه[٥].

---

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (١/ ٢٨٢).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٨٣). (٣) محض الصواب (٢/ ٥١٩).
(٤) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص ١٥٠.
(٥) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص٣٣٤.

### ٦- لا يولي أحدًا من أقاربه:

كان عمر حريصًا على ألا يولي أحدًا من أقاربه رغم كفاية بعضهم وسبقه إلى الإسلام مثل سعيد بن زيد ابن عمه وعبد الله بن عمر ابنه، وقد سمعه رجل من أصحابه يشكو إعضال أهل الكوفة به في أمر ولاتهم. وقول عمر: لوددت أني وجدت رجلاً قويًا أمينًا مسلمًا أستعمله عليهم. فقال الرجل: أنا والله أدلك عليه، عبد الله بن عمر، فقال عمر: قاتلك الله والله ما أردت الله بهذا[1]، وكان يقول: من استعمل رجلاً لمودة أو لقرابة لا يشغله إلا ذلك فقد خان الله ورسوله[2].

### ٧- لا يعطي من يطلبها:

كان لا يولي عملاً لرجل يطلبه، وكان يقول في ذلك: من طلب هذا الأمر لم يُعن عليه، وقد سار على هذا النهج اقتداء بسنة الرسول ﷺ.

### ٨- منع العمال من مزاولة التجارة:

كان عمر يمنع عماله وولاته من الدخول في الصفقات العامة سواءً أكانوا بائعين أو مشترين[3]، روي أن عاملاً لعمر بن الخطاب اسمه الحارث بن كعب بن وهب، ظهر عليه الثراء، فسأله عمر عن مصدر ثرائه فأجاب: خرجت بنفقة معي فاتجرت بها. فقال عمر: أما والله ما بعثناكم لتتجروا وأخذ منه ما حصل عليه من ربح[4].

### ٩- إحصاء ثروة العمال عند تعيينهم:

كان عمر يحصي أموال العمال والولاة قبل الولاية ليحاسبهم على ما زادوه بعد الولاية مما لا يدخل في عداد الزيادة المعقولة، ومن تعلل منهم بالتجارة لم يقبل منه دعواه وكان يقول لهم: إنما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجاراً[5].

### ١٠- شروط عمر على عماله:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا استعمل عاملاً كتب عليه كتابًا، وأشهد عليه

---

(١) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص١٠٨ ، الولاية على البلدان (١٢٨/١). (٢) الفتاوى (١٣٨/٢٨).
(٣،٤) الإدارة الإسلامية في عصر عمر بن الخطاب ص٢١٣ . (٥) المصدر نفسه ص٢١٥ .

رهطًا من الأنصار: ألا يركب برذونًا[١]، ولا يأكل نقيًا[٢]، ولا يلبس رقيقًا، ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين ثم يقول: اللهم فاشهد[٣].

وهذه الشروط تعني الالتزام بحياة الزهد والتواضع للناس، وهي خطوة أولى في إصلاح الأمة بحملها على التوسط في المعيشة، واللباس والمراكب، وبهذه الحياة التي تقوم على الاعتدال تستقيم أمورها، وهي خطة حكيمة، فإن عمر لا يستطيع أن يلزم جميع أفراد الأمة بأمر لا يعتبر واجبًا في الإسلام، ولكنه يستطيع أن يلزم بذلك الولاة والقادة، وإذا التزموا فإنهم القدوة الأولى في المجتمع، وهي خطة ناجحة في إصلاح المجتمع وحمايته من أسباب الانهيار[٤].

### ١١- المشورة في اختيار الولاة:

كان اختيار الولاة يتم بعد مشاورة الخليفة لكبار الصحابة[٥]، فقد قال ﷺ لأصحابه يومًا: دلوني على رجل إذا كان في القوم أميرًا فكأنه ليس بأمير، وإذا لم يكن بأمير فكأنه أمير[٦]، فأشاروا إلى الربيع بن زياد[٧]، وقد استشار عمر ﷺ الصحابة في من يولي على أهل الكوفة فقال لهم: من يعذرني من أهل الكوفة ومن تجنيهم على أمرائهم إن استعملت عليهم عفيفًا استضعفوه، وإن استعلمت عليهم قويًا فجّروه[٨]، ثم قال: أيها الناس ما تقولون في رجل ضعيف غير أنه مسلم تقي وآخر قوي مشدّد أيهما الأصلح للإمارة؟ فتكلم المغيرة بن شعبة فقال يا أمير المؤمنين إن الضعيف المسلم إسلامه لنفسه وضعفه عليك وعلى المسلمين، والقوي المشدّد فشداده على نفسه وقوته لك وللمسلمين فأعمل في ذلك رأيك. فقال عمر: صدقت يامغيرة، ثم ولاه الكوفة وقال له: انظر أن تكون ممن يأمنه الأبرار ويخافه الفجّار، فقال المغيرة: أفعل ذلك يا أمير المؤمنين[٩].

---

(١) البرذون: الدابة، البراذين من الخيل ما كان من غير نتاج العرب.
(٢) نقيًا: أي الدقيق الذي تم نخله وتنقيته، وهو طعام المترفين .
(٣) محض الصواب (١/ ٥١٠).
(٤) التاريخ الإسلامي (١٩، ٢٠ / ٢٦٨).
(٥) عصر الخلافة الراشدة ص١١٤ .
(٦، ٧) فرائد الكلام ص١٦٥ .
(٨) أي اتهموه بالفجور .
(٩) الولاية على البلدان (١/ ١٢٨).

### ١٢- اختبار العمال قبل التولية:

كان عمر رضي الله عنه يختبر عماله قبل أن يوليهم، وقد يطول هذا الاختبار كما يوضحه الأحنف بن قيس حين قال: قدمت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فاحتبسني عنده حولاً فقال يا أحنف قد بلوتك وخبرتك فرأيت أن علانيتك حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك وإنّا كنا نتحدث إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم، ثم قال له عمر أتدري لم احتبستك؟ وبين له أنه أراد اختباره ثم ولاه[١]، ومن نصائح عمر للأحنف: يا أحنف، من كثر ضحكه قلتْ هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عُرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه[٢].

### ١٣- جعل الوالي من القوم:

من الملاحظ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في كثير من الأحيان يولي بعض الناس على قومهم إذا رأى في ذلك مصلحة ورأى الرجل جديراً بالولاية، ومن ذلك توليته «جابر بن عبد الله البجلي» على قومه بجيلة[٣]، حينما وجههم إلى العراق، وكذلك تولية سلمان الفارسي على المدائن، وتولية نافع بن الحارث على مكة، وعثمان بن أبي العاص على الطائف، ولعله كان يرمي من وراء ذلك إلى أهداف معينة يستطيع تحقيقها ذلك الشخص أكثر من غيره[٤].

### ١٤- المرسوم الخلافي:

وقد اشتهر عن عمر رضي الله عنه أنه حينما كان ينتهي من اختيار الوالي واستشارة المستشارين يكتب للوالي كتابًا يسمى عهد التعيين أو الاستعمال عند كثير من المؤرخين ويمكننا أن نسميه مجازاً (المرسوم الخلافي في تعيين العامل أو الأمير) وقد وردت العديد من نصوص التعيين لعمال عمر[٥] ولكن المؤرخين يكادون يتفقون على أن عمر

---

(١) الولاية على البلدان (١/ ١٤٢) مناقب أمير المؤمنين ص١١٧ .
(٢) صفة الصفوة (١/ ٢٨٧).
(٣،٤) الولاية على البلدان (١/ ١٤٢).
(٥) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص٤٠٧ .

ابن الخطاب ﷺ كان إذا استعمل عاملاً كتب له كتابًا وأشهد عليه رهطًا من المهاجرين والأنصار واشترط عليه شروطًا في الكتاب[١] كما قد يكون الشخص المرشح للولاية غائبًا، فيكتب له عمر عهدًا يأمره فيه بالتوجه إلى ولايته، ومثال ذلك كتابه إلى العلاء ابن الحضرمي عامله على البحرين يأمره بالتوجه إلى البصرة لولايتها بعد عتبة بن غزوان، كما أنه في حال عزل أمير وتعيين آخر مكانه فإن الوالي الجديد كان يحمل خطابًا يتضمن عزل الأول وتعيينه مكانه، وذلك مثل كتاب عمر لأبي موسى الأشعري حين عزل المغيرة بن شعبة عن ولاية البصرة وعين أبا موسى مكانه[٢].

### ١٥- لا يستعين بنصراني على أمور المسلمين:

قدم على عمر فتح من الشام، فقال لأبي موسى: ادع كاتبك يقرأه على الناس في المسجد. قال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد. قال عمر: لم؟ أجنب هو؟ قال: لا ولكنه نصراني، فانتهره عمر وقال: لا تدنوهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرموهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنوهم وقد خونهم الله، وقد نهيتكم عن استعمال أهل الكتاب، فإنهم يستحلون الرشوة[٣]، وعن أُسَّق[٤] قال: كنت عبدًا نصرانيًّا لعمر، فقال: أسلم حتى نستعين بك على بعض أمور المسلمين، لأنه لا ينبغي لنا أن نستعين على أمورهم بمن ليس منهم فأعتقني لما حضرته الوفاة وقال: اذهب حيث شئت[٥].

### ثانيًا- أهم صفات ولاة عمر:

من أهم صفات ولاة عمر؛ سلامة المعتقد، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، والتواضع وقبول النصيحة، والحلم، والصبر وعلو الهمة، والحزم والإرادة القوية، والعدل، والقدرة على حل المشكلات، وغير ذلك من الصفات وأما أهمها فهي:

#### ١- الزهد:

فمن ولاة عمر الذين اشتهروا بزهدهم، سعيد بن عامر بن حذيم وعمير بن

---

(١) الولاية على البلدان (١/ ١٤٤).
(٢) الولاية على البلدان (٢/ ٤٩).
(٣) بدائع السالك (٢/ ٢٧).
(٤) ذكره ابن حجر في الإصابة.
(٥) محض الصواب (٢/ ٥١٤)، الطبقات (٦/ ١٥٨).

سعد وسلمان الفارسي، وأبو عبيدة بن الجرّاح، وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهم وكان نساء بعض الولاة يقدمن الشكاوى إلى عمر نتيجة زهد أزواجهن، فقد اشتكت امرأة معاذ بن جبل رضي الله عنه وذلك: أن عمر بعث معاذًا ساعيًا. . على بعض القبائل فقسم فيهم حتى لم يدع شيئًا، حتى جاء مجلسه الذي خرج به على رقبته. فقالت امرأته: أين ما جئت به مما يأتي به العمال من عراضة أهليهم؟ فقال: كان معي ضاغط[1]، فقالت: قد كنت أمينًا عند رسول الله ﷺ وعند أبي بكر، أفبعث عمر معك ضاغطًا؟ فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر، فبلغ ذلك عمر فدعا معاذًا، فقال أنا بعثت معك ضاغطًا، فقال: لم أجد شيئًا أعتذر به إليها إلا ذلك. قال: فضحك عمر وأعطاه شيئًا وقال أرضها به[2].

## ٢- التواضع:

اشتهر الولاة في عهد عمر بتواضعهم الشديد حتى إن القادمين إلى بلادهم لا يميزون بينهم وبين عامة الناس فهم في لباسهم وبيوتهم ومراكبهم كعامة الناس لا يميزون أنفسهم بشي، ومن أمثلة ذلك قصة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، فقد بعث إليه الروم رجلاً ليفاوضه: فأقبل حتى أتى أبا عبيدة، فلما دنا من المسلمين لم يعرف أبا عبيدة من أصحابه، ولم يدر أفيهم هو أم لا ولم يرهبه مكان أمير. فقال لهم: يا معشر العرب، أين أميركم؟ فقالوا: هاهو ذا. فنظر فإذا هو بأبي عبيدة جالس على الأرض وهو متنكب القوس وفي يده أسهم وهو يقلبها. فقال له الرسول: أنت أمير هؤلاء؟ قال: نعم. قال فما يجلسك على الأرض؟ أرأيت لو كنت جالسًا على وسادة أو كان ذلك وضعك عند الله أو مانعك من الإحسان؟ قال أبو عبيدة: إن الله لا يستحي من الحق، ولأصدقنك عما قلت ما أصبحت أملك دينارًا ولا درهمًا وما أملك إلا فرسي وسلاحي وسيفي، لقد احتجت أمسي إلى نفقة فلم يكن عندي حتى استقرضت من أخي هذا نفقة كانت عنده -يعني معاذًا- فأقرضنيها، ولو كان عندي أيضًا بساط أو وسادة ما كنت لأجلس عليه دون إخواني وأصحابي وأجلس

---

(١) ضاغط: مراقب.

(٢) الولاية على البلدان (٢/ ٥٣).

أخي المسلم الذي لا أدري لعلـه عند الله خيـر مني على الأرض، ونحـن عبـاد الله نمشي على الأرض، ونجلس على الأرض، ونأكل على الأرض ونضجع على الأرض وليس ذلك ينقـصنا عند اللـه شيـئًـا، بل يعظم الله به أجورنا، ويرفع درجـاتنا، ونتواضع بذلك لربنا[١].

### ٣- الورع:

حرص العديد من الولاة أن يُعفى من الأعمال الموكلة إليهم فقد استعفى عتبة بن غزوان عمر من ولاية البصرة فلم يعفه[٢]، كما أن (النعمان بن مقرن) كان واليًا على كسكر فطلب إلى عمر أن يعفيه من الولاية ويسـمح له بالجهاد رغبة في الشهادة[٣]، كما رفض بعض الصـحابة الولاية حينما طلب منهم عـمر أن يعملوا في الولايات، فقد رفض الزبير بن العوام ولاية مصر حـينما عرض عليه ذلك قائلاً: يا أبا عبد الله هل لك في ولاية مصر؟ فقـال: لا حاجة لي فيها ولكن أخرج مـجاهدًا وللمسلمين معاونًا[٤]، كما رفض ابن عباس ولاية حمص حينمـا عرض عليه عمر أن يوليه إياها بعد وفاة أميرها[٥].

### ٤- احترام الولاة لمن سبقهم من الولاة:

امتاز الولاة على البـلدان باحترام من سبقـهم من الولاة وتقديرهم وهذا يلاحظ في معظم الولاة في العصر الـراشدي حيث نجد مثلاً أن خالدَ بن الوليـد حينما قدم إلى الشام أميرًا على أبي عبيدة بن الجراح وغـيره رفض أن يتقدم على أبي عبيدة في الصلاة، وحيـنما قام عمر بـعزل خالد بن الوليد عن ولاية أجناد الشـام وتعيين أبي عبيدة مكانه أخفـى أبو عبيدة الخبر عن خالد ولم يخبره بـه حتى ورد كتاب آخر من عمر، فـعلم خالد بالخبر فعـاتب أبا عبيدة على عـدم تبليغه[٦]، يقول الدكتـور عبد العزيز العمري: ولم أجد من خـلال البحث أن أحدًا من الولاة عمل على إذلال من

---

(١) فتوح الشام للأزدي ص١٢٢، ١٢٣ .
(٢،٣) الولاية على البلدان (٢/ ٥٤).
(٤) فتوح البلدان للبلاذري ص٢١٤ .
(٥) الخراج لأبي يوسف ص٢٢، ٢٣.
(٦) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٣٩، ١٤٠).

سبقه أو النيل منه، بل إنهم في الغالب يعـملون على مدحهم في أول خطبة يلقونها ويثنون عليهم[١].

**ثالثًا: حقوق الولاة:**

مما لا ريب فيـه أن للولاة على البلدان حقـوقًا مخـتلفة يتصل بعـضها بالرعـية وبعضها بالخليـفة، بالإضافة إلى حقوق أخرى متعلقـة ببيت المال، وكل هذه الحقوق الأدبية أو المادية تهدف بالدرجة الأولى إلى إعانة الولاة على القيام بواجباتهم وخدمة دين الإسلام وهذه أهم حقوقهم:

**١- الطاعة في غير معصية:**

وواجب الطاعة من الرعية للأمراء والولاة قررته الشريعة قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ (النساء، آية: ٥٩).

وهذه الآية تنص على وجوب طاعـة أولي الأمر ومنهم الأمراء المنفـذون لأوامر الله سبحـانه وتعالى[٢]، ولاشك أن طاعة الأمـراء والخلفاء مقيـدة بطاعة الله وأنهم متى عصوا الله فلا طاعة لهم[٣].

**٢- بذل النصيحة للولاة:**

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال له: يا أمير المؤمنين لا أبالي في الله لومة لائم خير لي أم أقبل على نفسي؟ فقال: أمـا من ولي من أمر المؤمنين شيئًا فلا يخف في الله لومة لائم، ومن كان خلوًا من ذلك فليقبل على نفسه ولينصح لولي أمره[٤].

**٣- إيصال الأخبار للولاة:**

يجب على الرعية للوالي إيصال الأخبار الصحيحة إليه والصدق في ذلك، سواء ما يخص أحوال العامـة، أو ما يخص أخبار الأعداء أو ما كان متـعلقًا بعمال الوالي

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٥٥). (٢،٣) المصدر نفسه (٢/ ٥٦).

(٤) الخراج لأبي يوسف ص١٥، الولاية على البلدان (٢/ ٥٧).

وموظفيه والعجلة في ذلك قدر المستطاع خصوصًا ما كان متعلقًا بالأمور الحربية وأخبار الأعداء وما يتعلق بخيانات العمال وغير ذلك من منطق الاشتراك في المسئولية مع الوالي في مراعاة المصلحة العامة للأمة[١].

### ٤- مؤازرة الوالي في موقفه:

إذا كان موقفه للمصلحة العامة وتلزم المعاونة بالدرجة الأولى من قبل الخليفة، فقد كان عمر رضي الله عنه حريصًا على هذا المعنى كل الحرص حيث كان يولي عناية خاصة لاحترام الناس لولاتهم وتقديرهم لهم ويبذل في ذلك مختلف الأسباب (فكان عمر على شدة ما فيه مع عماله إذا أحس باعتداء أو شبه اعتداء وقع على أحدهم يشتد على المعتدين في تلك الناحية ليبقى للعامل هيبة توقره في الصدور ومهابة يلجم بها العامة والخاصة)[٢].

### ٥- حق الأمير في الاجتهاد:

من حق الأمير الاجتهاد برأيه في الأمور التي يكون مجال الاجتهاد فيها مفتوحًا خصوصًا في الأمور التي لم يحددها الشرع بدقة وفي الأمور الأخرى التي لم يأت فيها تفويض من الخليفة للتصرف في حدود معينة، فقد اجتهد أحد ولاة عمر في الشام في قسمة الأسهم بين الراجلة والفرسان، فأجاز عمر اجتهاده، وقد اشتهر عن ابن مسعود وكان أحد ولاة عمر رضي الله عنه أنه خالف عمر في أكثر من مائة مسألة اجتهادية[٣].

### ٦- احترامهم بعد عزلهم:

من حقوق الولاة احترامهم بعد عزلهم، فعندما عزل عمر رضي الله عنه شرحبيل بن حسنة عن ولاية الأردن، بين للناس سبب عزله، وقال لشرحبيل عندما سأله أعن سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا إنك لكما أحب ولكني أريد رجلاً أقوى من رجل[٤]، وعزل سعد بن أبي وقاص عن ولاية الكوفة ولعله رأى أن احترامه يقضي

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٥٧).
(٢) المصدر نفسه (١/ ١٥٢).
(٣) إعلام الموقعين (٢/ ٢١٨).
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٣٩).

بإبعاده عن أناس كانوا يعيبونه في صلاته مع أن سعدًا ﷺ كان أشبه الناس صلاة برسول الله ﷺ لعلمه التام بصفة صلاة النبي ﷺ، فعزله عمر احترامًا له عن أن يقع فيه مثل هؤلاء الجهال(١).

٧- حقوقهم المادية:

أما عن الناحية المادية فقد كان للولاة حقوق وعلى رأسها مرتباتهم التي يعيشون عليها، ولا شك أن الصحابة ﷺ وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون قد أحسوا بأهمية الأرزاق بالنسبة للعمال، وأنها حق من حقوقهم إضافة إلى استغنائهم بها عن الناس وبالتالي عدم التأثير عليهم أو محاولة رشوتهم(٢)، وقد كان عمر بن الخطاب حريصًا على نزاهة عماله وعفتهم عن أموال الرعية، واستغنائهم بأموالهم عن أموال الغير، ولعل عمر بن الخطاب ﷺ قد أحس بهذه القضية الخطيرة، وأحس أنه لكي يضمن نزاهة عماله فلا بد له أن يغنيهم عن الحاجة إلى أموال الناس. وقد دار حوار بينه وبين أبي عبيدة مفهومه أن أبا عبيدة قال لعمر بن الخطاب: دنّست أصحاب رسول الله ﷺ -يعني باستعمالهم- فقال له عمر: يا أبا عبيدة إذا لم أستعن بأهل الدين على سلامة ديني فبمن أستعين؟ قال أبو عبيدة: أما إن فعلت فأغنهم بالعمالة عن الخيانة(٣)، يعني إذا استعملتهم في شيء فأجزل لهم في العطاء والرزق، حتى لا يحتاجون إلى الخيانة أو إلى الناس. وقد كان عمر يصرف لأمراء الجيش والقرى وجميع العمال من العطاء ما يكفيهم بالمعروف نظير عملهم ( على قدر ما يصلحهم من الطعام وما يقومون به من الأمور)(٤)، وكان عمر يحرص على نزاهة العمال عما بأيديهم من الأموال العامة فيقول لعماله: قد أنزلتكم من هذا المال ونفسي منزلة وصي اليتيم من كان غنيًا فليستعفف ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف(٥)، وقد فرض عمر لجميع عماله تقريبًا مرتبات محددة وثابتة سواء يومية أو شهرية أو سنوية وقد ورد ذكر بعضها في المصادر التاريخية منها ما كان طعامًا ومنها ما كان نقودًا محددة(٦)، وقد

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٥٩).
(٢) الولاية على البلدان (٢/ ٦٠).
(٣) الخراج لأبي يوسف ص١٢٢ .
(٤) الولاية على البلدان (١/ ١٤٩).
(٥) تاريخ المدينة (٢/ ٦٩٤) الولاية على البلدان (١/ ١٤٩).
(٦) الولاية على البلدان (١/ ١٥٠).

ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل عبد الله بن مسعود على القضاء وبيت المال وعثمان بن حنيف على ما سقى الفرات وعمّار بن ياسر على الصلاة والجند ورزقهم كل يوم شاة، فجعل نصفها وسقطها وأكارعها لعمار بن ياسر، لأنه كان في الصلاة والجند، وجعل ربعها لعبد الله بن مسعود والربع الآخر لعثمان بن حنيف كما ورد أن عمر ابن الخطاب فرض لعمرو بن العاص أثناء ولايته على مصر مائتي دينار[١]، وكان عطاء سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو على ثلاثين ألفًا من الناس في المدائن خمسة آلاف درهم، ولزهده كان يأكل من عمل يده من الخوص ويتصدق بعطائه[٢]،وقد وردت روايات أخرى متفاوتة في أرزاق عمر لولاته، ولا شك أن هذا الاختلاف في الروايات مرده إلى تطور الأحوال وتغيرها خلال عهد عمر، فلا يعقل أن تبقى الأرزاق والمرتبات على ماهي عليه من أول عهده إلى نهايته، نظرًا لتغير الظروف والأحوال واختلاف الأسعار وتطور الحاجات نتيجة اتساع الفتوح وزيادة الدخل في بيت المال[٣]، وقد ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رزق معاوية على عمله بالشام عشرة آلاف دينار في كل سنة، كما ذكر أن عمر كان يفرض لأمراء الجيوش والقرى في العطاء ما بين تسعة آلاف وثمانية آلاف وسبعة آلاف على قدر ما يصلهم من الطعام وما يقومون به من الأمور[٤].

وقد كره بعض العمال أخذ الأرزاق نتيجة قيامه بأعمال الإمارة والولاية للمسلمين إلا أن الفاروق كان يوجههم إلى أخذها، فقد قال عمر رضي الله عنه لأحد ولاته: ألم أحدثك أنك تلي من أعمال المسلمين أعمالاً فإذا أعطيت العمالة كرهتها؟ فقال: بلى، فقال عمر: ما تريد إلى ذلك؟ قال إني لي أفراسًا وأعبدًا وأنا بخير، وأريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين فقال عمر: لا تفعل فإني كنت أردت الذي أردت، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء فأقول أعطه أفقر إليه مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم: خذه فتموله وتصدق به، فما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف

(١) الطبقات الكبرى (٤/ ٢٦١).
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٥٤٧).
(٣) الولاية على البلدان (٢/ ٦٣).
(٤) الخراج لأبي يوسف ص٥٠، الولاية على البلدان (٢/ ٦٣).

فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك[١]، وعلى كل حال فإن مبدأ إعطاء الأرزاق للعمال وإغنائهم عن الناس كان مبدأ إسلاميًا فرضه الرسول ﷺ، وسار عليه الخلفاء الراشدون من بعده، حتى أغنوا العمال عن أموال الناس، وفرّغوهم للعمل ولمصلحة الدولة الإسلامية[٢].

**٨- معالجة العمال إذا مرضوا:**

مرض معيقيب، وكان خازن عمر على بيت المال، فكان يطلب له الطب من كل من يسمع عنده بطب، حتى قدم عليه رجلان من أهل اليمن، فقال: هل عندكم من طب لهذا الرجل الصالح، فإن هذا الوجع قد أسرع فيه. قالا: أما شيء يذهبه فإنا لا نقدر عليه ولكنا نداويه بدواء يقفه فلا يزيد. قال عمر: عافية عظيمة أن يقف فلا يزيد قال: هل ينبت في أرضك هذا الحنظل. قال: نعم: قالا: فاجمع لنا فيه فأمر عمر فجمع له منه مكتلان عظيمان، فعمدا إلى كل حنظلة، قطعاها باثنين، ثم أضجعا معيقيبًا فأخذ كل واحد منهما بإحدى قدميه ثم جعلا يدلكان بطون قدميه بالحنظل، حتى إذا امّحقت أخذ أخرى. ثم أرسلاه فقال عمر: لا يزيد وجعه هذا أبدًا. قال الراوي: فوالله ما زال معيقيب بعدها متمسكًا ما يزيد وجعه حتى مات[٣].

**رابعًا- واجبات الولاة:**

إن الولاة بما بوأهم الله من مكانة، قد ألقى على كاهلهم أعباءً ثقالاً، وواجبات جسامًا، أثر منها عن عمر بن الخطاب ما يلي:

**١- إقامة أمور الدين:**

كنشر الدين الإسلامي بين الناس، وإقامة الصلاة، وحفظ الدين وأصوله، وبناء المساجد وتيسير أمور الحج، وإقامة الحدود الشرعية:

*** نشر الدين الإسلامي:**

حيث اختص ذلك العصر بفتوحات عظيمة اقتضت من الولاة العمل على نشر

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٦٤)، الإدارة الإسلامية محمد كرد ص٤٨ .

(٢) الولاية على البلدان (٢/ ٦٤). (٣) أخبار عمر طنطاويات ص٣٤١ .

الدين في البلاد المفتوحة مستعينين بمن معهم من الصحابة[١]، وفي زمن عمر كتب إليه يزيد بن أبي سفيان وكان واليًا على الشام: إن أهل الشام قد كثروا وملؤوا المدائن واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم فأعني برجال يعلمونهم، فأرسل إليه عمر خمسة من فقهاء الصحابة[٢]، وقد اشتهر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يردد: ألا إنني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم أمر دينكم وسنة نبيكم[٣]، وكان عمر يقول لولاته إنا لا نوليكم على أشعار المسلمين ولا على أبشارهم وإنما نوليكم لتقيموا الصلاة وتعلموهم القرآن[٤]، وقد أرسل عمر رضي الله عنه مجموعة من المعلمين إلى الأمصار الإسلامية، حيث أسسوا المدارس العلمية المشهورة كما مرّ معنا.

### * إقامة الصلاة:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب لولاته: إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أشد إضاعة[٥]، كما كان عمر يؤكد لولاته أهمية إقامة الصلاة في الناس بقوله: وإنما نوليكم لتقيموا الصلاة وتعلموهم العلم والقرآن[٦]، وكان عمر رضي الله عنه ينص في قرار التعيين أن فلانًا أمير الصلاة والحرب كالقرار الذي عين فيه عمار بن ياسر على الصلاة والحرب وعبد الله ابن مسعود على القضاء وبيت المال[٧]، وقد تحدث الفقهاء الذين كتبوا في السياسة الشرعية عن أهمية الصلاة بالنسبة للأمير وما يتضمنه ذلك الأمر من معان عظيمة دنيوية وأخروية[٨].

### * حفظ الدين وأصوله:

حرص الفاروق على حفظ الدين على أصوله الصحيحة التي نزلت على رسول

---

(١) أعلام الموقعين (٢/ ٢٤٧). (٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٤٧). (٣) السياسة الشرعية ص١٥٠ .
(٤) نصيحة الملوك للماوردي ص٧٢ ، الولاية على البلدان (٢/ ٦٥).
(٥) الطريقة الحكمية ص٢٤٠ ، الولاية على البلدان (٢/ ٦٧).
(٦) نصيحة الملوك ص٧٢ . (٧) الأحكام السلطانية ص٣٣ . (٨) الولاية على البلدان (٢/ ٦٧).

الله، وكان يعمل جاهدًا على إحياء سنة الرسول ﷺ والقضاء على البدع والعمل على احترام دين الله وإحياء سنة رسول الله ﷺ، فقد أمر بطرد رجل وتغريبه نتيجة كثرة إثارته لمواضيع من المتشابه من القرآن[١] كما مر معنا، وأمر ﷺ بالقيام في رمضان وتعميم ذلك على الأمصار[٢]، وقد كتب إلى أبي موسى الأشعري: إنه بلغني أن ناسًا من قبلك قد دعوا بدعوى الجاهلية يا آل ضبة فإذا أتاك كتابي هذا فأنهكهم عقوبة في أموالهم وأجسامهم حتى يفرقوا إذا لم يفقهوا[٣].

* تخطيط وبناء المساجد:

وتذكر بعض الإحصاءات أنه أنشئ في عهد عمر ٤٠٠٠ مسجد في بلاد العرب وحدها وقد اشتهر الولاة بنشر المساجد وتأسيسها في مختلف مناطق حكمهم مثل عياض بن غنم الذي أنشأ مجموعة من المساجد في النواحي المختلفة من الجزيرة[٤].

* تيسير أمور الحج:

كان الولاة في عهد الخلافة الراشدة مسئولين عن تيسير أمور الحج في ولاياتهم وتأمين سلامة الحجاج منها، فقد كان الولاة يعينون الأمراء على قوافل الحج، ويحددون لهم أوقات السفر حيث لا يغادر الحجاج بلدانهم إلا بإذن الوالي. وقد أكد الفقهاء بعد ذلك على أن تسيير الحجاج عمل من مهام الوالي على بلده، يقول الماوردي: أما تسيير الحجيج من عمله فداخلة في أحكام إمارته لأنه من جملة المعونات التي تنسب لها[٥].

* إقامة الحدود الشرعية:

أقام عمرو بن العاص الحد على أحد أبناء عمر بن الخطاب في مصر ثم عاقبه عمر نفسه بالجلد، وقيل: إنه توفي بعد ذلك في أثر هذا الجلد[٦]، وقد كان الولاة يقومون بالقصاص في القتل دون إذن الخليفة إلى أن كتب إليهم عمر: ألا تقتلوا

---

(١، ٢) الولاية على البلدان (٢/ ٦٨).
(٣) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص١٣٣.
(٤) فتوح البلدان للبلاذري ص١٨٢، الولاية على البلدان (٢/ ٦٩).
(٥) الأحكام السلطانية ص٣٣.
(٦) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص٢٤٠، ٢٤٢.

أحدًا إلا بإذني[١]، فأصبحوا يستأذنون عمر في القتل قبل تنفيذه، فإقامة الحدود من الأمور الدينية والدنيوية التي كان ينظر إليها الخلفاء وولاتهم نظرة جادة ويهتمون بها كما يهتمون بشعائر الدين المختلفة[٢].

**٢- تأمين الناس في بلادهم:**

إن المحافظة على الأمن في الولاية من أعظم الأمور الموكلة إلى الوالي، وفي سبيل تحقيق ذلك فإنه يقوم بالعديد من الأمور أهمها إقامة الحدود على العصاة والفساق، مما يحد من الجرائم التي تهدد حياة الناس وممتلكاتهم[٣] وقد كتب عمر ﷺ إلى أبي موسى الأشعري: أخيفوا الفساق واجعلوهم يدًا يدًا ورجلاً رجلاً[٤]، كما أن إقامة فريضة الجهاد ضد الأعداء كانت لها دور كبير في تأمين البلاد الإسلامية وأمصارها[٥].

**٣- الجهاد في سبيل الله:**

إذا استعرضنا أسماء الأمراء منذ بداية خلافة أبي بكر إلى خلافة عمر لوجدنا لهم باعًا طويلاً في الفتوحات، بل إنهم كانوا يتوجهون أمراء إلى بلدان لم تفتح بعد فيعملون على فتحها ومن ثم تنظيمها كأمراء الشام أبي عبيدة، وعمرو بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة، وأمراء العراق كالمثنى بن حارثة وخالد بن الوليد وعياض بن غنم وغيرهم[٦]، وقد كان الولاة في عهد الخلفاء الراشدين مع إدارتهم لبلادهم مجاهدين لنواحي العدو، ولم يمنعهم ذلك من القيام بأعمالهم الموكلة إليهم، وقد تحدثت المصادر التاريخية عن أهم أعمال الولاة في دعم حركة الجهاد والتي من أهمها:

- **إرسال المتطوعين إلى الجهاد.**
- **الدفاع عن الولاية ضد الأعداء:** فقد قال عمر: ولكم علي أن أسد ثغوركم.
- **تحصين البلاد:** فقد أمر الفاروق ببناء حصون لمن نزل الجيزة في مصر من قبائل الفتح، خوفًا عليهم من الإغارات المفاجئة[٧].

---

(١) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص٥٢١ . (٢، ٣) الولاية على البلدان (٢/ ٧٠).
(٤) عيون الأخبار (١/ ١١). (٥، ٦) الولاية على البلدان (٢/ ٧١).
(٧) الولاية على البلدان (١/ ٧٧).

- **تتبع أخبار الأعداء:** فقد اشتهر عن أبي عبيدة رضي الله عنه متابعته الدقيقة لتجمعات الروم في بلاد الشام، فكان يقوم ببعض العمليات الانسحابية التمويهية بناء على هذه الأخبار[١].

- **إمداد الأمصار بالخيل:** وضع عمر رضي الله عنه سياسة عامة في الدولة لتوفير الخيل اللازمة للجهاد في الأمصار الإسلامية حسب حاجتها فأقطع أناسًا من البصرة أراضي كي يعملوا فيها على إنتاج الخيل وتربيتها[٢]، كما أعطى عمر أناسًا من المسلمين في دمشق أرضًا للعناية بالخيل فزرعوها فانتزعها منهم وأغرمهم لمخالفتهم الهدف من إعطائهم الأراضي وهو المساعدة في إنتاج الخيل، وقد كان لعمر أربعة آلاف فرس في الكوفة وكان قيمه عليها سلمان بن ربيعة الباهلي في نفر من أهل الكوفة يصنّع سوابقها ويجريها في كل عام، وبالبصرة نحوٌ منها، وأيضًا في كل مصر من الأمصار الثمانية عدد قريب من العدد السابق[٣] وكانت هذه الخيول مجهزة للدفاع الفوري عن الدولة الإسلامية[٤].

- **تعليم الغلمان وإعدادهم للجهاد:** فقد كان عمر رضي الله عنه يكتب إلى أهل الأمصار يأمرهم بتعليم أولادهم الفروسية والسباحة والرمي، وقد أصيب أحد الغلمان أثناء التعليم في الشام ومات، فكتبوا إلى عمر في ذلك فلم يثنه عن أمره بتعليم الأولاد الرمي[٥].

- **متابعة دواوين الجند:** اهتم الفاروق رضي الله عنه اهتمامًا خاصًا بدواوين الأمصار نظرًا لاعتقاده أن أهل الأمصار أحوج الناس للضبط خصوصًا القريبة من الأعداء وهي الأمصار التي تحتاج إلى الجنود باستمرار[٦]، وقد كان الولاة على البلدان مسئولين مباشرة عن دواوين الجند رغم وجود بعض الموظفين الآخرين الذين يتولون مهمتها، ولكن باعتبار أن هؤلاء الولاة هم أمراء الحرب فقد كانت مسئوليتهم عن الدواوين في بلدانهم كمسئولية الخليفة باعتبارهم نوابًا[٧].

---

(١) الفتوح ابن أعثم ص٢١٥ . (٢، ٤) الولاية على البلدان (٢/ ٧٤).

(٥) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص٤٨٦ . (٦) النظم الإسلامية، صبحي الصالح ص٤٨٨، ٤٩١ .

(٧) الولاية على البلدان (٢٠/ ٧٧).

- **تنفيذ المعاهدات:** وقد جرت بعض المعاهدات بين أبي عبيدة بن الجراح وبعض مدن الشام، وكذلك الحال بالنسبة لأمراء العراق كسعد بن أبي وقاص وأبي موسى الأشعري وغيرهم من الولاة، وقد كان الولاة إضافة إلى ذلك يحرصون على حماية حقوق الذميين والمعاهدات الشخصية والعامة، وينفذون المعاهدات انطلاقًا من الأوامر الشرعية برعاية العهد(١)، وقد أوصى الفاروق بأهل الذمة فقال: أوصيكم بذمة الله وذمة رسوله خيرًا، أن يقاتل مَنْ وراءهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم(٢).

**٤- بذل الجهد في تأمين الأرزاق للناس:**

فقد قال عمر: إن سلمني الله لأدعنّ أرامل العراق وهن لا يحتجن إلى أحد بعدي، ونحن لا ننسى موقف عمر عام الرمادة، حين حل الجوع بالناس، فإنه وضع جميع إمكانيات الدولة لحل الأزمة وإشباع البطون الجائعة، فقد روى البيهقي في سننه أن عمر أنفق على أهل الرمادة حتى وقع المطر، فترحلوا، فخرج إليهم عمر راكبًا فرسًا، فنظر إليهم وهم يترحلون بظعائنهم، فدمعت عيناه، فقال رجل من بني محارب بن خصفة: أشهد أنها انحسرت عنك، ولست بابن أمة يمتدح عمر، فقال له عمر: ويلك، ذلك لو أنفقت من مالي أو من مال الخطاب، إنما أنفقت من مال الله(٣)، وقد قال ﷺ: ولكم عليّ ألا أجتبي شيئًا من خراجكم ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم عليّ أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم إن شاء الله(٤)، وقد أخذ توزيع الأعطيات في عهد عمر شكلاً دوريًا منتظمًا، ولم يكن ذلك خاصًا بسكان البلدان، بل إن القبائل في البادية شملتها الأعطيات، فقد كان عمر بن الخطاب يدور في القبائل القريبة من المدينة ويوزع عليهم أعطياتهم بنفسه وكان يكتب إلى بعض ولاته أن أعط الناس أعطياتهم وأرزاقهم فكتب إليه عمر: إنه فيئهم الذي أفاء الله عليهم، ليس هو لعمر ولا آل عمر أقسمه بينهم(٥)، ولم يكتف عمر بتأمين الأموال للناس بل إنه عمل

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٧٧). (٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص١٣٣ .
(٣) سنن البيهقي (٦/ ٣٥٧) موسوعة فقه عمر ص١٣٥ . (٤) موسوعة فقه عمر ص١٣٧ .
(٥) الولاية على البلدان (٢/ ٧٧).

على تأمين الطعام، ففي إحدى زياراته للشام قام إليه بلال بن رباح فقال: يا أمير المؤمنين إن أمراء أجنادك بالشام والله ما يأكلون إلا لحوم الطير والخبز النقي وما يجد ذلك عامة المسلمين، فقال لهم عمر ﷺ ما يقول بلال؟ فقال له يزيد بن أبي سفيان: يا أمير المؤمنين إن سعر بلادنا رخيص وإنا نصيب هذا الذي ذكر بلال هنا بمثل ما كنا نقوت عيالاتنا بالحجاز فقال عمر ﷺ: لا والله لا أبرح حتى تضمنوا لي أرزاق المسلمين في كل شهر. ثم قال: انظروا كم يكفي الرجل ما يشتهيه؟ قالوا جريبين مع ما يصلحه من الزيت والخل عند رأس كل هلال فضمنوا له ذلك. ثم قال يا معشر المسلمين هذا لكم سوى أعطياتكم فإن وفى لكم أمراؤكم بهذا الذي فرضت لكم عليهم، وأعطوكموه في كل شهر، فذلك أحب، وإن هم لم يفعلوا فأعلموني حتى أعزلهم وأولي غيرهم(١)، وقد كان عمر يحرص على توفير الطعام في البلدان ويتابع الأسواق ويمنع الاحتكار، وكذلك كان ولاته يقومون بمهمتهم في مراقبة الأسواق، كما كان يأمر التجار بالمسير في الآفاق والجلب على المسلمين وإغناء أسواقهم(٢)، ولم يكتف الفاروق وولاته بتأمين الطعام ومراقبة الأسواق فقط، بل إن السكن وتوزيعه كان من المهام الموكلة لأمراء البلدان، فعند إنشاء الأمصار وتخطيطها وزعت الأراضي على الناس لسكناها في الكوفة والبصرة(٣) والفسطاط كما كان الأمراء يشرفون على تقسيم البيوت في المدن المفتوحة، كحمص ودمشق والإسكندرية وغيرها(٤).

### ٥- تعيين العمال والموظفين:

كان تعيين العمال والموظفين في الوظائف التابعة للولاية في كثير من الأحايين من مهام الوالي حيث إن الولاية في الغالب تتكون من بلد رئيس إضافة إلى بلدان وأقاليم أخرى تابعة للولاية، وهي بحاجة إلى تنظيم أمورها، فكان الولاة يعينون من مثلهم عمالاً وموظفين في تلك المناطق، سواء أكانوا في مستوى أمراء، أو عمال خراج، وفي الغالب فإن هذا التعيين يتم بالاتفاق بين الخليفة والوالي(٥).

---

(١) فتوح الشام للأزدي ص٢٥٧، الولاية على البلدان (٢/٧٨).
(٢) تاريخ المدينة (٢/٧٤٩).
(٣) الولاية على البلدان (٢/٧٩).
(٤) فتوح البلدان للبلاذري ص١٤٣، ٢٢٤.
(٥) الولاية على البلدان (٢/٧٩).

### ٦- رعاية أهل الذمة:

كانت رعاية أهل الذمة واحترام عهودهم والقيام بحقوقهم الشرعية، ومطالبتهم بما عليهم للمسلمين من واجبات، وتتبع أحوالهم، وأخذ حقوقهم ممن يظلمهم انطلاقًا من الأوامر الشرعية في هذا الجانب- من واجبات الوالي، وقد كان الخلفاء يشترطون على الذميين في كثير من الأحيان شروطًا معينة قبل مصالحتهم، وبالتالي يوفون لهم بحقوقهم ويطالبون بما عليهم من شروط[١].

### ٧- مشاورة أهل الرأي في ولايته وإكرام وجوه الناس:

شدد عمر على الولاة في استشارة أهل الرأي في بلادهم، وكان الولاة يطبقون ذلك ويعقدون مجالس للناس لأخذ آرائهم، وكان يأمر ولاته باستمرار بمشاورة أهل الرأي[٢]، وطلب من ولاته إنزال الناس منازلهم، فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: بلغني أنك تأذن للناس جمًّا غفيرًا، فإذا جاءك كتابي هذا فأذن لأهل الشرف وأهل القرآن والتقوى والدين، فإذا أخذوا مجالسهم فأذن للعامة؛ وكتب إليه أيضًا: لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائج الناس، فأكرموا وجوه الناس، فإنه بحسب المسلم الضعيف أن ينتصف في الحكم والقسمة[٣].

### ٨- النظر إلى حاجة الولاية العمرانية:

فقد قام سعد بن أبي وقاص بحفر نهر في ولايته بناء على طلب بعض كبار الفرس لصالح المزارعين في المنطقة[٤]، كما كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري يأمره بحفر نهر لأهل البصرة، وقام أبو موسى بحفر نهر طوله أربعة فراسخ حتى تمكن من جلب المياه لسكان البصرة[٥] كما اعتنى ولاة عمر رضي الله عنه عند تأسيسهم للأمصار المشهورة الكوفة، والبصرة والفسطاط بتخطيط الشوارع وتوزيع

---

(١،٢) الولاية على البلدان (٢/ ٨٠).

(٣) نصيحة الملوك للماوردي ص٢٠٧ ، موسوعة فقه عمر ص١٣٤ .

(٤) فتوح البلدان للبلاذري ص٢٧٣ ، الولاية على البلدان (٨٧٢).

(٥) فتوح البلدان للبلاذري ص٣٥١،٣٥٢ .

الأراضي وبناء المساجد وتأمين المياه، وغير ذلك من المصالح العامة لهذه المدن، كما اهتم الولاة بتوطين السكان في المناطق غير المرغوب فيها، لقربها من العدو أو غير ذلك من الأسباب فقد قدموا لهم الإغراءات وأقطعوهم الأراضي تشجيعًا لهم على البقاء فيها، وقد فعل ذلك عمر وعثمان في إنطاكية وفي بعض بلاد الجزيرة.

**٩- مراعاة الأحوال الاجتماعية لسكان الولاية:**

كان الوفد إذا قدموا على عمر رضي الله عنه سألهم عن أميرهم فيقولون خيرًا، فيقول هل يعود مرضاكم؟ فيقولون نعم، فيقول هل يعود العبد؟ فيقولون نعم، فيقول كيف صنيعه بالضعيف؟ هل يجلس على بابه؟ فإن قالوا لخصلة منها (لا عزله) [١] وكان عمر يقوم بعزل العامل إذا بلغه أنه لا يعود المريض ولا يدخل عليه الضعيف[٢]، كما حرص عمر بن الخطاب على أن يظهر عماله بالمظهر المتواضع أمام الناس حتى يشعر الناس بأن ولاتهم منهم ولا يتميزون عنهم، فكان عمر يشترط على عماله مركبًا وملبسًا مماثلاً للناس، وينهاهم عن اتخاذ الأبواب والحجاب[٣].

**١٠- عدم التفريق بين العربي وغيره:**

يجب على الولاة أن يقوموا بالمساواة بين الناس وأن لا يفرقوا بين العربي وغيره من المسلمين، فقد قدم قوم على عامل لعمر بن الخطاب، فأعطى العرب وترك الموالي، فكتب إليه عمر: أما بعد: فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم وفي رواية، كتب إليه: ألا سويت بينهم[٤].

كما أن هناك العديد من الواجبات الأخلاقية الأخرى التي أمر الإسلام بالتزامها مثل (الوفاء بالعهد، وإخلاص المرء في عمله، ومراقبة الله سبحانه وتعالى في كل ما يعمل، واستعداده للتعاون مع سائر الجماعة في كل أعمال البرّ والتقوى، ووجوب النصح لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فإن هذا ولا شك يؤدي إلى إصلاح حال الجماعة[٥])، وكان على الوالي، فضلاً عن الالتزام بهذه المعاني، نشرها بين

---

(١، ٣) الولاية على البلدان (٢/ ٨٢). (٤) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص٥٢٣.

(٥) النظريات السياسية الإسلامية محمد ضياء الريس ص٣٠٧، ٣٠٨.

الناس في ولايته وذلك من خلال خطبه وكتبه ومواعظه وتصرفاته، وقد كان الولاة في عصر الراشدين -بصفة إجمالية- نموذجًا صالحًا لهذه الأخلاقيات والواجبات، سواء في أشخاصهم وخصوصياتهم أم في سلوكهم العام مع الرعية[١].

### خامسًا- الترجمة في الولايات، وأوقات العمل عند الولاة:

#### ١- الترجمة في الولايات:

إن عملية الترجمة تعتبر من الوظائف المساعدة لولاة البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، والحاجة ماسة إليها، في كثير من الأحيان، وقد طلب عمر من ولاته في العراق أن يبعثوا إليه في المدينة بدهاقين من فارس ليتفاهم معهم حول قضايا الخراج، فبعثوا إليه بالدهاقين وبترجمان معهم[٢]، وقد ذكر عن المغيرة بن شعبة أنه كان يجيد شيئًا من اللغة الفارسية وقام بالترجمة بين عمر والهرمزان في المدينة[٣].

إن معرفة الترجمة أمر معروف في الدولة الإسلامية عمومًا في عصر الخلفاء الراشدين وقبل ذلك، وإذا علمنا أن دواوين الخراج كانت بغير اللغة العربية، فإننا ندرك مدى الحاجة إلى وجود مترجمين في الولايات يتولون الترجمة في قضايا الخراج وغيرها خصوصًا أن العمال الرئيسيين على الخراج كانوا بالدرجة الأولى من العجم، كما أن انتشار الموالي والداخلين الجدد في الإسلام في البلدان الإسلامية المختلفة جعل الحاجة إلى الترجمة مهمة جدًا في كثير من الأمور المتصلة بالقضاء وغيره، كما أن المفاوضات بين القواد الفاتحين وهم في الغالب من الولاة وبين أهل البلاد المفتوحة يحتاج إلى وجود المترجمين[٤].

#### ١- أوقات عمل الولاة:

لم يكن هناك تنظيم دقيق لوقت العمل في عهد الفاروق، فقد كان الخليفة والولاة يعملون في جميع الأوقات، وليس عليهم حجاب حتى إن بعضهم يقوم

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٨٥).
(٢،٣) الخراج لأبي يوسف ص٤٠، ٤١، الولاية على البلدان (٢/ ١٠٥).
(٤) الولاية على البلدان (٢/ ١٠٤).

بالتجـول ليلاً وقـدوتهم في ذلك عمر بن الخـطاب الذي اشتهـر بالمشي ليلاً وتفـقد المدينة، وقد كان الناس يدخلون على الولاة في مختلـف الأوقات ويقضون حاجاتهم دون أن يجد الناس من يمنعـهم من الدخول على الولاة بحـجة أن ذلك الوقت ليس وقت عـمل، وقد اشـتهـر الولاة بحـرصهم عـلى إنجاز الأعـمال أولاً بأول وعـدم تأخيرها، وقد كتب عمـر بن الخطاب في هذا المجال إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قائلاً: لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد فتدال عليك الأعمال، فتضيع، وإن للناس لنفرة عن سلطانهم أعـوذ بالله أن تدركني وإياكم وضغـائن محـمولة ودنيـا مؤثرة وأهواء متبعة[١].



(١) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص١٢٩ .

# المبحث الثالث
# متابعة الولاة ومحاسبة عمر لهم

## أولاً: متابعة الولاة:

لم يكن عمر يرضى بأن يهتم بحسن اختيار عماله، بل كان يبذل أقصى الجهد لمتابعتهم بعد أن يتولوا أعمالهم ليطمئن على حسن سيرتهم ومخافة أن تنحرف بهم نفوسهم، وكان شعاره لهم: خيرٌ لي أن أعزل كل يوم واليًا من أن أبقي ظالمًا ساعة نهار[١]، وقال: أيما عامل لي ظلم أحدًا فبلغني مظلمته فلم أغيرها، فأنا ظلمته[٢]، وقال يومًا لمن حوله: أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل، أكنت قضيت ما عليّ؟ فقالوا: نعم. قال: لا حتى أنظر في عمله، أعَمِل بما أمرته أم لا[٣]. وقد سار رضي الله عنه بحزم في رقابته الإدارية لعماله وتابعهم بدقة، وكانت طريقة عمر في الإدارة إطلاق الحرية للعامل في الشئون المحلية وتقييده في المسائل العامة ومراقبته في سلوكه وتصرفاته، وكان له جهاز سري، مربوط به لمراقبة أحوال الولاة والرعية، وقد بينت لنا المصادر التاريخية أن ما يشبه اليوم (المخابرات) كان موجودًا عند عمر فقد كان علمه بمن نأى عنه من عماله علمه بمن بات معه في مهاد واحد، وعلى وساد واحد فلم يكن في قطر من الأقطار ولا ناحية من النواحي عامل أو أمير جيش إلا وعليه عين لا يفارقه، فكانت ألفاظ من بالمشرق والمغرب عنده في كل ممس ومصبح، وأنت ترى ذلك في كتبه إلى عماله حتى كان العامل منهم ليتهم أقرب الناس إليه وأخصّهم[٤]، وكانت وسائل عمر في متابعته لعماله متعددة منها:

### ١- طلب من الولاة دخول المدينة نهاراً:

كان رضي الله عنه يطلب من ولاته - القادمين إلى المدينة - أن يدخلوها نهاراً، ولا

(١) النظم الإسلامية، صبحي الصالح ص٨٩، الإدارة الإسلامية ٢١٥.

(٢) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص٥٦، الإدارة الإسلامية ٢١٥.

(٣) الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ص٢١٥.

(٤) التاج في أخلاق الملوك ص١٦٨.

يدخلوها ليلاً، حتى يظهر ما يكون قد جاءوا به من أموال ومغانم فيسهل السؤال والحساب[١].

**٢- طلب الوفود من الولاة:**

كان عمر ﷺ يطلب من الولاة أن يرسلوا وفودًا من أهل البلاد ليسألهم عن بلادهم، وعن الخراج المفروض عليهم ليتأكد بذلك من عدم ظلمهم، ويطلب شهادتهم فكان يخرج إليه مع خراج الكوفة عشرة من أهلها، ومع خراج البصرة مثلهم، فإذا حضروا أمامه شهدوا بالله أنه مال طيب، ما فيه ظلم مسلم ولا معاهد[٢]، وكان هذا الإجراء كفيلاً بمنع الولاة من ظلم الناس إذ لو حدث هذا لرفعه هؤلاء الموفدون إلى أمير المؤمنين وأخبروه به، كما أن عمر في الغالب كان يقوم بمناقشة هؤلاء الموفدين وسؤالهم عن بلادهم وعن ولاتهم وسلوكهم معهم[٣].

**٣- رسائل البريد:**

كان عمر ﷺ يرسل البريد إلى الولاة في الأمصار فقد كان يأمر عامل البريد عندما يريد العودة إلى المدينة أن ينادي في الناس من الذي يريد إرسال رسالة إلى أمير المؤمنين؟ حتى يحملها إليه دون تدخل من والي البلد، وكان صاحب البريد نفسه لا يعلم شيئًا من هذه الرسائل، وبالتالي يكون المجال مفتوحًا أمام الناس لرفع أي شكوى أو مظلمة إلى عمر نفسه دون أن يعلم الوالي أو رجاله بذلك، وحينما يصل حامل الرسائل إلى عمر ينثر ما معه من صحف ويقرأها عمر ويرى ما فيها[٤].

**٤- المفتش العام (محمد بن مسلمة):**

كان محمد بن مسلمة الأنصاري يستعين به الفاروق في متابعة الولاة ومحاسبتهم والتأكد من الشكاوى التي تأتي ضدهم، فكان موقع محمد بن مسلمة كالمفتش العام في دولة الخلافة، فكان يتحرى حقائق أداء الولاة لأعمالهم، ومحاسبة المقصرين

(١) فن الحكم ص١٧٤ .
(٢) الخراج لأبي يوسف ص١٢٤ الولاية على البلدان (١/ ١٥٧).
(٣) الولاية على البلدان (١/ ١٥٧).
(٤) تاريخ المدينة (٢/ ٧٦١).

منهم، فقد أرسله عمر لمراقبة ومحاسبة كبار الولاة[1]، والتحقيق في الشكايات ومقابلة الناس والسماع منهم ونقل آرائهم عن ولاتهم إلى عمر مباشرة، وكان مع محمد بن مسلمة أعوان.

### ٥- موسم الحج:

كان موسم الحج فرصة لعمر ليستقي أخبار رعيته وولاته، فجعله موسمًا للمراجعة والمحاسبة واستطلاع الآراء في شتى الأنحاء؛ فيجتمع فيه أصحاب الشكايات والمظالم، ويفد فيه الرقباء الذين كان عمر يبثهم في أرجاء دولته لمراقبة العمال والولاة ويأتي العمال أنفسهم لتقديم كشف الحساب عن أعمالهم، فكان موسم الحج «جمعية عمومية كأرقى ما تكون الجمعيات العمومية في عصر من العصور[2]، وكان عمر يلخص في موسم الحج واجبات عماله أمام الرعية ثم يقول: فمن فعل به غير ذلك فليقم» فما قام من أهل الموسم - آنذاك - أحد إلا رجل واحد - مما يدل على عدالة هؤلاء الولاة ورضا الرعية عنهم - فقال ذلك الرجل: إن عاملك فلانًا ضربني مائة سوط؛ فسأل عمر العامل فلم يجد عنده جوابًا، فقال للرجل قم فاقتص منه فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر، ويكون سُنَّة يُؤخذ بها بعدك، فقال عمر: أنا لا أقيد - أي اقتص - وقد رأيت رسول الله ﷺ يقيد من نفسه؟ فقال عمرو: فدعنا فلنرضه، فقال: دونكم فأرضوه، فافتدى العامل من الرجل بمائتي دينار، كل سوط بدينارين[3].

### ٦- جولة تفتيشية على الأقاليم:

كان تفكير عمر قبل مقتله أن يجول على الولايات شخصيًا لمراقبة العمال وتفقد أحوال الرعية، والاطمئنان على أمور الدولة المترامية، قال عمر: لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولا، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني، أما عمالهم

---

(١) الأنصار في العصر الراشدي ص١٢٣إلى ١٢٦.

(٢) عبقرية عمر للعقاد ص٨٢، الدولة الإسلامية د. حمدي شاهين ص١٣٨.

(٣) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٢٢).

فلا يدفعونها إليّ، وأما هم فلا يصلون إليّ، فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين، ثم والله لنعم الحول هذا[1]، وقد طبق عمر شيئًا من هذا خصوصًا في ولاية الشام حيث سار إليها عدة مرات وتفقد أحوالها ودخل بيوت ولاتها وأمرائها[2]، ليعرف أحوالهم عن كثب فقد دخل دار أبي عبيدة وشاهد حالته وتقشفه ودار بينه وبين امرأة أبي عبيدة حوار شديد ألقت فيه اللوم على عمر نتيجة ما يعيشون فيه من تقشف، كما زار دار خالد بن الوليد ولم يجد عنده شيئًا يلفت النظر سوى أسلحته التي كان منشغلاً بإصلاحها، وقد كان عمر أثناء دخوله على هؤلاء يدخل فجأة إذ يصحبه رجل فيطرق الباب على الوالي فيتكلم الرجل ويطلب الإذن بالدخول له ولمن معه دون أن يعلموا أنه عمر وحينما يدخل عمر إلى الدار يقوم بالتمحيص فيها والاطلاع على ما فيها من أثاث[3]، وقد سمع عمر رضي الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان ينوع في طعامه، فانتظر حتى إذا حان وقت عشاء يزيد استأذن عليه عمر، فلما رأى طعامه نهاه عن الإسراف في الطعام[4]، ولم يكتف عمر بالمراقبة عن طريق هذه الزيارات بل عمد إلى طريقة أخرى وهي إرسال كميات من الأموال إلى الولاة وإرسال من يراقبهم حتى يعرف كيف تصرفوا فيها فأرسل إلى أبي عبيدة بخمسمائة دينار فعمد إليها أبو عبيدة فقسمها كلها فكانت امرأته تقول: والله لقد كان ضرر دخول الدنانير علينا أكثر من نفعها ثم إن أبا عبيدة عمد إلى خلق ثوب كنا نصلي فيه فيشققه، ثم جعل يصبّر فيه من تلك الدنانير الذهب ويبعث بها إلى مساكين، فقسمها عليهم حتى فنيت[5]، وعمل عمر الشيء نفسه مع ولاة آخرين في سفرته تلك إلى الشام، ولم يكتف عمر بمراقبته للعمال أثناء سفره، بل كان يستقدمهم إلى المدينة ثم يوكل من يراقبهم في أكلهم وشربهم، ولباسهم، ويفعل ذلك بنفسه أيضًا[6].

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٨)، الولاية على البلدان (١/ ١٦١).
(٢) الولاية على البلدان (١/ ١٦١).
(٣) تاريخ المدينة (٣/ ٨٣٧).
(٤) الولاية على البلدان (١/ ١٦٢).
(٥) تاريخ المدينة (٣/ ٨٣٧).
(٦) الولاية على البلدان (١/ ١٦٢).

٧- الأرشيف أو الملفات الخاصة بأعمال الخلافة:

كان عمر رضي الله عنه حريصًا كل الحرص على حفظ الأوراق الخاصة بالولايات وبالخلافة عمومًا وكان أكثر حرصه على حفظ المعاهدات التي يجريها الولاة مع أهل البلاد المفتوحة منعًا لظلم أحد، فقد ورد أنه كان هناك تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد ممن عاهده، ويمكننا أن نطلق على هذا التابوت (الأرشيف) أو الملفات الخاصة بأعمال الخلافة، ولعل الولاة أيضًا كانوا يحتفظون بأوراقهم ومكاتباتهم للعودة إليها عند الحاجة وحتى لا تلتبس عليهم الأمور[١].

ثانيًا- شكاوى من الرعية في الولاة:

كان عمر رضي الله عنه يحقق بنفسه في شكاوى الرعية ضد ولاتهم وكان يحرص على استيضاح الأمر، والتحقيق الدقيق واستشارة أصحاب الرأي والشورى الذين كانوا من حوله، ثم كانت تأتي أوامره في تنفيذ الجزاء والعقوبة على من يستحق سواء أكان عاملاً أم من الرعية[٢]، وهذه بعض الشكاوى ضد الولاة وكيف تعامل عمر معها رضي الله عنه:

١- شكوى أهل الكوفة في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

اجتمع نفر من أهل الكوفة بزعامة الجراح بن سنان الأسدي فشكوا أميرهم سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه إلى أمير المؤمنين عمر، وذلك في حال اجتماع المجوس في نهاوند لغزو المسلمين، فلم يشغلهم ما داهم المسلمين في ذلك، ولقد كان سعد عادلاً رحيمًا بالرعية قويًا حازمًا على أهل الباطل والشقاق، عطوفًا على أهل الحق والطاعة، ومع ذلك شغب عليه هؤلاء القوم ممن لا يطيقون حكم الحق ويريدون أن يحققوا شيئًا من أهوائهم، وقد وقتوا لشكواهم وقتًا رأوا أنه أدعى لسماع أمير المؤمنين منهم حيث كان المسلمون مقبلين على معركة مصيرية تستدعي اتفاق كلمة المسلمين وتضافر جهودهم في مواجهتها، وحيث كانوا يعلمون اهتمام عمر الشديد باجتماع كلمة المسلمين دائمًا، وخاصة في مثل تلك الظروف، فرجوا أن يفوزوا

---

(١) الولاية على البلدان (١/ ١٦٣).

(٢) الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ٢٢٣.

ببغيتهم، وقد استجاب أمير المؤمنين لطلبهم في التحقيق في أمر شكواهم مع علمه بأنهم أهل هوى وشر، ولم يكتمهم اعتقاده فيهم، بل صرّح لهم بذلك، وبين لهم أن اعتقاده بظلمهم لواليهم وتزويرهم الحقائق لا يمنعه من التحقيق في أمرهم، واستدل على سوء مقصدهم بتوقيتهم السيء حيث قال لهم: إن الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم في هذا الأمر وقد استعدَّ لكم من استعدوا، وايم الله لا يمنعني ذلك من النظر فيما لديكم وإن نزلوا بكم[1]، فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس في الاستعداد للأعاجم والأعاجم في الاجتماع، وكان محمد بن مسلمة هو صاحب العمال الذي يقتص آثار من شُكي زمان عمر فقدم محمد على سعد ليطوف به في أهل الكوفة، والبعوث تضرب على أهل الأمصار إلى نهاوند، فطوّف به على مساجد أهل الكوفة، لا يتعرض للمسألة عنه في السر، وليست المسألة في السر من شأنهم إذ ذاك[2].

وفي هذا بيان لمنهج الصحابة ﷺ في التحقيق في قضايا الخلاف التي تجري بين المسئولين ومن تحت ولايتهم، فالتحقيق يتم في العلن، وذلك بحضور المسئول والذين هو مسئول عنهم وكان لا يقف على مسجد فيسألهم عن سعد إلا قالوا: لا نعلم إلا خيراً ولا نشتهي به بدلاً، ولا نقول فيه ولا نعين عليه، إلا من مالأ الجراح ابن سنان وأصحابه فإنهم كانوا يسكتون لا يقولون سوءًا، ولا يسوغ لهم، ويتعمّدون ترك الثناء، حتى انتهوا إلى بني عبس. فقال محمد: أنشد بالله رجلاً يعلم حقًّا إلا قال، قال أسامة بن قتادة: اللهم إن نشدتنا فإنه لا يقسم بالسوية، ولا يعدل في الرعية، ولا يغزو في السرية، فقال سعد: اللهم إن كان قالها كذبًا ورئاء وسمعة فأعم بصره، وأكثر عياله، وعرّضه لمضلات الفتن، فعمي واجتمع عنده عشر بنات، وكان يسمع بخبر المرأة فيأتيها حتى يحبسها، فإذا عثر عليه، قال: دعوة سعد الرجل المبارك. قال: ثم أقبل - يعني سعد - على الدعاء على النفر، فقال: اللهم إن كانوا خرجوا أشراً وبطراً وكذبًا فاجهد بلاءهم، فجُهد بلاؤهم، فقطع الجراح بالسيوف يوم

---

(١، ٢) تاريخ الطبري (٥/ ١٠٣).

ثاور الحسن بن علي ليغتاله بساباط، وشُدخ قبيصة بالحجارة، وقتل أربد بالوجء - يعني الضرب - بنعال السيوف - يعني بأعقابها - هذا وإن في هذا الخبر نموذجًا من معية الله تعالى لأوليائه المتقين حيث استجاب الله تعالى دعوة سعد على من ظلموه فأصيبوا جميعًا بما دعا عليهم، وإن في استجابة الله تعالى دعاء سعد وأمثاله لونًا من العناية الإلهية بأولياء الله المتقين، فكم خاف المبطلون من هذا السلاح الخفي الذي لا يملكون بكل وسائلهم المادية مقاومته ولا الحدَّ منه، وكون هؤلاء الذين دعا عليهم سعد خُتم لهم بالخاتمة السيئة دليل على تمكن الهوى والشر من نفوسهم حتى أدى بهم ذلك إلى المصير السيئ، وقد دافع سعد عن نفسه فقال: إني لأول رجل أهرق دمًا من المشركين، ولقد جمع لي رسول الله أبويه، وما جمعهما لأحد قبلي - يعني حينما قال له يوم أحد: ارم فداك أبي وأمي - ولقد رأيتني خمس الإسلام، وبنو أسد تزعم أني لا أحسن أن أصلي وأن الصيد يلهيني؟! وخرج محمد بن مسلمة به وبهم إلى عمر حتى قدموا عليه، فأخبره الخبر، فقال: يا سعد ويحك كيف تصلي؟ قال: أطيل الأوليين وأحذف الأخريين، فقال هكذا الظن بك، ثم قال عمر ﷺ: لولا الاحتياط لكان سبيلهم بيِّنًا، ثم قال: من خليفتك يا سعد على الكوفة؟ فقال: عبد الله بن عبد الله بن عتبان، فأقره واستعمله[1] وقول عمر ﷺ: لولا الاحتياط كان سبيلهم بينا يعني قد اتضح أمرهم، وأنهم ظالمون جاهلون، وظهرت براءة سعد مما نسبوه إليه، ولكن الاحتياط لأمر الأمة يقتضي درء الفتن وإماتتها وهي في مهدها قبل أن تستفحل فتسبِّب الشقاق والفرقة وربما القتال، وإذا كان المسئول المدَّعى عليه بريئًا مما نُسب إليه، فإن ذلك لا يضره بشيء، وقد برئت ساحته مما نسب إليه من التهمة، وقد كانوا يفهمون الولاية مغرمًا لا مغنمًا، وتكليفًا يرجون به ثواب الله تعالى، فالولاية على أمر من أمور المسلمين نوع من الأعمال الصالحة لمن اتقى الله تعالى وأراد رضوانه والدار الآخرة، فإذا تحول هذا العمل إلى مصدر للفتنة فإن الحكمة تقتضي عدم الاستمرار فيه، كما هو الحال في هذه الواقعة، ولكل حادث

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٠٤).

حديث وهذا هو ما أقدم عليه عمر حينما أعفى سعداً من العمل، وكلّف نائبه الذي هو موضع ثقة سعد[١].

هذا وقد استبقى عمر سعداً رضي الله عنه في المدينة وأقر من استخلفه سعد على الكوفة بعده، وصار سعد من مستشاري عمر في المدينة[٢]، ثم جعله من الستة المرشحين للخلافة حين طعن ثم أوصى الخليفة من بعده بأن يستعمل سعداً (فإني لم أعزله عن سوء، وقد خشيت أن يلحقه من ذلك[٣].

**٢- شكاوى ضد عمرو بن العاص والي مصر:**

كانت مراقبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن العاص صارمة وحازمة وكان الخليفة الفاروق يتدخل في شئون الولاية المختلفة وحتى عندما اتخذ عمرو بن العاص منبراً كتب إليه: أما بعد فقد بلغني أنك اتخذت منبراً ترقى به على رقاب المسلمين أو ما يكفيك أن تكون قائماً والمسلمون تحت عقبك فعزمت عليك إلا ما كسرته[٤]، وكان عمرو بن العاص يخشى مراقبة عمر بن الخطاب ويعلم مدى حرصه على إقامة العدل بين الناس، وعلى إقامة الحدود الشرعية، فكان يبذل جهده حتى لا يصل إلى عمر من الأخبار إلا ما يسره ومن ذلك أن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب ورجلاً آخر شربا شراباً دون أن يعلما أنه مسكر فسكرا، ثم إنهما جاءا إلى عمرو بن العاص يطلبان منه أن يقيم عليهما الحد فزجرهما عمرو وطردهما، فقال له عبد الرحمن: إن لم تفعل أخبرت أبي قال عمرو: فعلمت أني إن لم أقم عليهما الحد غضب عمر وعزلني، ثم إن عمرو جلدهما أمام الناس وحلق رأسيهما داخل بيته، وكان الأصل العقاب بالحلق مع الجلد في وقت واحد أمام الناس، فجاءه كتاب من عمر يعنفه على عدم حلقه أمام الناس، وكان فيه: تضرب عبد الرحمن في بيتك وتحلق رأسه في بيتك وقد عرفت أن هذا يخالفني، إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين، ولكن قلت هو ولد أمير المؤمنين وقد عرفت ألا هوادة لأحد من الناس عندي في حق يجب لله عليه[٥].

---

(١) التاريخ الإسلامي للحميدي (١١/ ٢٢٢). (٢) دور الحجاز في الحياة السياسية ص٢٥٧.
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٢٢٥). (٤) فتوح مصر وأخبارها ص٩٢ . (٥) تاريخ المدينة (٣/ ٨٤١).

وقد وجهت ضد عمرو بن العـاص بعض الشكاوى أثناء ولايته بعضها من جنوده المسلمين، وبعضها من أهل البلاد من الأقباط، مما دعـا عمر رضي الله عنه إلى استدعاء عمرو ابن العاص عدة مرات، لمعاتبته بل وأحيانًا لمعاقبته على ما بدر منه، ومن ذلك ما تقدم به أحد المصريين ضد ابن لعمرو بن العـاص ضربه بالسوط، مما جعل عمر بن الخطاب يستدعي عمراً وابنه ثم يأمر المصري بالقصاص من ابن عمرو بن العاص ويقول له: لو ضربت أباه عمـرًا لما حلنا بينك وبين ذلك، والتفت عمر إلى عمـرو بن العاص وقال قولته المشهورة: متى استـعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً[(١)]. وكذلك يدخل في هذا الباب ما تقدم به أحد الجنود من أن عمرو بن العاص اتهمه بالنفاق وكتب معه عمر إلى عمرو بن العاص أمرًا بأن يجلس عمرو أمام الناس فيجلده إذا ثبت صدق ما ادعاه بشهادة شهود، وقد ثبت بالشهادة أن عمراً رماه بالنفاق، فحاول بعض الناس أن يمنع الرجل من ضرب عمرو وأن يدفع لـه الأرش مقابل الضرب، ولكنه رفض ذلك، وعندما قام على رأس عمرو ليضربه سـأله: هل يمنعني أحد من ضربك؟ فقال عمرو: لا، فامض لما أمرت به، قال: فإني قد عفوت عنك[(٢)].

## ٣- شكاوى ضد أبي موسى الأشعري والي البصرة:

عن جرير بن عبد الله البجلي أن رجـلاً كان مع أبي موسى الأشعري، وكان ذا صوت، ونكاية، في العدو، فغنموا مغنمًـا فأعطاه أبو موسى بعض سهمه، فأبى أن يقبله إلا جميـعًا، فجلده أبو موسى عشرين سوطًا وحلقه، فـجمع الرجل شعره ثم ترحل إلى عـمر بن الخطاب حـتى قدم عليـه، فدخل على عـمر بن الخطـاب، قال جرير: وأنا أقرب الناس من عـمر، فأدخل يده فاستخرج شـعره ثم ضرب به صدر عمر ثم قال: أمـا والله لولا النار، فقال عمر: صدق والله لولا النار فـقال: يا أمير المؤمنين إني كنت ذا صوت ونكاية، فـأخبره بأمره، وقال ضربني أبو مـوسى عشرين سـوطًا، وحلق رأسي، وهو يرى أنه لا يقـتص منه، فقـال عمـر رضي الله عنه: لأن يكون الناس كلهم على صرامة هذا، فأحب إلي من جمـيع ما أفاء الله علينا، فكتب عمر

(١) الولاية على البلدان (١/ ٨١).

(٢) تاريخ المدينة (٣/ ٨٠٧، ٨٠٨) في إسناده انقطاع.

إلى أبي موسى: السلام عليك أما بعد فإن فلانًا أخبرني بكذا وكذا، فإن كنت فعلت ذلك في ملأ من الناس، فعزمت عليك لما قعدت له في ملأ من الناس، حتى يقتص منك وإن كنت فعلت ذلك في خلاء من الناس، فاقعد له في خلاء من الناس، حتى يقتص منك، فقدم الرجل، فقال له الناس: أُعف عنه، فقال: لا والله لا أدعه لأحد من الناس، فلما قعد له أبو موسى ليقتص منه، رفع الرجل رأسه إلى السماء ثم قال: اللهم إني قد عفوت عنه[1]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع عمر في مسير فأبصر رجلاً يسرع في سيره، فقال: إن هذا الرجل يريدنا، فأناخ ثم ذهب لحاجته، فجاء الرجل فبكى وبكى عمر رضي الله عنه وقال: ما شأنك؟ فقال: يا أمير المؤمنين إني شربت الخمر، فضربني أبو موسى وسود وجهي، وطاف بي، ونهى الناس أن يجالسوني، فهممت أن آخذ سيفي فأضرب به أبا موسى، أو آتيك فتحولني إلى بلد لا أعرف فيه، أو ألحق بأرض الشرك، فبكى عمر رضي الله عنه وقال: ما يسرني أنك لحقت بأرض الشرك وأن لي كذا وكذا، وقال: إن كنت ممن شرب الخمر، فلقد شرب الناس الخمر في الجاهلية، ثم كتب إلى أبي موسى: إن فلانًا أتاني فذكر كذا وكذا، فإذا أتاك كتابي هذا فأمر الناس أن يجالسوه وأن يخالطوه، وإن تاب فاقبل شهادته، وكساه وأمر له بمائتي درهم[2]، وجاء في رواية: إن فلانًا بن فلان التميمي أخبرني بكذا وكذا، وايم الله لئن عُدت لأسودنّ وجهك وليطاف بك في الناس، فإن أردت أن تعلم أحق ما أقول فعد وأمُر الناس فليؤاكلوه وليجالسوه، وإن تاب فاقبلوا شهادته وكساه عمر رضي الله عنه حُلّة وحمله، وأعطاه مائتي درهم[3]، وهذه القصة فيها حرص الفاروق على ألا يتعدى أحدٌ من عماله العقوبات الشرعية عند معاقبة العاصين[4].

### ٤- شكوى أهل حمص ضد سعيد بن عامر:

قال خالد بن معدان: استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر

---

(١) محض الصواب (٢/٤٦٧) إسناده حسن.
(٢) محض الصواب (٢/٥٥٢) إسناده حسن.
(٣) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص١٣٤ إسناده حسن.
(٤) المصدر نفسه ص١٣٣.

الجُمحي، فلما قدم عمر حمص قال: يا أهل حمص، كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه، وكان يقال لأهل حمص الكوفية الصغرى لشكايتهم العمال، قالوا: نشكوه أربعًا، لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: أعظم بها وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحدًا بليل، قال: وعظيمة، وماذا؟ قالوا: وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا، قال عظيمة وماذا؟ قالوا: يَغْنَط الغَنْطَة بين الأيام (أي يغمى عليه ويغيب عن حسه) فجمع عمر بينهم وبينه وقال: اللهم لا تفيّل رأيي فيه اليوم، وافتتح المحاكمة فقال لهم أمامه: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: ما تقول؟ قال: والله إن كنت لأكره ذكره: ليس لأهلي خادم، فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم، فقال: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يجيب أحدًا بليل، قال: ما تقول؟ قال: إن كنت لأكره ذكره، إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله -عز وجل- قال: وما تشكون منه؟ قالوا: إن له يومًا في الشهر لا يخرج إلينا فيه، قال: ما تقول؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجفّ ثم أدلكها ثم أخرج إليهم آخر النهار، قال: ما تشكون منه، قالوا: يَغْنط الغنطة بين الأيام قال: ما تقول؟ قال: شهدت مصرع خُبيب الأنصاري بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذعة فقالوا: أتحب أن محمدًا مكانك؟ فقال، والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمدًا ﷺ يشتاكُ شوكة ثم نادى يا محمد فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله -عز وجل- لا يغفر لي بذلك الذنب أبدًا فتصيبني تلك الغنطة؛ فقال عمر: الحمد لله الذي لم يفيّل فراستي، فبعث إليه بألف دينار وقال: استعن بها على أمرك، ففرّقها[1].

### ٥- عزل من استهزأ بأحد أفراد الرعية:

قال قيس بن أبي حازم رحمه الله: استعمل عمر رضي الله عنه رجلاً من الأنصار فنزل بعظيم أهل الحيرة عمرو بن حيان بن بقيلة، فأمال عليه بالطعام والشراب ما دعا به،

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٢٤٥)، أخبار عمر ص١٥٢.

فاحتبس الهزل[1]، فدعا الرجل فمسح بلحيته، فركب إلى عمر ﷺ فقال يا أمير المؤمنين، قد خدمت كسرى وقيصر فما أُتي إليّ ما أتي في ملكك، قال: وما ذاك؟ قال: نزل بي عاملك فلان فأمَلْنا عليه بالطعام والشراب، ما دعا به فاحتبس الهزل فدعاني فمسح بلحيتي، فأرسل إليه عمر ﷺ فقال: هيه؟! أمال عليك بالطعام والشراب ما دعوت به، ثم مسحت بلحيته؟ والله لولا أن تكون سنة ما تركت في لحيتك طاقة إلا نتفتها، ولكن اذهب فوالله لا تلي لي عملاً أبداً[2].

### ثالثاً: العقوبات التي نزلت بالولاة في عهد عمر ﷺ:

نتيجة لمراقبة الفاروق لولاته لاحظ وجود بعض الأخطاء التي وقع فيها الولاة، فقام بتأديبهم ومعاقبتهم على هذه الأخطاء التي وقعوا فيها وقد اختلفت طرق تأديب الولاة حسب اختلاف الأحداث وحسب ما يراه الخليفة ومن أهم أساليب تأديب الولاة:

#### ١- القود من الأمراء والاقتصاص منهم لو أخطأوا:

وقد كان عمر يقول: ألا وإني لم أرسل عمالي ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلي فوالذي نفسي بيده إذن لأقصنه[3]، ولم يكتف عمر بالبيانات الرسمية التي تهدد الولاة وتمنعهم من الاعتداء على الناس بل إنه طبق ذلك عمليًا، كما مر معنا فيمن اشتكى أبا موسى الأشعري، واشتكى عمرَو بن العاص ﷺ[4].

#### ٢- عزل الوالي نتيجة وقوعه في الخطأ:

وقد قام الفاروق ﷺ بعزل الولاة نتيجة وقوعهم في أخطاء لا يرتضيها، فقد عزل ﷺ أحد الأمراء نتيجة تدخله فيما لا يعنيه في شئون أجناده حيث بعثه على جيش، فلما نزل بهم قال: عزمت عليكم لما أخبرتموني بكل ذنب أذنبتموه فجعلوا

(١) أي أكثر من الهزل.

(٢) تاريخ المدينة (٣/٨١٣) خبر صحيح، الفاروق الحاكم العادل ص١١.

(٣) الولاية على البلدان (٢/١٢٧)، الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص٦٣، ٦٤.

(٤) الولاية على البلدان (٢/١٢٦، ١٢٧).

يعترفون بذنوبهم فبلغ ذلك عمر فقال: ما له لا أم له، يعمد إلى ستر ستره الله فيهتكه؟ والله لا يعمل لي أبدًا[1]، كما غضب عمر من أحد الولاة حينما بلغه بعض شعره وهو يتمثل فيها بالخمر فعزله[2].

### ٣- إتلاف شيء من مساكن الولاة:

وهو ما يقع فيه المخالفة، فقد كان عمر رضي الله عنه يحرص على أن تكون بيوت الولاة بدون أبواب، وبدون حجاب، فلما بلغه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قد وضع بابا لداره بعث إليه محمد بن مسلمة وأمره بإحراق ذلك الباب[3]، وكان سبب ذلك الباب قرب الأسواق من داره، وكانت الأصوات مرتفعة بالسوق تؤذي سعدًا، فوضع بابا يحجز عنه أصوات الناس بالسوق، وبلغ ذلك أسماع عمر عن دار سعد وبابه، وأن الناس يسمّونه قصر سعد، فدعا محمد بن مسلمة وأرسله إلى الكوفة، وقال: اعمد إلى القصر حتى تحرق بابه، ثم ارجع عودك على بدئك، فخرج حتى قدم الكوفة، فاشترى حطبًا ثم أتى به القصر، فأحرق الباب[4]، وروى ابن شبة: أن عمر استعمل مجاشع بن مسعود على عمل فبلغه أن امرأته تجدد بيوتها فكتب إليه عمر: من عبد الله أمير المؤمنين إلى مجاشع بن مسعود سلام عليك أما بعد فقد بلغني أن الخضيراء تحدث بيوتها، فإذا أتاك كتابي هذا فعزمت عليك ألا تضعه من يدك حتى تهتك ستورها، قال: فأتاه الكتاب والقوم عنده جلوس فنظر في الكتاب، فعرف القوم أنه قد أتاه بشيء يكرهه، فأمسك الكتاب بيده ثم قال للقوم: انهضوا، فنهضوا والله ما يدرون إلى ما ينهضهم، فانطلق بهم حتى أتى باب داره فدخل فلقيته امرأته فعرفت الشر في وجهه فقالت له: مالك؟ فقال إليك عني قد أرمقتني[5]، فذهبت المرأة، وقال للقوم: ادخلوا، فدخل القوم، فقال: فليأخذ كل رجل منكم ما يليه من هذا النحو واهتكوا، قال فهتكوا جميعًا حتى ألقوها إلى الأرض والكتاب في يده لم

---

(١) تاريخ المدينة (٣/ ٨١٨).
(٢) السياسة الشرعية لابن تيمية ص١٠٥.
(٣) فتوح البلدان ص٧٧، نهاية الأرب (١٩/ ٨).
(٤) الإدارة الإسلامية مجدلاوي ص٢١٦.
(٥) أرمقتني: أوجعتني وأغضبتني. لسان العرب (٧/ ١٦١).

بضعه بعد. وفي أثناء زيارة عمر إلى الشام دعـاه يزيد بن أبي سفيان إلى الطعام فلما دخل عمر البيت وجد فيه بعض الستـائر، فأخذ عمر يقطعها ويقول: ويحك أتلبس الحيطان ما لو ألبسته قومًا من الناس لسترهم من الحر والبرد[١].

### ٣- التأديب بالضرب:

فقد استـعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث اشتهـر عنه حمل الدرة، وضربه بها وقد ضرب بعض الولاة، بسـبب حوادث اقترفوها، ففي أثناء زيارة عـمر إلى الشام دخل على بعض ولاته فوجد عندهم بعض المتاع الزائد، فغضب عمر وأخذ يضربهم بالدرة[٢]، وفي أثناء زيارة عمـر إلى الشام لقيه الأمراء، فكان أول من لـقيه يزيد بن أبي سـفيـان، وأبا عبـيدة، ثـم خالد على الخـيول، عليـهم ثيـاب فاخـرة لا تليق بالمجاهدين فنزل وأخذ الحـجارة ورماهم بها وقال: ما أسرع مـا رجعتم عن رأيكم، إياي تستقبلون في هذا الزي، وإنما شبعتم مذ سنتين وبالله ولو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بـكم غيركم؛ فقالوا يا أمير المؤمنين إنهـا يلاقة وإن علينا السلاح، قال فنعم إذن[٣].

### ٤- خفض الرتبة من وال إلى راعي غنم:

وقد استـعملها عمـر بن الخطاب رضي الله عنه مع أحد ولاته، روى ابن شبـة: أن عمر رضي الله عنه استـعمل عيـاض بن غنم على الشام فـبلغه أنه اتخـذ حمامًـا واتخذ نوّابًا[٤]، فكتب إليه أن يقدم عليه، فقدم، فحجبـه ثلاثًا، ثم أذن له ودعا بجبة صوف، فقال البس هذه، وأعطاه كنف الراعي وثلاثمائة شاة وقال انعق بهـا، فنعق بها فلما جازه هنيهة، قال: أقبل، فأقبل يسعى حتى أتاه، فقال: اصنع بكذا وكذا، اذهب فذهب، حتى إذا تباعد ناداه: يا عياض أقبل فلم يزل يردده حتى عرّقه في جبينه، قال أوردها علي يوم كذا وكـذا، فأوردها لذلك اليـوم، فخـرج عمر رضي الله عنه فـقال انزع عليـها،

---

(١) تاريخ المدينة (٣/ ٨٣٢)، الولاية على البلدان (٢/ ١٢٨).

(٢) تاريخ المدينة (٣/ ٨٣٤). (٣) الولاية على البلدان (٢/ ١٢٩).

(٤) نوابًا: أي جماعة من الناس يختصون بالزيارة والمسامرة دون غيرهم.

فاستقى حتى ملأ الحوض فسقاها ثم قال: انعق بها، فإذا كان يوم كذا فأوردها فلم يزل يعمل به حتى مضى شهران أو ثلاثة، ثم دعاه فقال: هيه اتخذت نوابًا واتخذت حمامًا أتعود قال: لا قال: ارجع إلى عملك[١]، وقد كانت نتيجة هذه العقوبة التأديبية أن أصبح عياض بعد ذلك من أفضل عمّال عمر ﷺ[٢].

### ٥- مقاسمة الولاة أموالهم:

وكان تطبيق هذا النظام أمرًا احتياطيًّا في زمن عمر بن الخطاب ﷺ، حيث شعر عمر بنمو الأموال لدى بعض الولاة فخشي أن يكون الولاة قد اكتسبوا شيئًا من هذه الأموال بسبب ولايتهم[٣] وقد علق ابن تيمية على فعل عمر هذا فقال: وكذلك محاباة الولاة في المعاملة من المبايعة، والمؤاجرة والمضاربة، والمساقاة والمزارعة، ونحو ذلك هو من نوع الهدية، ولهذا شاطر عمر بن الخطاب ﷺ من عماله من كان له فضل ودين، لا يتهم بخيانة وإنما شاطرهم لما كانوا خصوا به لأجل الولاية من محاباة وغيرها، وكان الأمر يقتضي ذلك؛ لأنه كان إمام عدل، يقسم بالسوية [٤] وقد قام عمر ﷺ بمشاطرة أموال عماله منهم: سعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة وعمرو بن العاص ﷺ، وكان ﷺ يكتب أموال عماله إذا ولاهم، ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك، وربما أخذه منهم[٥] وقد قام أيضا بمشاطرة بعض أقارب الولاة لأموالهم، إذا ما رأى مبررًا لذلك، فقد أخذ من أبي بكرة نصف ماله، فاعترض أبو بكرة قائلاً: إني لم أل لك عملاً؟ فقال عمر: ولكن أخاك على بيت المال وعشور الأبلة، فهو يقرضك المال تتجر به[٦].

### ٦- التوبيخ الشفوي والكتابي:

وقد قام عمر بن الخطاب ﷺ على معاتبة الأمراء على تصرفاتهم أثناء اجتماعهم به، حيث إنه عاتب عمرو بن العاص مرات، كما عاتب عياض بن غنم،

---

(١) تاريخ المدينة (٣/ ٨١٧، ٨١٨) الولاية على البلدان (٢/ ١٣٠).

(٢، ٣) الولاية على البلدان (٢/ ١٣٠).

(٤) الفتاوى (٢٨ / ١٥٧).

(٥) فتوح البلدان ص٢٢٠، ٢٢١ ، الولاية على البلدان (٢/ ١٣١).

(٦) شهيد المحراب ص٢٥٠ .

وخالد بن الوليد وأبا موسى الأشعري وغيرهم من الأمراء[١] وأما المعاتبة الكتابية في خلافة عمر فهي كثيرة، منها: أنه كتب إلى أحد الولاة- وكان قدم عليه قوم فأعطى العرب وترك الموالي: أما بعد فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم والسلام[٢].

ومن هذا كله نجد أن الولاة لم يكونوا بمنأى عن المحاسبة والتأديب بصور مختلفة، ولم تشهد البشرية مثيلاً لها في عدلها وجرأتها، مما جعل هذا العصر الراشدي بحق نموذجًا رفيعًا للحضارة الإسلامية بعد عصر الرسالة- على صاحبها أفضل الصلاة والسلام[٣]. هذا وقد كانت حرية النقاش وبحث المشاكل بين الخليفة وولاته مكفولة إلى أقصى ما يمكن تصوره من حرية النقاش، لا يرهب الوالي سلطان الخليفة وهذا مثال على ذلك: عندما قدم عمر الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم فلما رأى معاوية عمر نزل من على صهوة جواده، ومشى إليه، وقال: السلام على أمير المؤمنين، فمضى عمر، ولم يرد عليه سلامه، ومعاوية يسرع خلف جمل عمر وكان معاوية سمينًا، فلهث. فقال عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين، أتعبت الرجل، فلو كلمته: فالتفت إليه عمر وقال يا معاوية، أأنت صاحب الموكب الذي أرى؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال عمر: مع شدة احتجابك ووقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال معاوية: نعم يا أمير المؤمنين. قال: لم ويحك؟ قال معاوية: لأننا ببلاد كثر بها جواسيس العدو، فإن لم نتخذ العُدة والعدد، استخف بنا، وهجم علينا! وأما الحجاب، فإننا نخاف من الابتذال وجرأة الرعية. وأنا بعد عاملك، إن استوقفتني وقفت، وإن نهيتني انتهيت يا أمير المؤمنين. قال عمر: ما سألتك عن شيء إلا خرجت منه، إن كنت صادقًا فإنه رأى لبيب، وإن كنت كاذبًا فإنها خدعة أريب، لا آمرك ولا أنهاك، وانصرف عنه[٤].

ورغم شدة عمر على ولاته ودقته في محاسبتهم وإقدامه على عزل من تحوم حوله شبهة أو تثور في حقه شكاية ذات أثر، فإن رابطة قوية من الحب والولاء كانت

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ١٣١).
(٢) فتوح البلدان ص٤٤٣ .
(٣) الولاية على البلدان (٢/ ١٣٣).
(٤) الفاروق عمر بن الخطاب للشرقاوي ص٢٨٧ .

تربطه بولاته الذين كانوا يثقون ثقة مطلقة في إخلاص خليفتهم وسلامة مقاصده وسياسته وتجرده وعدله، لقد كان عمر إذا غابت عنه أخبار بعض قادته في ساحات الجهاد يكاد يقتله القلق ويستبد به الخوف والشفقة عليهم، وكان في بعض الحروب الكبرى يخرج بنفسه يتنطس الأخبار، ويتحسس الأنباء علّه يطمئن عليهم، وفي حالات أخرى كان يلتقي بهم فنجد أمارات الحب العميق بينهم، فلما سار عمر لفتح بيت المقدس وانتهى إلى الجابية لقيه قائداه عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة فوافقا عمر راكبًا، فقبّلا ركبتيه، وضم عمر كل واحد منهما محتضنهما[١].

## رابعًا- قصة عزل خالد بن الوليد ﷺ:

وجد أعداء الإسلام في سعة خيالهم وشدة حقدهم مجالاً واسعًا لتصيد الروايات التي تظهر صحابة رسول الله في مظهر مشين، فإذا لم يجدوا شفاء نفوسهم، اختلقوا ما ظنوه يجوز على عقول القارئين، لكي يصبح أساسًا ثابتًا لما يتناقله الرواة وتسطره كتب المؤلفين وقد تعرّض كل من عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد ﷺ لمفتريات أعداء الإسلام الذين حاولوا تشويه صفحات تاريخهما المجيد ووقفوا كثيراً عند أسباب عزل عمر لخالد بن الوليد ﷺ وألصقوا التهم الباطلة بالرجلين العظيمين وأتوا بروايات لا تقوم على أساس عند المناقشة، ولا تقوم على البرهان أمام التحقيق العلمي النزيه[٢] وإليك قصة عزل خالد بن الوليد على حقيقتها بدون لف أو تزوير للحقائق، فقد مرّ عزل خالد بن الوليد بمرحلتين، وكان لهذا العزل أسباب موضوعية.

### ١- العزل الأول:

عزل عمر بن الخطاب ﷺ خالد بن الوليد في المرة الأولى عن القيادة العامة وإمارة الأمراء بالشام، وكانت هذه المرة في السنة الثالثة عشرة من الهجرة غداة تولي عمر الخلافة بعد وفاة أبي بكر الصديق وسبب هذا العزل اختلاف منهج الصديق عن

(١) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص١٥١ .

(٢) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، إبراهيم شعوط ص١٢٣ .

الفاروق في التعامل مع الأمراء والولاة، فالصديق كان من سنته مع عماله وأمراء عمله أن يترك لهم حرية التصرف كاملة في حدود النظام العام للدولة مشروطًا ذلك بتحقيق العدل كاملاً بين الأفراد والجماعات، ثم لا يبالي أن يكون لواء العدل منشورًا بيده أو بيد عماله وولاته، فللوالي حق يستمده من سلطان الخلافة في تدبير أمر ولايته دون رجوع في الجزئيات إلى أمر الخليفة، وكان أبو بكر لا يرى أن يكسر على الولاة سلطانهم في مال أو غيره ما دام العدل قائمًا في رعيتهم[١]، وكان الفاروق قد أشار على الصديق بأن يكتب لخالد ﷺ جميعًا: ألا يعطي شاة ولا بعيرًا إلا بأمره، فكتب أبو بكر إلى خالد بذلك، فكتب إليه خالد: إما أن تدعني وعملي وإلا فشأنك وعملك، فأشار عليه بعزله[٢]، ولكنّ الصديق أقرّ خالدًا على عمله[٣]، ولما تولى الفاروق الخلافة، كان يرى أنه يجب على الخليفة أن يحدد لأمرائه وولاته طريقة سيرهم في حكم ولاياتهم ويحتم عليهم أن يردوا إليه ما يحدث حتى يكون هو الذي ينظر فيه ثم يأمرهم بأمره، وعليهم التنفيذ، لأنه يرى أن الخليفة مسئول عن عمله وعن عمل ولاته في الرعية مسئولية لا يرفعها عنه أنه اجتهد في اختيار الوالي. فلما تولى الخلافة خطب الناس، فقال: إن الله ابتلاكم بي، وابتلاني بكم، وأبقاني بعد صاحبي فوالله لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني، ولا يتغيب عني فآلو فيه عن الجزء والأمانة، ولئن أحسن الولاة لأحسنن إليهم، ولئن أساؤوا لأنكلن بهم[٤]، وكان يقول: أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم، ثم أمرته بالعدل، أكنت قضيت ما علي؟ قالوا: نعم. قال: لا، حتى أنظر في عمله، أعمل بما أمرته أم لا؟[٥]، فعندما تولى الفاروق الخلافة أراد أن يعدل بولاة أبي بكر ﷺ إلى منهجه وسيرته، فرضي بعضهم وأبى آخرون وكان ممن أبى عليه ذلك خالد بن الوليد[٦]، فعن مالك بن أنس، أن عمر لما ولي الخلافة كتب إلى خالد ألا تعطي شاة ولا بعيرًا إلا بأمري، فكتب إليه خالد إما أن تدعني وعملي، وإلا فشأنك بعملك. فقال

---

(١) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٢١-٣٣١ .

(٢) البداية والنهاية (٧/ ١١٥).

(٣) التاريخ الإسلامي (١١/ ١٤٦).

(٤) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٣١ .

(٥،٦) المصدر نفسه ص٣٣٢ .

عمر: ما صدقت الله إن كنت أشرت على أبي بكر بأمر فلم أنفذه، فعزله[١]، ثم كان يدعوه إلى العمل فيأبى إلا أن يخليه يفعل ما شاء فيأبى عليه[٢].

فعزل عمر خالدًا من وجهة سياسة الحكم وحق الحاكم في تصريف شئون الدولة ومسئوليته عنها، وطبيعي أن يقع كل يوم مثله في الحياة، ولا يبدو فيه شيء غريب يحتاج إلى بيان أسباب تتجاذبها روايات وآراء، وميول وأهواء ونزعات، فعمر بن الخطاب خليفة المسلمين في عصر كان الناس فيه ناسًا لا يزالون يستروحون روح النبوة له من الحقوق الأولية أن يختار من الولاة والقادة من ينسجم معه في سياسته ومذهبه في الحكم ليعمل في سلطانه ما دامت الأمة غنية بالكفايات الراجحة، فليس لعامل ولا قائد أن يتأبد في منصبه، ولا سيما إذا اختلفت مناهج السياسة بين الحاكم والولاة ما كان هناك من يغني غناءه ويجزي عنه، وقد أثبت الواقع التاريخي أن عمر رضي الله عنه كان موفقًا أتم التوفيق وقد نجح في سياسته هذه نجاحًا منقطع النظير، فعزل وولى، فلم يكن من ولاه أقل كفاية ممن عزله، ومرد ذلك لروح التربية الإسلامية التي قامت على أن تضمن دائمًا للأمة رصيدًا مذخورًا من البطولة والكفاية السياسية الفاضلة[٣] وقد استقبل خالد هذا العزل بدون اعتراض وظل رضي الله عنه تحت قيادة أبي عبيدة رضي الله عنه حتى فتح الله عليه قنسرين فولاه أبو عبيدة عليها، وكتب إلى أمير المؤمنين يصف له الفتح وبلاء خالد فيه فقال عمر قولته المشهورة: أمّر خالد نفسه، رحم الله أبا بكر، هو كان أعلم بالرجال مني[٤]، ويعني عمر بمقولته هذه أن خالدًا فيما أتى به من أفانين الشجاعة وضروب البطولة قد وضع نفسه في موضعها الذي ألفته في المواقع الخطيرة من الإقدام والمخاطرة، وكأنما يعني عمر بذلك أن استمساك أبي بكر بخالد وعدم موافقته على عزله برغم الإلحاح عليه إنما كان عن يقين في مقدرة خالد وعبقريته العسكرية التي لا يغني غناءه فيها إلا آحاد الأفذاذ من أبطال الأمم[٥].

هذا وقد عمل خالد تحت إمرة أبي عبيدة نحوًا من أربع سنوات فلم يعرف عنه

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١١٥).
(٢) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٣٢ .
(٣) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٣٢، ٣٣٣ .
(٤،٥) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٢١ .

أنه اختلف عليه مرة واحدة، ولا ينكر فضل أبي عبيدة وسمو أخلاقه في تحقيق وقع الحادث على خالد فقد كان لحفاوته به وعرفانه لقدره، وملازمته صحبته والأخذ بمشورته وإعظامه لآرائه وتقديمه في الوقائع التي حدثت بعد إمارته الجديدة، أحسن الأثر في صفاء قلبه صفاء جعله يصنع البطولات العسكرية النادرة وعمله في فتح دمشق وقنسرين وفحل شاهد صدق على روحه السامية التي قابل بها حادث العزل، وكان في حاليه سيف الله خالد بن الوليد[١]، ويحفظ لنا التاريخ ما قاله أبو عبيدة في مواساة خالد عند عزله: . . وما سلطان الدنيا أريد، وما للدنيا أعمل، وإن ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن أخوان وقوّام بأمر الله -عز وجل-، وما يضير الرجل أن يلي عليه أخوه في دينه ودنياه، بل يعلم الوالي أنه يكاد يكون أدناهما إلى الفتنة وأوقعهما في الخطيئة لما تعرض من الهلكة إلا من عصم الله -عز وجل-، وقليل ما هم[٢] وعندما طلب أبو عبيدة من خالد أن ينفذ مهمة قتالية تحت إمرته، أجابه خالد قائلاً: أنا لها إن شاء الله تعالى وما كنت أنتظر إلا أن تأمرني، فقال أبو عبيدة: استحييت منك يا أبا سليمان. فقال خالد: والله لو أمر علي طفل صغير لأطيعن له، فكيف أخالفك وأنت أقدم مني إيمانًا وأسبق إسلامًا، سبقت بإسلامك مع السابقين وأسرعت بإيمانك مع المسارعين، وسماك رسول الله بالأمين فكيف ألحقك وأنال درجتك والآن أشهدك أني قد جعلت نفسي حبسًا في سبيل الله تعالى ولا أخالفك أبدًا، ولا وليت إمارة بعدها أبدًا ولم يكتف خالد بذلك فحسب بل اتبع قوله بالفعل وقام على الفور بتنفيذ المهمة المطلوبة منه[٣]، ويظهر بوضوح من قول خالد وتصرفه هذا، أن الوازع الديني والأخلاقي كان مهيمنًا على تصرفات خالد وأبي عبيدة ﵄ وقد بقي خالد محافظًا على مبدأ طاعة الخليفة والوالي بالرغم من أن حالته الشخصية قد تغيرت من حاكم إلى محكوم بسبب عزله عن قيادة الجيوش[٤].

إن عزل خالد في هذه المرة (الأولى)، لم يكن عن شك من الخليفة ولا عن

(١) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٤٦ .
(٢) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٢٣ .
(٣) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ٨٤ .
(٤) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص٨٤ .

ضغائن جاهلية، ولا عن اتهامه بانتهاك حرمات الشريعة ولا عن طعن في تقوى وعدل خالد، ولكن كان هناك منهجان لرجلين عظيمين، وشخصيتين قويتين كان يرى كل منهما ضرورة تطبيق منهجه، فإذ كان لابد لأحدهما أن يتنحى فلابد أن يتنحى أمير الجيوش لأمير المؤمنين؛ من غير عناد ولا حقد وضغينة[1].

إن من توفيق الله تعالى للفاروق تولية أبي عبيدة رضي الله عنه على جيوش الشام، فذلك الميدان بعد معركة اليرموك كان يحتاج إلى المسالمة واستلال الأحقاد، وتضميد الجراح وتقريب القلوب فأبو عبيدة رضي الله عنه يسرع إلى المسالمة إذا فتحت أبوابها ولا يبطئ عن الحرب إذا وجبت عليه أسبابها، فإن كانت بالمسالمة جدوى فذاك وإلا فالاستعداد للقتال على أهبته، وقد كان أبناء الأمصار الشامية يتسامعون بحلم أبي عبيدة فيقبلون على التسليم إليه ويؤثرون خطابهم له على غيره، فولاية أبي عبيدة سنة عمرية وكانت ولايته للشام في تلك المرحلة أصلح الولايات لها[2].

**٢- العزل الثاني:**

وفي (قنسرين) جاء العزل الثاني لخالد، وذلك في السنة السابعة عشرة[3]، فقد بلغ أمير المؤمنين أن خالداً وعياض بن غنم أدربا في بلاد الروم وتوغلا في دروبهما ورجعا بغنائم عظيمة، وأن رجالاً من أهل الآفاق قصدوا خالداً لمعروفه، منهم الأشعث بن قيس الكندي فأجازه خالد بعشرة آلاف، وكان عمر لا يخفى عليه شيء في عمله[4]، فكتب عمر إلى قائده العام أبي عبيدة يأمره بالتحقيق مع خالد في مصدر المال الذي أجاز منه الأشعث تلك الإجازة الغامرة، وعزله عن العمل في الجيش إطلاقًا واستقدمه المدينة، وتمّ استجواب خالد. وقد تم استجواب خالد بحضور أبي عبيدة وترك بريد الخلافة يتولى التحقيق وترك إلى مولى أبي بكر يقوم بالتنفيذ، وانتهى الأمر ببراءة خالد أن يكون مدّ يده إلى غنائم المسلمين فأجاز منها بعشرة آلاف[5] ولما علم خالد بعزله ودّع أهل الشام، فكان أقصى ما سمحت به

---

(١) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص١٣٢ .

(٢) عبقرية خالد للعقاد ص١٥٤، ١٥٥، ١٥٦ .

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤١).

(٤) المصدر نفسه (٥/ ٤٢).

(٥) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٢٤ .

نفسه من إظهار أسفه على هذا العزل الذي فرق بين القائد وجنوده أن قال للناس: إن أمير المؤمنين استعملني على الشام حتى إذا كانت بثنية[١]، وعسلاً عزلني فقام إليه رجل فقال: اصبر أيها الأمير، فإنها الفتنة؛ فقال: خالد: أما وابن الخطاب حي فلا[٢]، وهذا لون من الإيمان القاهر الغلاب، لم يرزقه إلا المصطفون من أخصاء أصحاب محمد ﷺ: فأية قوة روحية سيطرت على أعصاب خالد في الموقف الخطير؟ وأي إلهام ألقي على لسان خالد ذلك الرد الهادئ الحكيم[٣].

سكن الناس وهدأت نفوسهم بعد أن سمعوا كلمة خالد في توطيد قواعد الخلافة العمرية، وعرفوا أن قائدهم المعزول ليس من طراز الرجال الذين يبنون عروش عظمتهم على أشلاء الفتن والثورات الهدّامة وإنما هو من أولئك الرجال الذين خلقوا للبناء والتشييد، فإن أرادتهم الحياة على هدم ما بنوا تساموا بأنفسهم أن يذلها الغرور المفتون[٤].

ورحل خالد إلى المدينة فقدمها حتى لقي أمير المؤمنين، فقال عمر متمثلاً:

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع ... وما يصنع الأقوام فالله يَصنعُ[٥]

وقال خالد لعمر رضي الله عنه: لقد شكوتك إلى المسلمين، وبالله إنك في أمري غير مُجمل يا عمر، فقال عمر: من أين هذا الثراء؟ قال: من الأنفال والسُّهمان، ما زاد على الستين ألفًا فلك، فقوم عمر عروضه فخرجت إليه عشرون ألفًا، فأدخلها بيت المال. ثم قال: يا خالد، والله إنك علي لكريم، وإنك إلي لحبيب، ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء[٦]، وكتب عمر رضي الله عنه إلى الأمصار: إني لم أعزل خالدًا عن سُخطة ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وألا يكونوا بعرض فتنة[٧].

---

(١) البثنية قيل المراد: حنطة منسوبة إلى بلد بالشام وقيل: الناعمة من الرملة اللينة.
(٢) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٤٧، الكامل في التاريخ (٢/ ١٥٦).
(٣،٤) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٤٧.
(٥،٧) تاريخ الطبري (٥/ ٤٣).

### ٣- مجمل أسباب العزل وبعض الفوائد:

ومن خلال سيرة الفاروق يمكننا أن نجمل أسباب عزل خالد رضي الله عنه في الأمور التالية:

- **حماية التوحيد:** ففي قول عمر رضي الله عنه: ولكن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به، يظهر خشية عمر من فتنة الناس بخالد وظنهم أن النصر يسير في ركاب خالد؛ فيضعف اليقين بأن النصر من عند الله سواء أكان خالد على رأس الجيوش أم لا، وهذا الوازع يتفق مع حرص عمر على صبغ إدارته للدولة العقائدية الخالصة وبخاصة وهي تحارب أعداءها حربًا ضروسًا متطاولة باسم العقيدة وقوتها، وقد يقود الافتتان بقائد كبير مثل خالد خالدًا نفسه إلى الافتتان بالرعية وأن يرى نفسه يومًا في مركز قوة لا يرتقي إليها أحد، وبخاصة أنه عبقري حرب ومنفق أموال، فيجر ذلك عليه وعلى الدولة أمر خُسْر، وهو إن كان احتمالا بعيدًا في ظل ارتباط الناس بخليفتهم عمر وإعجابهم به، وفي ظل انضباط خالد العسكري وتقواه، فقد يحدث يومًا ما بعد عمر، ومع قائد كخالد، مما يستدعي التأصيل لها في ذلك العصر ومع أمثال هؤلاء الرجال[1]، والخوف في هذا الأمر من القائد الكفء أعظم من الخوف من قائد صغير لم يُبْلِ أحسن البلاء ولم تتساير بذكره الأنباء[2].

وقد أشار شاعر النيل حافظ إبراهيم -رحمه الله- إلى تخوف عمر فقال في عمريته في الديوان:

وقيل خالفت يا فاروق صاحبنا ... فيه وقد كان أعطى القوس باريها

فقال خفت افتتان المسلمين به ... وفتنة النفس أعيت من يداويها[3]

- **اختلاف النظر في صرف المال:**

كان عمر يرى أن فترة تأليف القلوب، وإغراء ضعفاء العقيدة بالمال والعطاء، قد

---

(١) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، حمدي شاهين ص١٤٩ .

(٢) عبقرية عمر ص١٥٨ .

(٣) حروب الإسلام في الشام، باشميل ص٥٦٦ .

انتهت، وصار الإسلام في غير حاجة إلى هؤلاء، وأنه يجب أن يوكل الناس إلى إيمانهم وضمائرهم، حتى تؤدي التربية الإسلامية رسالتها في تخريج نماذج كاملة، لمدى تغلغل الإيمان في القلوب، بينما يرى خالد أن ممن معه من ذوي البأس والمجاهدين في ميدانه ما لم تخلص نيتهم لمحض ثواب الله، وأن أمثال هؤلاء في حاجة إلى ما يقوي عزيمتهم، ويثير حماستهم من هذا المال[1]، كما أن عمر رضي الله عنه كان يرى أن ضعفة المهاجرين أحق بالمال من غيرهم، فعندما اعتذر إلى الناس بالجابية من عزل خالد قال: أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطاه ذا البأس[2]، ولا شك أن عمر وخالدًا مجتهدان فيما ذهبا إليه ولكن عمر أدرك أمورًا لم يدركها خالد رضي الله عنهما[3].

- اختلاف منهج عمر عن منهج خالد في السياسة العامة:

فقد كان عمر يصر على أن يستأذن الولاة منه في كل صغيرة وكبيرة، بينما يرى خالد أن من حقه أن يُعطى الحرية كاملة من غير الرجوع لأحد في الميدان الجهادي وتطلق يده في كل التصرفات إيمانًا منه بأن الشاهد يرى ما لا يراه الغائب[4].

ولعل من الأسباب أيضًا، إفساح المجال لطلائع جديدة من القيادات حتى تتوفر في المسلمين نماذج كثيرة من أمثال خالد والمثنى وعمرو بن العاص، ثم ليدرك الناس أن النصر ليس رهنًا برجل واحد[5]، مهما كان هذا الرجل.

- موقف المجتمع الإسلامي من قرار العزل:

تلقى المجتمع الإسلامي قرار العزل بالتسليم لحق الخليفة في التولية والعزل، فلم يخرج أحد عن مقتضى النظام والطاعة والإقرار للخلافة بحقها في التولية والعزل وقد روي أن عمر خرج في جوف الليل فلقي عَلْقَمة بن عُلاثة الكلابي، وكان عمر يشبه خالدًا إلى حد عجيب، فحسبه علقمة خالدًا، فقال: يا خالد عزلك هذا

---

(١) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص١٣٤.
(٢) البداية والنهاية (٧/ ١١٥).
(٣) التاريخ الإسلامي (١١/ ١٤٧).
(٤) الخلافة والخلفاء الراشدون، سالم البهنساوي ص١٩٦.
(٥) أخطاء يجب أن تمحى من التاريخ ص١٣٤.

الرجل، لقد أبى إلا شحًا حتى لقد جئت إليه وابن عم لي نسأله شيئًا، فأما إذ فعل فلن أسأله شيئًا، فقال له عمر يستدرجه ليعلم ما يخفيه: هيه! فما عندك؟ قال: هم قوم لهم علينا حق فنؤدي لهم حقهم، وأجرنا على الله، فلما أصبحوا قال عمر لخالد وعلقمة مشاهد لهما: ماذا قال لك علقمة منذ الليلة؟ قال خالد: والله ما قال شيئًا، قال عمر: وتحلف أيضًا؟ فاستثار ذلك علقمة وهو يظن أنه ما كلم البارحة إلا خالدًا، فظل يقول: مَهْ يا خالد؛ فأجاز عمر علقمة وقضى حاجته، وقال لأن يكون من ورائي على مثل رأيك -يعني حرصه على الطاعة لولي الأمر وإن خالفه- أحب إليّ من كذا وكذا[1] وهذا، وقد جاء اعتراض من أبي عمرو بن حفص بن المغيرة بن عم خالد بن الوليد بالجابية، فعندما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس وإني أعتذر إليكم من خالد بن الوليد، إني أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين، فأعطاه ذا البأس، وذا الشرف، وذا اللسان، فنزعته وأمّرت أبا عبيدة بن الجراح. فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة: والله ما أعذرت يا عمر بن الخطاب، لقد نزعت عاملاً استعمله رسول الله ﷺ، وغمدت سيفًا سله رسول الله ﷺ، ووضعت لواء نصبه رسول الله ﷺ، ولقد قطعت الرحم وحسدت ابن العم. فقال عمر بن الخطاب: إنك قريب القرابة، حديث السن، مغضب في ابن عمك[2]، وهكذا اتسع صدر الفاروق لابن عم خالد بن الوليد، وهو يذب عن خالد حتى وصل دفاعه إلى دعوى اتهامه للفاروق بالحسد، ومع ذلك ظل الفاروق حليمًا[3].

### ٤- وفاة خالد بن الوليد وماذا قال عن الفاروق وهو على فراش الموت:

دخل أبو الدرداء على خالد في مرض موته، فقال له خالد: يا أبا الدرداء، لئن مات عمر، لترين أمورًا تنكرها. فقال أبو الدرداء: وأنا والله أرى ذلك. فقال خالد: قد وجدت عليه في نفسي في أمور، لما تدبرتها في مرضي هذا وحضرني من الله حاضر عرفت أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل، كنت وجدت عليه في نفسي حين

---

(١) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص١٥١ .

(٢) النسائي (٨٢٨٣) خبر صحيح في سننه الكبرى، محض الصواب (٢/ ٤٩٦) إسناده صحيح.

(٣) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص٢١٩ .

بعث من يقاسمني مالي، حتى أخذ فرد نعل وأخذت فرد نعل، ولكنه فعل ذلك بغيري من أهل السابقة، وممن شهد بدرًا، وكان يغلظ علي، وكانت غلظته على غيري نحوًا من غلظته علي، وكنت أدل عليه بقرابته، فرأيته لا يبالي قريبًا ولا لوم لائم في غير الله، فذلك الذي ذهب عني ما كنت أجد عليه، وكان يكثر علي عنده، وما كان ذلك إلا على النظر: فقد كنت في حرب ومكابدة وكنت شاهدًا وكان غائبًا، فكنت أعطي على ذلك، فخالفه ذلك من أمري[1]، ولما حضرته الوفاة وأدرك ذلك، بكى وقال: ما من عمل أرجى عندي بعد لا إله إلا الله، من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين، بتّها وأنا متترس والسماء تنهل عليَّ، وأنا أنتظر الصبح حتى أغير على الكفار، فعليكم بالجهاد، لقد شهدت كذا وكذا زحفًا، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، وها أنذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء لقد طلبت القتل في مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي[2]، وأوصى خالد أن يقوم عمر على وصيته وقد جاء فيها: وقد جعلت وصيتي وتركتي وإنفاذ عهدي إلى عمر بن الخطاب، فبكى عمر رضي الله عنه فقال له طلحة بن عبيد الله: إنك وإياه كما قال الشاعر:

لا ألفينَّك بعد الموت تندبني    وفي حياتي ما زوّدتني زادي[3]

فقد حزن عليه الفاروق حزنًا شديدًا، وبكته بنات عمه، فقيل لعمر أن ينهاهنَّ، فقال: دعهن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة، على مثل أبي سليمان تبكي البواكي[4].

وقال عنه: قد ثلم في الإسلام ثلمة لا ترتق، وليته بقي ما بقي في الحمى حجر، كان والله سدادًا لنحور العدو، ميمون النقيبة[5]، وعندما دخل على الفاروق هشام بن البختري في ناس من بني مخزوم، وكان هشام شاعرًا، فقال له عمر:

---

(١) خالد بن الوليد، صادق عرجون ٣٤٩ ، الخلافة والخلفاء ص١٩٨ .

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٨٢)، الطريق إلى المدائن ص٣٦٧ .

(٣) الفاروق عمر ص٢٨٧ .    (٤) الطريق إلى المدائن ص٣٦٦ .

(٥) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٤٨ .

أنشدني ما قلت في خالد، فلما أنشده قال له: قصرت في الثناء على أبي سليمان رحمه الله، إن كان ليحب أن يذل الشرك وأهله، وإن كان الشامت به لمتعرضًا لمقت الله ثم تمثل بقول الشاعر:

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى

تهيأ لأخرى مثلها فكأن قدِ

فما عيش من قد عاش بعدي بنافعي

ولا موت من قد مات بعدي بمخلدي

ثم قال: رحم الله أبا سليمان ما عند الله خير له مما كان فيه ولقد مات فقيدًا وعاش حميدًا[1] ولقد رأيت الدهر ليس بقائل[2] . هذا وقد توفي ودفن بحمص ببلاد الشام عام ٢١هـ[3] رحمه الله رحمة واسعة وأعلى ذكره في المصلحين.



(١) تهذيب تاريخ دمشق (٥/ ١١٦).

(٢) ليس بقائل: أي ليس بتارك أحدًا يخلد في هذه الدنيا، فهو من الإقالة في المعنى، صادق عرجون ص٣٤٨ .

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ١٣٠)، القيادة العسكري ص٥٨٩ .

# الفصل الثاني

# علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الخلفاء الراشدين

## المبحث الأول

## علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الصديق

### أولاً: مبايعة علي لأبي بكر بالخلافة، رضي الله عنهما:

وردت أخبار كثيرة في شأن تأخر علي عن مبايعة الصديق، وكذا تأخر الزبير ابن العوام، وجُلّ هذه الأخبار ليست بصحيحة، وقد جاءت روايات صحيحة السند تفيد بأن عليًّا والزبير رضي الله عنهما بايعا الصديق في أول الأمر، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطباء الأنصار. فذكر بيعة السقيفة(١)، ثم قال: ثم انطلقوا فلما قعد أبوبكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير عليًّا، فسأل عنه، فقام أناس من الأنصار، فأتوا به. فقال أبوبكر: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه، أردت أن تشق عصا المسلمين؟، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبايعه، ثم لم ير الزبير بن العوام، فسأل عنه حتى جاؤوا به، فقال: ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين؟، فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه(٢).

ومما يدل على أهمية حديث أبي سعيد الخدري الصحيح أن الإمام مسلم بن الحجاج صاحب «الجامع الصحيح» -الذي هو أصح الكتب الحديثية بعد صحيح البخاري ـ ذهب إلى شيخه الحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة ـ صاحب صحيح ابن خزيمة- فسأله عن هذا الحديث، فكتب له ابن خزيمة الحديث، وقرأه عليه، فقال مسلم لشيخه ابن خزيمة: هذا الحديث يساوي بدنة، فقال ابن خزيمة: هذا الحديث لا يساوي بدنة(٣) فقط، إنه يساوي بدرة مال(٤)، وعلق على هذا الحديث

(١) «مجمع الزوائد» (٥/١٨٣) ورجاله رجال الصحيح، و«البداية والنهاية» (٥/٢٨١)، قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح محفوظ.

(٢) «المستدرك» (٣/٧٦)، و«السنن الكبرى» (٨/١٤٣) بإسنادين صحيحين.

(٣) البدنة: ناقة أو بقرة تنحر بمكة ولعظمها وضخامتها سميت بدنة.

(٤) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف دينار: والمعنى: أنه كنز ثمين.

ابن كثير ـ رحمه الله ـ فقال: هذا إسناد صحيح محفوظ، وفيه فائدة جليلة، وهي مبايعة علي بن أبي طالب ﷺ إما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة، وهذا حق؛ فإن علي بن أبي طالب ﷺ لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه[١].

وفي رواية حبيب بن أبي ثابت، حيث قال: كان علي بن أبي طالب ﷺ في بيته، فأتاه رجل، فقال له: قد جلس أبوبكر للبيعة، فخرج عليّ إلى المسجد في قميص له، ما عليه إزار ولا رداء، وهو متعجِّل، كراهة أن يبطئ عن البيعة، فبايع أبابكر، ثم جلس، وبعث إلى ردائه فجاؤوه به، فلبسه فوق قميصة[٢]. وقد سأل عمرو بن حريث سعيد ابن زيد ﷺ، فقال له: أشهدتَ وفاة رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال له: متى بويع أبوبكر؟ قال سعيد: يوم مات رسول الله ﷺ، كره المسلمون أن يبقوا بعض يوم، وليسوا في جماعة. قال: هل خالف أحد أبابكر؟ قال سعيد: لا، لم يخالف إلا مرتد، أو كاد أن يرتد، وقد أنقذ الله الأنصار، فجمعهم عليه وبايعوه. قال: هل قعد أحد من المهاجرين عن بيعته؟، قال سعيد: لا، لقد تتابع المهاجرون على بيعته[٣].

وكان مما قال علي ﷺ لابن الكواء وقيس بن عباد حينما قدم البصرة وسألاه عن مسيره قال: «لو كان عندي من النبي ﷺ عهد في ذلك ما تركت أخا بني تيم بن مرة، وعمر بن الخطاب يقومان على منبره، ولقاتلتهما ولو لم أجد إلا بردي هذا، ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلاً ولم يمت فجأة، مكث في مرضه أيامًا وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبابكر فيصلي بالناس، وهو يرى مكاني، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر فأبى

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٣٩).

(٢) «الطبري» (٣/ ٢٠٧) والأثر مرسل وفي الإسناد سيف بن عمر متروك، وعبدالعزيز بن سياه صدوق يتشيع «التقريب» (٣٥٧).

(٣) «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٠٧) إسناد الخبر ضعيف، انظر: «خلافة أبي بكر الصديق»، لعبدالعزيز سليمان ص(٦٦).

وغضب وقال: «**أنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر يصل بالناس**» فلما قبض الله نبيه ونظرنا في أمورنا، فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي الله لديننا، وكانت الصلاة أصل الإسلام، وهي أعظم الأمور، وقوام الدين، فبايعنا أبا بكر، وكان لذلك أهلاً، ولم يختلف عليه منا اثنان، ولم يشهد بعضنا على بعض، ولم نقطع منه البراءة، فأديت إلى أبي بكر حقه، وعرفت له طاعته، وغزوت معه في جنوده، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي[1].

وكان مما قال في خطبته على منبر الكوفة في ثنائه على أبي بكر وعمر: فأعطى المسلمون البيعة طائعين، فكان أول من سبق في ذلك من ولد عبدالمطلب أنا[2]، وجاءت روايات أشارت إلى مبايعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما في أول الأمر وإن لم تصرح بذلك، فعن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف أنه قال: أن عبدالرحمن بن عوف كان مع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.. ثم قام أبو بكر رضي الله عنه فخطب الناس، واعتذر إليهم وقال: والله ما كنت حريصًا على الإمارة يومًا ولا ليلة قط، ولا كنت فيها راغبًا، ولا سألتها الله عز وجل في سرٍّ ولا علانية، ولكني أشفقت من الفتنة، ومالي في الإمارة من راحة، ولكن قلدت أمرًا عظيمًا، مالي به من طاقة ولابد إلا بتقوى الله عز وجل، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم. فقبل المهاجرون منه ما قال وما اعتذر به، قال علي رضي الله عنه والزبير: ما غضبنا إلا لأنا قد أُخِّرنا عن المشاورة، وإنَّا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ؛ إنه لصاحب الغار. وثاني اثنين، وإنا لنعلم بشرفه، وكِبَرِه، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي[3]. وعن قيس العبدي قال: شهدت خطبة علي رضي الله عنه يوم البصرة قال: فحمد الله وأثنى عليه، وذكر

---

(١) «تاريخ الإسلام»، و«عهد الخلافة الراشدة» ص(٣٨٩) إسناده ضعيف. و«خلافة أبي بكر الصديق» عبدالعزيز سليمان ص(٦٥).

(٢) «أسد الغابة» (٤/ ١٦٦ ، ٦٧)، و«خلافة أبي بكر» ص(٦٦).

(٢) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٤١) إسناده جيد، و«خلافة أبي بكر» ص(٦٧).

النبي ﷺ وما عالج من الناس، ثم قبضه الله عز وجل إليه، ثم رأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه فبايعوا وعاهدوا وسلموا، وبايعت وعاهدت وسلمت، ورضوا ورضيت، وفعل من الخير وجاهد حتى قبضه الله عز وجل رحمة الله عليه[1].

إن عليًا رضي الله عنه لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع عنه في جماعة من الجماعات، وكان يشاركه في المشورة، وفي تدبير أمور المسلمين، ويرى ابن كثير ومجموعة من أهل العلم أن عليًا جدد بيعته بعد ستة أشهر من البيعة الأولى، أي: بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، وجاءت في هذه البيعة روايات صحيحة[2]. ولكن لما وقعت البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن عليًا لم يبايع قبلها، فنفى ذلك، والمثبت مقدم على النافي[3].

وهناك كتاب اسمه: «الإمام علي، جدل الحقيقة، والمسلمين، الوصية والشورى» لمحمود محمد العلي، زعم صاحبه بأنه يبحث وينشد الحقيقة، ولكن صاحبه لم يتخلص من المنهج الشيعي الرافضي في الطرح ووضع السمّ في العسل، ولذلك وجب التنبيه، وقد تعرض لبيعة علي رضي الله عنه. وزعم بأن أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة قائمة على الوصية.

## ثانيا: علي رضي الله عنه ومساندته لأبي بكر في حروب الرِّدة:

كان علي رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه عيبة[4] نصح له، مرجحًا لما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين على أي شيء آخر، ومن الدلائل الساطعة على إخلاصه لأبي بكر ونصحه للإسلام والمسلمين وحرصه على الاحتفاظ ببقاء الخلافة، واجتماع شمل المسلمين ما جاء من موقفه من توجه أبي بكر رضي الله عنه بنفسه إلى ذي القصة، وعزمه على محاربة المرتدين، وقيادته للتحركات العسكرية ضدهم بنفسه، وما

---

(١) «السنة» عبد الله بن أحمد (٢/ ٥٦٣) رجال الإسناد ثقات.
(٢، ٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٤٩).
(٤) العيبة: وعاء من خوص ونحوه ينقل فيه الزرع المحصود إلى الجرين، ووعاء من أدم ونحوه يكون فيه المتاع.

كان في ذلك من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامي[١]، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما برز أبو بكر إلى ذي القصة، واستوى على راحلته، قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا، فرجع[٢] فلو كان علي رضي الله عنه - أعاذه الله من ذلك - لم ينشرح صدره لأبي بكر وقد بايعه على رغم من نفسه، فقد كانت هذه فرصة ذهبية ينتهزها علي، فيترك أبا بكر وشأنه، لعله يحدث به حدث فيستريح منه ويصفو الجو له، وإذا كان فوق ذلك - حاشاه الله - من كراهته له، وحرصه على التخلص منه، لأغرى به أحدًا يغتاله، كما يفعل الرجال السياسيون بمنافسيهم وأعدائهم[٣]، وقد كان رأي علي رضي الله عنه مقاتلة المرتدين وقال لأبي بكر لما قال لعلي: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال أقول: إنك إن تركت شيئًا مما كان أخذه منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت على خلاف سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال: أما لئن قلت ذاك؛ لأقاتلنهم وإن منعوني عقالاً[٤].

## ثالثا: تقديم علي رضي الله عنه لأبي بكر:

تواترت الأخبار عن علي رضي الله عنه في تفضيله وتقديمه لأبي بكر رضي الله عنه، فمن ذلك:

١- عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر. وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[٥].

٢- عن علي رضي الله عنه قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها؟ أبو بكر. ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر؟ عمر[٦].

---

(١) «المرتضى» للندوي ص(٩٧).
(٢) «البداية والنهاية» (٦/ ٣١٤ ـ ٣١٥).
(٣) «المرتضى» للندوي ص(٩٧).
(٤) «المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة» للزمخشري ص (٤٨)، و«الرياض النضرة» ص (٦٧).
(٥) «البخاري».
(٦) «مسند أحمد» (١/ ١٠٦، ١١٠، ١٢٧)، وصحح أحمد شاكر معظم طرق هذه الأحاديث.

٣- عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قيل لعلي بن أبي طالب ﷺ: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[١].

٤- وقال علي ﷺ: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري[٢].

٥- قول علي لأبي سفيان ﷺ: إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً، وهناك آثار يستأنس بها في إيضاح العلاقة الطيبة بين علي وأبي بكر منها:

( أ ) عن عقبة بن الحارث قال: خرجت مع أبي بكر الصديق من صلاة العصر بعد وفاة النبي ﷺ بليالٍ وعلي يمشي إلى جنبه، فمر بحسن بن علي يلعب مع غلمان، فاحتمله على رقبته وهو يقول:

بِأَبِي شَبِيهٌ بِالنَّبِي
لَيْسَ شَبِيهٌ بِعَلِيّ

قال: وعلي يضحك[٣].

(ب) وعن علي ﷺ قال: من فارق الجماعة شبراً، فقد نزع ربقة الإسلام من عنقه[٤]، فهل كان علي يفعل ذلك؟ كان ﷺ يكره الاختلاف، ويحرص على الجماعة. قال القرطبي: من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار، وما تضمن ذلك من الاتفاق؛ عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة، وإن كان الطبع البشري

(١) «المستدرك» (٣/ ٧٩) صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(٢) «فضائل الصحابة» (١/ ٨٣) في سنده ضعف.
(٣) «مسند أحمد» (١/ ١٧٠) إسناده صحيح، وتحقيق: أحمد شاكر.
(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٢٤) من مرسل أبي طاق الأزدي، وهو صدوق ورجال الإسناد ثقات، و«خلافة أبي بكر الصديق» ص(٨٠).

قد يغلب أحيانًا، لكن الديانة ترد ذلك، والله الموفق[١]. وأما ما قيل من تخلف الزبير بن العوام عن البيعة لأبي بكر، فإنه لم يرد من طريق صحيح، بل ورد ما ينفي هذا القول، ويثبت مبايعته في أول الأمر، وذلك في أثر أبي سعيد السابق الصحيح وغيره من الآثار[٢].

(ج) قال ابن تيمية: وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: خير الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. وقد روي هذا عنه من طرق كثيرة قيل: إنها تبلغ ثمانين طريقًا. وعنه أنه كان يقول: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري[٣]. وقال أيضًا: ولم يقل أحد قط إني أحق بهذا - أي الخلافة - من أبي بكر ولا قاله أحد في أحد بعينه: أن فلانًا أحق بهذا الأمر من أبي بكر. وإنما قال من فيه أثر الجاهلية- عربية أو فارسية- أن بيت الرسول ﷺ أحق بالولاية؛ لأن العرب في جاهليتها كانت تقدم أهل الرؤساء، وكذلك الفرس يقدمون أهل بيت الملك، فنقل عمن نقل عنه كلام يشير به إلى هذا[٤].

( د) تسمية أبي بكر بالصديق وشهادة علي له بالسباق والشجاعة:

عن يحيى بن حكيم بن سعد قال: سمعت عليًا رضي الله عنه يحلف: والله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق[٥]. وعن صلة بن زفر العبسي قال: كان أبو بكر إذا ذكر عند علي قال: السَّباق تذكرون، والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر[٦]، وعن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال: خطبنا علي رضي الله عنه فقال: أيها الناس من أشجع الناس؟ قلنا: أنت يا أمير المؤمنين. قال:

(١) «فتح الباري» (٧/ ٤٩٥).
(٢) «خلافة أبي بكر الصديق»، لعبدالعزيز سليمان ص(٨١).
(٣) «منهاج السنة» (٣/ ١٦٢).
(٤) «منهاج السنة» (٣/ ٢٦٩)، و«مرويات أبي مخنف» ص(٣٠٩).
(٥) «المعجم الكبير» للطبراني (١/ ٥٥) رجاله ثقات .
(٦) الطبراني في «الأوسط» (٧/ ٢٠٧ ، ٢٠٨) إسناده ضعيف .

ذاك أبو بكر الصديق، إنه لما كان في يوم بدر وضعنا لرسول الله العريش[(١)] فقلنا: من يقيم عنده لا يدنو إليه أحد من المشركين؟ فما قام عليه إلا أبو بكر وأنه كان شاهرًا السيف على رأسه كلما دنا إليه أحد هوى عليه أبو بكر بالسيف، ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش عند الكعبة فجلعوا يتعتعونه ويترترونه[(٢)]، ويقولوا: أنت الذي جعلت الآلهة إلهًا واحدًا، فوالله ما دنا إليه إلا أبو بكر، ولأبي بكر يومئذ ضفيرتان[(٣)]، فأقبل يجأ[(٤)] هذا، ويدفع هذا ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟! وقطعت إحدى ضفيرتي أبي بكر، فقال علي لأصحابه: ناشدتكم الله أي الرجلين خير، مؤمن آل فرعون أو أبو بكر؟ فأمسك القوم، فقال علي: والله ليوم من أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون، ذلك رجل كتم إيمانه فأثنى الله عليه، وهذا أبو بكر بذل نفسه ودمه لله[(٥)].

## رابعا: اقتداء علي بالصديق في الصلوات وقبول الهدايا منه:

إن عليًا رضي الله عنه كان راضيًا بخلافة الصديق ومشاركًا له في معاملاته وقضاياه، قابلاً منه الهدايا، رافعًا إليه الشكاوى، مصليًا خلفه، محبًا له، مبغضًا من بغضه[(٦)]، وشهد بذلك أكبر خصوم الخلفاء الراشدين،وأصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بهديهم، وسلك بمسلكهم، ونهج بمنهجهم[(٧)]، فهذا اليعقوبي الشيعي الغالي في تاريخه، يذكر أيام خلافة الصديق فيقول: وأراد أبو بكر أن يغزو الروم فشاور جماعة من أصحاب رسول الله، فقدموا وأخروا فاستشار علي بن أبي طالب فأشار عليه أن يفعل، فقال: إن فعلت ظفرت، فقال: بشرت بخير، فقام أبو بكر في الناس خطيبًا، وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم، وفي رواية سأل الصديق عليًا كيف ومن أين تبشر؟ قال: من النبي ﷺ، حيث سمعته يبشر

---

(١) العريش: ما يستظل به، وجمعه عروش وعُرُش.
(٢) يترترونه: الترترة: تحريك الشيء.
(٣) ضفيرتان: عقيصتان.
(٤) يجأ: الوجأ: اللكز.
(٥) «المستدرك» (٣/ ٦٧) صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(٦) «الشيعة وأهل البيت»، إحسان إلهي ظهير ص(٦٩).
(٧) «الشيعة وأهل البيت» ص(٦٩).

بتلك البشارة، فقال أبو بكر: سررتني بما أسمعتني من رسول الله يا أبا الحسن سرك الله[1]، ويقول اليعقوبي أيضًا: وكان ممن يؤخذ عنه الفقه في أيام أبي بكر عليُّ بن أبي طالب وعمر ابن الخطاب ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم[2]، فقدم عليًّا على جميع أصحابه، وهذا دليل واضح على تعاملهم مع بعضهم، وتقديمهم عليًّا في المشورة[3] والقضاء، فعندما كتب خالد بن الوليد إلى أبي بكر بقوله له: إنه وجد رجلاً في بعض نواحي العرب يُنكح كما تنكح المرأة، فجمع أبو بكر لذلك أصحاب رسول الله ﷺ منهم علي، فقال علي: إن هذا ذنب لم يعمل به إلا أمة واحدة[4]، ففعل الله بهم ما قد علمتم، أرى أن تحرقه بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله أن يحرق بالنار، فأمر به أبو بكر أن يحرق بالنار[5].

وكان علي رضي الله عنه يمتثل أوامر الصديق؛ فعندما جاء وفد من الكفار إلى المدينة، ورأوا بالمسلمين ضعفًا وقلة؛ لذهابهم إلى الجهات المختلفة للجهاد واستئصال شأفة المرتدين والبغاة الطغاة، وأحس منهم الصديق خطرًا على عاصمة الإسلام والمسلمين، أمر الصديق بحراسة المدينة، وجعل الحرس على أنقابها يبيتون بالجيوش، وأمر عليًّا والزبير وطلحة وعبدالله بن مسعود أن يرأسوا هؤلاء الحراس، وبقوا كذلك حتى أمنوا منهم[6]، وللتعامل الموجود بينهم وللتعاطف والتوادد والوئام الكامل، كان عليٌّ وهو سيد أهل البيت ووالد سبطي الرسول ﷺ يتقبل الهدايا والتحف دأب الإخوة المتساوين في ما بينهم والمتحابين؛ كما قبل الصهباء الجارية التي سبيت في معركة عين التمر، وولدت له عمر ورقية[7] وأيضًا منحه الصديق خولة بنت جعفر بن قيس التي أسرت مع

---

(١) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ١٣٢-١٣٣)، نقلاً عن: «الشيعة وأهل البيت» ص(٧٠).
(٢) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ١٣٨) نقلاً عن «الشيعة وأهل البيت» ص(٧٠)
(٣) «الشيعة وأهل البيت» ص(٧٠).
(٤) ألا وهي أمة لوط عليه السلام.
(٥) «المغني والشرح الكبير» (١٢/ ٢٢٠)، و«المختصر من كتاب الموافقة» ص(٥١).
(٦) «تاريخ الطبري» (٤/ ٦٤)، و«الشيعة وأهل البيت» ص(٧١).
(٧) «الطبقات» (٣/ ٢٠)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٣٣١ - ٣٣٣).

من أسر في حرب اليمامة، وولدت له أفضل أولاده بعد الحسن والحسين وهو محمد بن الحنفية، وكانت خولة من سبي أهل الردة، وبها يعرف ابنها ونسب إليها محمد بن الحنفية(١)، يقول الإمام الجويني عن بيعة الصحابة لأبي بكر: وقد اندرجوا تحت الطاعة عن بكرة أبيهم لأبي بكر ﷺ وكان علي ﷺ سامعًا لأمره، وبايع أبا بكر على ملأ من الأشهاد، ونهض إلى غزو بني حنيفة(٢).

ووردت روايات عديدة في قبوله هو وأولاده الهدايا المالية والخمس وأموال الفيء من الصديق ﷺ أجمعين، وكان عليّ هو القاسم والمتولي في عهده على الخمس والفيء وكانت هذه الأموال بيد علي، ثم كانت بيد الحسن، ثم بيد الحسين، ثم الحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن(٣)، وكان علي ﷺ يؤدي الصلوات الخمسة في المسجد خلف الصديق، راضيًا بإمامته، ومظهرًا للناس اتفاقه ووئامه معه(٤)، وكان علي ﷺ يروي عن أبي بكر بعض أحاديث رسول الله ﷺ، فعن أسماء بن الحكم الفزاري قال: سمعت عليًا ﷺ يقول: كنت إذا سمعت من رسول الله علمًا نفعني الله به، وكان إذا حدثني عنه غيري استحلفته، فإذا حلف صدقته، وحدثني أبو بكر - وصدق أبو بكر - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من عبد مسلم يذنب ذنبًا ثم يتوضأ، فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له»**(٥).

ولما قبض رسول الله ﷺ اختلف أصحابه فقالوا: ادفنوه في البقيع(٦)، وقال آخرون: ادفنوه في موضع الجنائز، وقال آخرون: ادفنوه في مقابل أصحابه، فقال أبو بكر: أخروا فإنه لا ينبغي رفع الصوت عند النبي حيًا ولا ميتًا، فقال عليّ ﷺ: أبو بكر مؤتمن على ما جاء به، قال أبو بكر: عهد إليّ

---

(١) «الطبقات» (٣/ ٢٠) المصدر نفسه.

(٢) «الإرشاد» للجويني ص (٤٢٨) نقلاً عن «أصول مذهب الشيعة»، و«الإمامية الاثنا عشرية» للغفاري (١/ ٨٥).

(٣، ٤) «الشيعة وأهل البيت» ص ٧٢.

(٥) «مسند أحمد» رقم (٤٧).

(٦) البقيع: مقبرة أهل المدينة وهي داخل المدينة.

رسول الله ﷺ : «أنه ليس من نبي يموت إلا دفن حيث يقبض»(١)، وشهد علي رضي الله عنه للصديق عن عظيم أجره في المصاحف، فعن عبد خير قال: سمعت عليًا يقول: أعظم الناس أجرًا في المصاحف: أبو بكر الصديق، هو أول من جمع بين اللوحين(٢).

## خامسًا: الصديق والسيدة فاطمة وميراث النبي ﷺ؟:

قالت عائشة رضي الله عنها: إن فاطمة والعباس رضي الله عنهما أتيا أبا بكر رضي الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك وسهميهما من خيبر، فقال لهما أبو بكر: إني سمعت رسول الله يقول: «**لا نُورَث، ما تركنا صدقةٌ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال**»(٣) وفي رواية قال أبو بكر رضي الله عنه: . . . لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به؛ فإني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ(٤)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أزواج النبي ﷺ ، حين توفي رسول الله ، أردن أن يبعثن عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أبي بكر؛ ليسألنه ميراثهن من النبي ﷺ ، فقالت عائشة رضي الله عنها لهن: أليس قد قال رسول الله ﷺ : «**لا نورث، ما تركنا صدقة**»(٥)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يقتسم ورثتي دينارًا، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة**»(٦).

وهذا ما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع فاطمة رضي الله عنها امتثالاً لقوله ﷺ ، لذلك قال الصديق: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به(٧) وقال: والله لا أدع أمرًا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته(٨).

(١) «مسند أحمد» (١/٨) إسناده ضعيف، قاله: أحمد شاكر ، وقال ابن حجر في «الفتح» (١/ ٦٣١): إسناده صحيح لكنه موقوف.
(٢) «المختصر من كتاب الموافقة» ص(٤٤).
(٣) «البخاري» رقم (٦٧٢٦).
(٤) «مسلم» رقم (١٧٥٩).
(٥) «البخاري» رقم (٦٧٣٠)، و«مسلم» رقم (١٧٥٨).
(٦) «البخاري» رقم (٦٧٢٩).
(٧) «مسلم» (١٧٥٨).
(٨) «البخاري» رقم (٦٧٢٦).

وقـد تركت فاطمة رضي الله عنها منازعتـه بعد احتجاجه بالحديث وبيـانه لها، وفيه دليل على قبـولها الحق وإذعانها لقـوله ﷺ، قال ابن قتيـبة[١]: وأما منازعة فاطمة أبا بـكر رضي الله عنه في ميراث النبي ﷺ فليس بمنكر؛ لأنها لم تعـلم ما قاله رسول الله ﷺ ،وظنت أنها ترثه كما يرث الأولاد آباءهم، فلما أخبرها بقوله كَفَّت[٢]، وقد غالى الرافضة في قـصة ميراث النبي ﷺ غلوًا مفرطًا مجانبين الحق والصواب، معرضين متجاهلـين ما ورد من نصوص صحيحة في أنه ﷺ لا يورث، وجعلوا ذلك من أصول الخلاف بين الصحابة وآل البيت رضي الله عنهم أجمعين وامتـدادًا لأمر الخـلافة، فـاتهمـوا الصحـابة رضي الله عنهم بإيقاع الظلم والجـور على آل البيت، ولاسيمـا أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما اللذين غصـبا الخلافة من آل البيت كما في زعمهم وأضافـوا إلى ذلك غصب أموال آل البيت، وغصب ما فرض الله لهم من حقـوق مالية، ويعتبر الـرافضة قضية فـدك، ومنع فاطمة من إرثها من أهم القـضايا، التي تواطأ عليـها الصحـابة بعد غـصب الصديق رضي الله عنه للخلافة منهم على حد تعبـيرهم؛ وذلك حتى لا يميل الناس إلى آل البيت بسبب هذا المال فيجتمعوا عليه ويخلعوه من الخلافة[٣].

والمتتبع لكتب الـرافضة في هذه المسألة يجد أنهـا تنصب على إنكار حديث رسول الله ﷺ: «**نحن -مـعـاشـر الأنبيـاء- لا نـورث، مـا تركنا صـدقـة**»[٤] واستقطاب الأدلة لمحاولة إبطاله فمن ذلك:

١ ـ زعمهم أن هذا الحديث وضـعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وفي ذلك يقول الحلي: إن فاطمة لم تقـبل بحديث اخترعه أبو بكر من قوله: مـا تركنا صدقة، وقال أيضًا: والتجـأ في ذلك إلى رواية انفرد بها[٥]، وقال المجلسي بعد أن نص على أن أبا بكر وعـمر أخذا فـدكًا: ولأجل ذلك وضـعوا تلك الرواية الخـبيـثة

---

(١) «شذرات الذهب» (٢/١٦٩). (٢) «تأويل مختلف الحديث» ص(١/١٩).
(٣) «العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط» ص(٤٣٥). (٤) مسلم (١٧٥٨).
(٥) «منهاج الكرامة» المطبوع مع «منهاج السنة» (٤/١٩٣)، نقلاً عن: «العقيدة في أهل البيت».

المفتراة: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة[١]، ويقول الخميني في ذلك: نقول بأن الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ لا صحة له، وأنه قيل من أجل استئصال ذرية النبي ﷺ[٢].

ويجاب على ذلك: بأن هذا القول كذب محض وافتراء واضح؛ إذ هذه الرواية لم ينفرد بها أبو بكر رضي الله عنه؛ بل إن قوله ﷺ: **«لا نورث، ما تركنا فهو صدقة»**. رواه عنه أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة، والزبير، وسعد وعبدالرحمن بن عوف، والعباس ابن عبد المطلب، وأزواج النبي ﷺ، وأبو هريرة، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم أجمعين[٣]، وفي ذلك يقول ابن تيمية: والرواية عن هؤلاء ثابتة في الصحاح، والمسانيد مشهورة يعلمها أهل العلم بالحديث، فقول القائل: إن أبا بكر انفرد بالرواية؛ يدل على فرط جهله أو تعمده الكذب[٤]، وقال ابن كثير - بعد ذكره لمن روى الحديث وأن هذا الزعم من الرافضة باطل-: ولو تفرد بروايته الصديق رضي الله عنه لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له في ذلك[٥].

وقد قال الدكتور سليمان بن رجاء السحيمي صاحب الكتاب القيم «العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط»: ويؤيد هذا ما جاء من كتب الرافضة عن الإمام جعفر الصادق الإمام الخامس المعصوم عندهم فيما رواه الكليني والصفار، والمفيد أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا، سلك الله به طريقًا إلى الجنة، والعلماء أمناء، والأتقياء حصون، والأوصياء سادة، وفضل العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهمًا، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر»**[٦] وفي رواية: **«إن العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا ديناراً، وإنما أورثوا**

(١) «حق اليقين» ص ١٩١ نقلا عن «العقيدة في أهل البيت» ص(٤٤٣).
(٢) «كشف الأسرار» للخميني ص(١٣ ـ ١٣٣). نقلاً عن: «العقيدة في أهل البيت».
(٣) «العقيدة في أهل البيت» ص(٤٤٤).
(٤) «منهاج السنة» (٤/١٩٩).
(٥) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٥٠).
(٦) «الكافي» للكليني (١/ ٣٢ ـ ٣٤).

**أحاديث من أحاديثهم»**[١]. وما أرث منك يا رسول الله؟ قال: «**ما أورث النبيون**».

٢ - زعمهم أن هذا الحديث مخالف لقوله تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ**﴾ (النساء:١١)، وقالوا: ولم يجعل الله ذلك خاصًا بالأمة دونه ﷺ[٢].

والحقيقة أن الخطاب شامل للمقصودين بالخطاب، وليس فيه ما يوجب كون النبي ﷺ من المخاطبين به[٣]؛ فهو ﷺ لا يقاس بأحد من البشر، فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ولأن الله حرم عليه صدقة الفرض والتطوع، وخص بأشياء لم يخص بها أحد غيره ﷺ، ومما خصه الله به، هو وإخوانه من الأنبياء - عليهم السلام- كونهم لا يورثون، وذلك صيانة من الله لهم؛ لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وخلفوها لورثتهم، أما بقية البشر فلا نبوة لهم يقدح فيها بمثل ذلك، كما صان الله تعالى نبينا ﷺ عن الشعر صيانة لنبوته عن الشبهة وإن كان غيره لم يحتج إلى هذه الصيانة[٤].

وقال ابن كثير في رده على استدلال الرافضة بالآية: إن رسول الله ﷺ قد خص من بين الأنبياء بأحكام لا يشاركونه فيها فلو قدر أن غيره من الأنبياء يورثون - وليس الأمر كذلك- لكان ما رواه الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر مبينًا لتخصيصه بهذا الحكم دون من سواه[٥]؛ وبهذا يتبين بطلان استدلالهم بمخالفة الحديث.

٣ - زعمهم أن منع الإرث والاستدلال بهذا الحديث مخالف لقوله تعالى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ**﴾ (النمل:١٦). ومخالف لما حكاه الله عن نبيه زكريا عليه السلام:

---

(١) «الكافي» للكليني (١/ ٣٢ - ٣٤)، و«بصائر الدرجات» للصفار (١٠ - ١١) و«الاختصاص المفيد» ص(٤) وانظر: «علم اليقين» للكاشاني (٢/ ٧٤٧ - ٧٤٨) نقلاً عن «العقيدة لأهل البيت» ص(٤٤٤).

(٢) «منهاج الكرامة» المطبوع مع «منهاج السنة» ٤/ ١٩٤).

(٣) «منهاج السنة» (٤/ ١٩٤ - ١٩٥)، و«العقيدة في أهل البيت» ص(٤٤٥).

(٤) «منهاج السنة» (٤/ ١٩٤-١٩٥)، و«العقيدة في أهل البيت» ص(٤٤٥).

(٥) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٥٤)، و«العقيدة في أهل البيت» ص(٤٤٦).

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ (مريم:٥ ، ٦).

حيث قالوا: إن الميراث يقتضي الأموال وما في معناه، وليس لأحد أن يقول أن المراد بالآية العلم دون المال[1].

ويجاب على ذلك بما يلي: إن الإرث اسم جنس يدخل تحته أنواع، فيستعمل في إرث العلم، والنبوة، والملك، وغير ذلك من أنواع الانتقال. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (فاطر:٣٢). وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠ ، ١١) وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الشأن، وإذا كان كذلك فقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، وقوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ إنما يدل على جنس الإرث، ولايدل على إرث المال؛ وذلك لأن داود عليه السلام كان له أولاد كثيرون غير سليمان، فلا يختص سليمان بماله؛ فدل على أن المراد بهذا الإرث إرث العلم والنبوة ونحو ذلك، لا إرث المال، والآية سيقت في بيان مدح سليمان وما خصه الله به من النعمة، وحصر الإرث في المال لا مدح فيه؛ إذ إن إرث المال من الأمور العادية المشتركة بين الناس، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ ليس المراد به إرث المال؛ لأنه لا يرث آل يعقوب شيئًا من أموالهم، وإنما يرث ذلك منهم أولادهم وسائر ورثتهم لو ورثوا[2].

كما أن قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾ لا يدل على أن الإرث إرث مال؛ لأن زكريا لم يخف أن يأخذوا ماله من بعده إذا مات؛ فإن هذا ليس بمخوف، وزكريا عليه السلام لم يعرف له مال، بل كان نجارًا يأكل من كسب يده كما في صحيح مسلم[3]، ولم يكن ليدخر منها فوق قوته حتى يسأل الله ولدًا

(١) «منهاج الكرامة» ص(١٠٩) نقلاً عن: «العقيدة في أهل البيت» وغيرها من الكتب «كالطرائف» لابن طاووس ص(٣٤٧).

(٢) «منهاج السنة» (٤/ ٢٢٢ - ٢٢٤).

(٣) «مسلم» رقم (٢٣٧٩).

يرث عنه ماله، فدل على أن المراد بالوراثة في هاتين الآيتين وراثة النبوة، والقيام مقامه(١).

يقول القرطبي في تفسيره للآية: وعليه فلم يسل من يرث ماله؛ لأن الأنبياء لا تورث، وهذا هو الصحيح من القولين في تأويل الآية، وأنه عليه الصلاة والسلام أراد وراثة العلم والنبوة، لاوراثة المال لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة**»(٢)، وهذا الحديث يدخل في التفسير المسند لقوله تعالى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ**﴾، وعبارة من قول زكريا: ﴿**فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾ وتخصيص للعموم في ذلك، وأن سليمان لم يرث من داود مالاً خلفه داود بعده، وإنما ورث منه الحكمة والعلم، وكذلك ورث يحيى من آل يعقوب، وهكذا قال أهل العلم بتأويل القرآن ما عدا الروافض(٣).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الرافضة خالفوا ما استدلوا به على وجوب الميراث وذلك أنهم حصروا ميراثه ﷺ في فاطمة ﵂ فزعموا أنه لم يرث النبي ﷺ، إلا هي، فأخرجوا أزواجه وعصبته مخالفين عموم الآيات التي استدلوا بها، فقد روى الصدوق بسنده عن أبي جعفر الباقر قوله: لا والله ما ورث رسول الله ﷺ العباس ولا علي، ولا ورثته إلا فاطمة عليها السلام، وما كان أخذ علي عليه السلام السلاح وغيره إلا أنه قضى عنه دينه(٤) وروى الكليني والصدوق والطوسي بأسانيدهم إلى الباقر أيضًا قوله: وورث علي عليه السلام من رسول الله ﷺ علمه، وورثت فاطمة عليها السلام تركته(٥)، بل وأخرجوا حتى فاطمة من ذلك، حيث زعموا أن النساء لا يرثن العقار، فقد بوب الكليني

---

(١) «منهاج السنة» (٤/ ٢٢٥)، و«البداية والنهاية» (٥/ ٢٥٣)، و«العقيدة في أهل البيت» ص(٤٤٨).
(٢) «مسلم» رقم (١٧٥٨).
(٣) «تفسير القرطبي» (١١/ ٣٥ - ٤٥).
(٤) «من لا يحضره الفقيه» (٤/ ١٩٠ - ١٩٩١)، و«العقيدة في أهل البيت» ص(٤٥١).
(٥) «الكافي» للكليني (٢/ ٢٥٩)، و«العقيدة في أهل البيت» ص(٤٥١).

في كتابه الكافي بابًا بعنوان: أن النساء لا يرثن من العقار شيئًا وساق تحته روايات منها: عن أبي جعفر الصادق أنه قال: «النساء لا يرثن من الأرض ولا من العقار شيئًا»[١].

روى الصدوق بسنده إلى ميسر قال: سألته -يقصد الصادق- عن النساء ما لهن في الميراث؟ فقال: أما الأرض والعقارات فلا ميراث لهن فيه[٢]، وبهذا يتبين عدم استحقاق فاطمة رضي الله عنها شيئًا من الميراث، بدون الاستدلال بحديث: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث**»[٣]. فما دامت المرأة لا ترث العقار والأرض، فكيف كان لفاطمة أن تسأل فدك - على حسب قولهم - وهي عقار لا ريب فيه؟[٤]، وهذا دليل كذبهم وتناقضهم فضلاً عن جهلهم[٥].

وأما ما زعموه من كون الصديق رضي الله عنه سأل فاطمة أن تحضر شهودًا، فأحضرت عليًّا وأم أيمن فلم يقبل شهادتهما فهو من الكذب البين الواضح، قال حماد بن إسحاق: فأما ما يحكيه قوم: أن فاطمة عليها السلام طلبت فدك، وذكرت أن رسول الله ﷺ أقطعها إياها، وشهد لها علي عليه السلام فلم يقبل أبوبكر شهادته؛ لأنه زوجها، فهذا أمر لا أصل له ولا تثبت به رواية أنها ادعت ذلك، وإنما هو أمر مفتعل لا ثبت فيه[٦].

٤ - إن السنة والإجماع قد دلا على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يورث:

قال ابن تيمية: كون النبي ﷺ لا يورث ثبت بالسنة المقطوع بها، وبإجماع الصحابة، وكل منهما دليل قطعي، فلا يعارض ذلك بما يظن أنه عموم، وإن كان عمومًا فهو مخصوص؛ لأن ذلك لو كان دليلاً لما كان إلا ظنيًّا فلا يعارض القطعي؛ إذ الظني لا يعارض القطعي، وذلك أن هذا الخبر رواه غير واحد من الصحابة في أوقات ومجالس، وليس فيهم من ينكره بل كلهم تلقاه

(١) «الكافي» للكليني (٧/ ١٣٧)؛ و«العقيدة في أهل البيت» ص(٤٥١).
(٢) «الشيعة وأهل البيت» ص(٨٩).
(٣) «مسلم» (١٧٦٨).
(٤) «الشيعة وأهل البيت» ص(٩٨).
(٥) «العقيدة في أهل البيت» ص(٤٥٢).
(٦) «منهاج السنة» (٤/ ٢٣٦ - ٢٣٨).

بالقبول والتصديق، ولهذا لم يصرّ أحد من أزواجه على طلب الميراث، ولا أصرّ العمّ على طلب الميراث، بل من طلب من ذلك شيئًا فأخبر بقول النبي ﷺ رجع عن طلبه، واستمر الأمر على ذلك على عهد الخلفاء الراشدين إلى علي، فلم يغير من ذلك شيئًا، ولا قسم له تركة[1] قال ابن تيمية: قد تولى الخلافة (عليٌ) بعد ذي النورين عثمان، وصار فدك وغيرها تحت حكمه، ولم يعط منها شيئًا لأحد من أولاد فاطمة ولا من زوجات النبي ﷺ ولا ولد العباس فلو كان ظلمًا، وقدر على إزالته لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه، أفتراه يقاتل معاوية مع ما جرى في ذلك من الشر العظيم ولا يعطي هؤلاء قليلاً من المال، وأمره أهون بكثير؟[2]، وبإجماع الخلفاء الراشدين على ذلك احتج الخليفة العباسي أبو العباس السفاح على بعض مناظريه في هذه المسألة على ما نقل ابن الجوزي في تلبيس إبليس قال: وقد روينا عن السفاح أنه خطب يومًا فقام رجل من آل علي ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين أعني على من ظلمني قال: ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد علي ﷺ والذي ظلمني أبو بكر ﷺ حين أخذ فدك من فاطمة، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ قال: عمر ﷺ، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ قال: عثمان ﷺ، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكانًا يهرب منه[3].

وبتصويب أبي بكر ﷺ في اجتهاده صرح بعض أولاد علي من فاطمة ﷺ على ما روى البيهقي بسنده عن فضيل بن مرزوق قال: قال زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب: أما لو كنت مكان أبي بكر، لحكمت بما حكم به أبو بكر في فدك[4]، كما نقل أبو العباس القرطبي اتفاق أهل البيت، بدأ بعلي ﷺ ومن جاء بعده من أولاده، ثم أولاد العباس الذين كانت بأيديهم صدقه رسول الله ﷺ، أنهم ما كانوا يرون تملكها، وإنما كانوا ينفقونها في سبيل الله

(١) «منهاج السنة» (٤/ ٢٢٠). (٢) «منهاج السنة»(٦/٣٤٧). (٣) «تلبيس إبليس» ص١٣٥.
(٤) «تاريخ المدينة» لابن شبة (١/ ٢٠٠)، و«البداية والنهاية» (٥/ ٢٥٣).

قال - رحمه الله-: إن عليًا لما ولي الخلافة ولم يغيرها عما عمل فيها في عهد أبي بكر، وعمر، وعثمان، ولم يتعرض لتملكها، ولا لقسمة شيء منها، بل كان يصرفها في الوجوه التي كان من قبله يصرفها فيها، ثم كانت بيد الحسن بن علي، ثم بيد الحسين بن علي، ثم بيد علي بن الحسين، ثم بيد الحسين ابن الحسن، ثم بيد زيد بن الحسين، ثم بيد عبد الله بن الحسين، ثم تولاها بنو العباس على ما ذكره أبو بكر البرقاني في صحيحه، وهؤلاء كبراء أهل البيت رضي الله عنهم وهم معتمدون عند الشيعة وأئمتهم، لم يرو عن واحد منهم أنه تملكها ولا ورثها ولا ورثت عنه، فلو كان ما يقوله الشيعة حقًا لأخذها علي أو أحد من أهل بيته لما ظفروا بها، ولم فلا[1].

وقال ابن تيمية: قد تولى الخلافة بعد ذي النورين عثمان، وصار فدك وغيرها تحت حكمه، ولم يعط منها شيئًا لأحد من أولاد فاطمة، ولا من زوجات النبي ﷺ، ولا ولد العباس، فلو كان ظلمًا، وقدر على إزالته لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه أفتراه يقاتل معاوية مع ما جري في ذلك من الشر العظيم ولا يعطي هؤلاء قليلاً من المال، وأمره أهون بكثير[2]؟.

وقال ابن كثير: وقد تكلمت الرافضة في هذا المقام بجهل، وتكلفوا مالا علم لهم به، وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويله، وأدخلوا أنفسهم فيما لا يعنيهم[3]، فلو تفهموا الأمور على ما هي عليه لعرفوا للصديق فضله، وقبلوا منه عذره الذي يجب على كل أحد قبوله، ولكنهم طائفة مخذولة، وفرقة مرذولة، يتمسكون بالمتشابه، ويتركون الأمور المقدرة عند أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء المعتبرين في سائر الأعصار والأمصار رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين[4].

٥ - تسامح السيدة فاطمة رضي الله عنها مع أبي بكر رضي الله عنه:

وقد ثبت عن فاطمة رضي الله عنها أنها رضيت عن أبي بكر بعد ذلك، وماتت وهي

(١) «المفهم» للقرطبي (٣/ ٥٦٤).
(٢) «منهاج السنة» (٦/ ٣٤٧).
(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٥٣).
(٤) المصدر نفسه (٥/ ٢٥١).

راضية عنه، على ما روى البيهقي بسنده عن الشعبي أنه قال: لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق فاستأذن عليها، فقال علي: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك؟، فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم، فأذنت له، فدخل عليها يترضاها، فقال: والله ما تركت الدار والمال، والأهل والعشيرة، إلا ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة رسوله، ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترضاها حتى رضيت[١]. قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي، والظاهر أن عامر الشعبي سمعه من علي أو ممن سمعه من علي ﷺ[٢].

وبهذا تندحض مطاعن الرافضة على أبي بكر التي يعلقونها على غضب فاطمة عليه، فلئن كانت غضبت على أبي بكر في بداية الأمر فقد رضيت عنه بعد ذلك، وماتت وهي راضية عنه، ولا يسع أحد صادق في محبته لها، إلا أن يرضى عمن رضيت عنه[٣]، ولا يعارض هذا ما ثبت في حديث عائشة: «إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال، وإني والله لا أغير شيئًا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع لفاطمة منها شيئًا، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت»[٤]، فإن هذا بحسب علم عائشة ﵂ راوية الحديث، وفي حديث الشعبي زيادة علم، وثبوت زيادة أبي بكر لها وكلامها له ورضاها عنه، فعائشة ﵂ نفت والشعبي أثبت، ومعلوم لدى العلماء أن قول المثبت مقدم على قول النافي؛ لأن احتمال الثبوت حصل بغير علم النافي، خصوصًا في مثل هذه المسألة؛ فإن عيادة أبي بكر لفاطمة ﵂ ليست من الأحداث الكبيرة التي تشيع في الناس، ويطلع عليها الجميع، وإنما هي من الأمور العادية التي تخفى على من لم يشهدها، والتي لا يعبأ بنقلها لعدم الحاجة لذكرها. على أن الذي ذكره العلماء أن فاطمة ﵂ لم تتعمد هجر أبي بكر ﵁ أصلاً، ومثلها يتنزه عن ذلك لنهي النبي ﷺ عن الهجر فوق

(١) «السنن الكبرى» للبيهقي (٦/ ٣٠١).
(٢) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٥٣).
(٣) «الانتصار للصحب والآل» ص(٤٣٤).
(٤) «البخاري» رقم (٤٢٤٠).

ثلاث، وإنما لم تكلمه لعدم الحاجة لذلك[١]، قال القرطبي صاحب «المفهم» في سياق شرحه لحديث عائشة المتقدم: ثم إنها -أي فاطمة- لم تلتق بأبي بكر لشغلها بمصيبتها برسول الله ﷺ ولملازمتها بيتها، فعبر الراوي عن ذلك بالهجران، وإلا فقد قال رسول الله ﷺ: **«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»**[٢] وهي أعلم الناس بما يحل من ذلك ويحرم، وأبعد الناس عن مخالفة رسول الله ﷺ، كيف لا يكون كذلك وهي بضعة من رسول الله ﷺ وسيدة نساء أهل الجنة؟![٣].

وقال النووي: وأما ما ذكر من هجران فاطمة أبا بكر رضي الله عنه فمعناه: انقباضها عن لقائه، وليس هذا من الهجران المحرم، الذي هو ترك السلام والإعراض عند اللقاء، وقوله في هذا الحديث: (فلم تكلمه) يعني في هذا الأمر، أو لانقباضها فلم تطلب منه حاجة ولا اضطرت إلى لقائه فتكلمه، ولم ينقل قط أنهما التقيا فلم تسلم عليه ولا كلمته[٤]، لقد انشغلت فاطمة رضي الله عنها عن كل شيء بحزنها لفقدها أكرم الخلق، وهي مصيبة تزري بكل المصائب، كما أنها انشغلت بمرضها الذي ألزمها الفراش عن أية مشاركة في أي شأن من الشؤون فضلاً عن لقاء خليفة المسلمين المشغول - لكل لحظة من لحظاته - بشؤون الأمة، وحروب الردة وغيرها، كما أنها كانت تعلم بقرب لحوقها بأبيها؛ فقد أخبرها رسول الله ﷺ بأنها أول من يلحق به من أهله[٥]، ومن كان في مثل علمها لا يخطر بباله أمور الدنيا، وما أحسن قول المهلب الذي نقله العيني: ولم يرو أحد أنهما التقيا وامتنعا عن التسليم، وإنما لازمت بيتها، فعبر الراوي عن ذلك بالهجران[٦].

ومما يدل على أن العلاقة كانت وطيدة بين الصديق والسيدة فاطمة إلى حد أن زوجة أبي بكر أسماء بنت عميس، هي التي كانت تمرض فاطمة بنت النبي

---

(١) «الانتصار للصحب والآل» ص(٤٣٤).
(٢) «البخاري» رقم (٦٠٧٧).
(٣) «المفهم» (١٢/ ٧٣).
(٤) «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٧٣).
(٥) «مسلم» رقم (٢٤٥٠).
(٦) «أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ» ص(١٠٨).

ﷺ في مرض موتها، وكانت معها حتى الأنفاس الأخيرة، وشاركت في غسلها وترحيلها إلى مثواها، وكان علي ﷺ يمرضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس ﷺ، وقد وصتها بوصايا في كفنها ودفنها وتشييع جنازتها. فعملت أسماء بها[1]، فقد قالت السيدة فاطمة لأسماء: إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله ﷺ، ألا أريك شيئًا رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجرائد رطبة؛ فحنتها ثم طرحت عليها ثوبا، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله، به تعرف المرأة من الرجال[2].

وعن ابن عبد البر: فاطمة ﷺ أول من غطي نعشها في الإسلام، ثم زينب بنت جحش، وكان الصديق دائم الاتصال بعلي من ناحية؛ ليسأله عن أحوال بنت النبي ﷺ خلاف ما يزعمه القوم، فمرضت -أي فاطمة ﷺ- وكان علي يصلي في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟ ومن ناحية أخرى من زوجته أسماء حيث كانت هي المشرفة والممرضة الحقيقية لها، ولما قبضت فاطمة من يومها فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر يعزيان عليًّا ويقولان: يا أبا الحسن، لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله ﷺ[3]، وقد توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة، عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي ابن الحسين، قال: ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء، فحضرها أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف ﷺ، فلما وضعت ليصلى عليها، قال علي: تقدم يا أبا بكر، قال أبو بكر ﷺ: وأنت يا أبا الحسن؟ قال: نعم، فوالله لا يصلي عليها غيرك، فصلى عليها أبوبكر ﷺ ودفنت ليلاً، وجاء في رواية: صلى أبو بكر الصديق ﷺ على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكبر عليها

(١) «الشيعة وأهل البيت» ص(٧٧). (٢) «الاستيعاب» (٣٧٨/٤).

(٣) «الشيعة وأهل البيت» ص(٧٧)، كتاب سليم بن قيس ص(٢٥٥).

أربعًا[1]، وفي رواية مسلم: صلى عليها علي بن أبي طالب وهي الرواية الراجحة[2].

ولقد أجاد وأفاد محمد إقبال في قصيدته العصماء (فاطمة الزهراء) فقال:

نَسَبُ المَسِيحِ بَنَى لِمَرْيَمَ سِيرَةً
بَقِيَتْ عَلَى طُولِ المَدَى ذِكْرَاهَا
والمَجْدُ يُشْرِفُ مِنْ ثَلاثِ مَطَالِعٍ
فِي مَهْدِ فَاطِمَةَ فَمَا أَعْلاهَا
هِيَ بِنْتُ مَنْ هِيَ زَوْجُ مَنْ هِيَ أُمُّ مَنْ
مَنْ ذَا يُدَانِي فِي الفَخَارِ أَبَاهَا
هي وَمْضَةٌ مِنْ نُورِ عَيْنِ المُصْطَفَى
هَادِي الشُّعُوبِ إِذَا تَرُومُ هُدَاهَا
مَنْ أَيْقَظَ الفِطَرَ النِّيَامَ بِرَوْحِهِ
وَكَأَنَّهُ بَعْدَ البِلَى أَحْيَاهَا
وَأَعَادَ تَارِيخَ الحَيَاةِ جَدِيدَةً
مِثْلَ العَرَائِسِ فِي جَدِيدِ حُلاهَا
هِيَ أُسْوَةٌ لِلأُمَّهَاتِ وَقُدْوَةٌ
يَتَرَسَّمُ القَمَرُ المُنِيرُ خُطَاهَا
جَعَلَتْ مِنَ الصَّبْرِ الجَمِيلِ غِذَاءَهَا
وَرَأَتْ رِضَى الزَّوْجِ الكَرِيمِ رِضَاهَا

(١) «المختصر من كتاب الموافقة» ص(٦٨) في سنده ضعف.
(٢) «مسلم» رقم (١٧٥٩).

إلى أن قال:

لَوْلاَ وُقُوفِي عِنْدَ شَرْعِ المُصْطَفَى
وَحُدُودِ شِرْعَتِهِ ونَحْنُ فِدَاهَا
لَمَضَيْتُ للتَّطْوَافِ حَوْلَ ضَرِيحِهَا
وَغَمَرْتُ بالقُبُلاتِ طِيْبَ ثَرَاهَا [1]

## سادسا: مصاهرات بين الصديق وأهل البيت وتسمية أهل البيت بعض أبنائهم باسم أبي بكر:

كانت صلة سيدنا أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ بأعضاء أهل البيت، صلة ودية تقديرية تليق به وبهم، كانت هذه المودة والثقة متبادلة، وكانت من المتانة بحيث لا يتصور معها التباعد والاختلاف مهما نسج المتآمرون الأساطير والأباطيل، فالصديقة عائشة بنت الصديق بنت أبي بكر رضي الله عنه كانت زوجة النبي ﷺ ، ومن أحب الناس إليه، مهما احترق الحساد ونقم المخالفون، فإنها حقيقة ثابتة، وهي طاهرة مطهرة بشهادة القرآن مهما جحدها المبطلون وأنكرها المنكرون، ثم أسماء بنت عميس التي كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب شقيق علي، فمات عنها وتزوجها الصديق وولدت له ولداً سماه محمداً الذي ولاه علي مصر، ولما مات أبو بكر تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له ولداً سماه يحيى[2]. وحفيدة الصديق كانت متزوجة من محمد الباقر - الإمام الخامس عند الروافض وحفيد علي رضي الله عنه - وقد نقل الأستاذ إحسان إلهي ظهير من كتب الروافض ما يثبت التلاحم والمصاهرة بين بيت النبوة وبيت الصديق، فقد أثبت بأن قاسم بن محمد بن أبي بكر حفيد أبي بكر، وعلي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب حفيد علي كانا ابني خالة، فأم قاسم بن محمد وعلي ابن الحسين هما بنتي يزدجرد بن شهريار بن

(١) «الدوحة النبوية الشريفة» ص(٦٢ ، ٦٣).
(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، و«ترتيب وتهذيب كتاب البداية والنهاية» للسُّلمي ص(٢٢).

كسرى اللتين كانتا من سبايا الفرس في عهد عمر رضي الله عنه، وتوسع إحسان إلهي ظهير في إثبات المصاهرات وعلاقات المودة والتراحم والاحترام المتبادل بين أهل البيت وبيت الصديق[١]، وكان من حب أهل البيت للصديق والتوادد ما بينهم أنهم سموا أبنائهم بأسماء أبي بكر رضي الله عنه، فأولهم علي بن أبي طالب حيث سمى أحد أبنائه بأبي بكر، وهذا دليل على حب ومؤاخاة وإعظام وتقدير علي للصديق رضي الله عنهما، والجدير بالذكر أنه ولد له هذا الولد بعد تولية الصديق الخلافة والإمامة، بل وبعد وفاته كما هو معروف بداهة، وهل يوجد في الشيعة اليوم المتزعمين حب علي وأولاده رجل يسمى بهذا الاسم، وهل هم موالون له أم مخالفون؟ وعلي رضي الله عنه لم يسم بهذا الاسم ابنه إلاَّ متيمنًا بالصديق وإظهاراً له المحبة والوفاء، وحتى بعد وفاته وإلاَّ فلا يوجد في بني هاشم رجل قبل علي سمى ابنه بهذا الاسم، ثم لم يقتصر عليّ بهذا التيمن والتبرك وإظهار المحبة والصداقة للصديق، بل بعده بنوه أيضًا مشوا مشيه ونهجوا منهجه، فالحسن والحسين، سميا كل واحد منهما أحد أولادهما بأبي بكر، فقد ذكر ذلك اليعقوبي والمسعودي وهما من مؤرخي الروافض[٢].

واستمر أهل البيت يسمون من أسماء أولادهم بأبي بكر، فقد سمى ابنُ أخ علي بن أبي طالب رضي الله عنه -وهو عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب فإنه سمى- أحد أبنائه باسم أبي بكر، وهذا من إحدى علائم الحب والود بين القوم، خلاف ما يزعمه الروافض اليوم من العداوة والبغضاء والقتال الشديد والجدال الدائم بينهم[٣]. وقد كان جعفر بن محمد بن عليّ ابن الحسين الذي يلقب بالصادق عند الشيعة الروافض يقول: ولدني أبوبكر مرتين[٤]، فأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، كان أحد فقهاء المدينة السبعة تربى في حجر أم المؤمنين عائشة، وأما أمها فهي أسماء بنت

(١) «الشيعة وأهل البيت» ص (٧٨ الى ٨٣)

(٢) «تاريخ اليعقوبي» (٢/٢٢٨)، و«التنبيه والأشراف» ص(٨٢)

(٣) «الشيعة وأهل البيت» ص(٨٣)، و«الدّر المنثور من تراث أهل البيت والصحابة» السيد علاء الدين المدرّس ص (٣٨ - ٤٤)، و«رحماء بينهم» صالح بن عبد الله الدرويش.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٥٤).

عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق وكان جعفر يغضب من الرافضة ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر، فكيف يرضى من يدعي محبة جعفر وآل البيت أن يلعن جد جعفر؟.

وعن عروة بن عبدالله قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف؟ فقال: لا بأس به، قد حَلّى أبوبكر الصديق سيفه، قال: قلت: وتقول الصديق؟ قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة، ثم قال: نعم الصديق، نعم الصِّديق، نعم الصِّديق، من لم يقل له: الصِّديق، فلا صَدَّق الله له قولاً في الدُّنيا والآخرة[1].

## سابعا: علي رضي الله عنه في وفاة الصديق:

كان علي رضي الله عنه من ضمن من استشارهم الصديق فيمن يتولى الخلافة بعده، وكان رأي علي أن يتولى الخلافة بعد الصديق الفاروق[2]، ولما حان الرحيل ونزل الموت بأبي بكر، كان آخر ما تكلم به الصديق في هذه الدنيا قول الله تعالى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف:١٠١). وارتجت المدينة لوفاة أبي بكر الصديق، ولم تر المدينة منذ وفاة الرسول ﷺ يومًا، أكثر باكيًا وباكية من ذلك المساء الحزين، وأقبل علي بن أبي طالب مسرعًا، باكيًا، مسترجعًا، ووقف على البيت الذي فيه أبو بكر فقال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت إلف رسول الله ﷺ وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم يقينًا، وأشدهم لله يقينًا، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء في دين الله عز وجل، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحدبهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله هديًا وسمتًا، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عندهم، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسول الله وعن الإسلام أفضل الجزاء.

(١) «صفة الصفوة» (٢/١٠٩ ـ ١١٠)، و«مختصر الاثنا عشرية» ص(٣٤).

(٢) «الكامل» لابن الأثير (٢/٧٩)، و«المختصر من كتاب الموافقة» للزمخشري ص(٧٠ إلى ١٠٠).

صدَّقت رسول الله حين كذبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر، سماك الله في تنزيله صديقًا، فقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر:٣٣)، واسيته حين بخلوا، وقمت معه على المكاره حين قعدوا، وصحبته في الشدة أكرم الصحبة، ثاني اثنين صاحبه في الغار، والمنزل عليه السكينة، ورفيقه في الهجرة، وخليفته في دين الله، وأمته أحسن الخلافة حين ارتدوا، فقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي، ونهضت حين وهن أصحابه، وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ وهنوا، وكنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفًا في بدنك، قويًّا في أمر الله، متواضعًا في نفسك، عظيمًا عند الله تعالى، جليلاً في أعين الناس، كبيراً في أنفسهم، لم يكن لأحدهم فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف عندك قوي عزيز حتى تأخذ بحقه، القريب والبعيد عندك سواء، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله عز وجل وأتقاهم، شأنك الحق والصدق والرفق، قولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، اعتدل بك الدين، وقوي بك الإيمان، وظهر أمر الله، فسبقت - والله - سبقًا بعيدًا، وأتعبت من بعدك إتعابًا شديدًا، وفزت بالخير فوزًا مبينًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله عز وجل قضاءه، وسلمنا له أمره، والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبدًا، كنت للدين عزًّا، وحرزًا، وكهفًا فألحقك الله عز وجل بنبيك محمد ﷺ، ولاحرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك، فسكت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا: صدقت[1]، وجاء في رواية: أن عليًّا قال عندما دخل على أبي بكر بعدما سُجِّي: ما أحد الله بصحيفته أحب إليَّ من هذا المسجَّى[2].



(١) (التبصرة) لابن الجوزي (١/٤٧٧ - ٤٧٩) نقلاً عن: «أصحاب الرسول» (١/١٠٨).
(٢) «تاريخ الذهبي»، عهد الخلفاء الراشدين ص(١٢٠).

## المبحث الثاني

## علي رضي الله عنه في عهد الفاروق

كان علي رضي الله عنه عضواً بارزاً في مجلس شـورى الدولة العمرية، بل كان هو المستشار الأول، فقد كان عمر رضي الله عنه يعرف لعلي فضله، وفقهه، وحكمته، وكان رأيه فيه حسنًا، فقد ثبـت قوله فيه: أقضانا علي[1]، وقال ابن الجوزي: كان أبو بكر وعمـر يشاورانه، وكـان عمـر يقول: أعوذ بالله مـن معضلة ليـس لها أبو الحسن[2]، وقال مسـروق: كان الناس يأخذون عن ستة: عمـر وعلي وعبد الله وأبي موسى وزيـد بن ثابت، وأبي بن كعب، وقـال: شاممت أصحـاب محـمد صلى الله عليه وسلم فوجدت علمهم انتهى إلى ستة نفر: عمر وعلي وعبد الله وأبي الدرداء وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، ثم شاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى رجلين منهم: إلى علي، وعبد الله[3]، وقال أيضا: انتهى العلم إلى ثلاثة، عالم بالمدينة، وعالم بالشام، وعالم بالعراق، فعالم المدينة علي بن أبي طالب، وعالم الكوفة عبد الله بن مسعود، وعالم الشام أبو الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم العراق، عالم المدينة ولم يسألهم[4]، فكان علي من هؤلاء المقربين، يشد من أزر أخيه، ولا يبخل عليه برأيه، ويجتهد معه في إيجاد حلول للقضايا، التي لم يرد فيـها نص، وفي تنظيم أمور الدولة الفتـية، والشواهد على ذلك كـثيرة، نذكر منها:

### أولاً: ففي الأمور القضائية:

#### ١ - امرأة تعتريها نوبات من الجنون:

عن أبي ظبـيان الجـنبي: أن عمـر بن الخطاب أُتِيَ بامـرأة قـد زنت، فأمـر

---

(١) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ص (١١٠٢)، و«المعرفة والتاريخ» (١/ ٤٨١).

(٢) «فضائل الصحابة» رقم (١١٠٠) إسناده ضعيف.

(٣) «علل الحديث ومعرفة الرجال»، - علي بن المديني ص(٤٢، ٤٣) نقلاً عن «خلافة علي بن أبي طالب»- عبدالحميد علي ص (٧٠)، و«البخاري» رقم (٤٤٨١).

(٤) «المعرفة والتاريخ» للفسوي (١/ ٤٤٤).

برجمها، فذهبوا بها ليرجموها، فلقيهم عليٌّ رضي الله عنه، فقال: ما هذه؟ قالوا: زنت فأمر عمر برجمها، فانتزعها عليٌّ من أيديهم وردّهم، فرجعوا إلى عمر، فقال: ما ردّكم؟ قالوا: ردّنا عليٌّ. قال: ما فعل هذا عليٌّ إلا لشيء قد علمه، فأرسل إلى عليٍّ، فجاء وهو شبه المغضب، فقال: مالك رَدَدْتَ هؤلاء؟ قال: أما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المُبتلى حتى يعقل؟**» قال: بلى. قال عليٌّ: فإن هذه مبتلاة بني فلان، فلعله أتاها وهو بها. فقال عمر: لا أدري. قال: وأنا لا أدري، فلم يرجمها[1]، فقد كان عمر لا يعلم بأنها مجنونة.

## ٢ – مضاعفة الحد لمن شرب الخمر:

أخذ عمر برأي علي رضي الله عنه في مضاعفة الحد لمن شرب الخمر؛ وذلك لانتشار شرب الخمر، وخاصة في البلاد المفتوحة، وهي حديثة العهد بالإسلام، فأشار علي على عمر رضي الله عنه بأن يجلد فيها ثمانين، كأخف الحدود، وعلل ذلك بقوله: نراه إذا سكر هذي وإذا هذي افترى، وعلى المفتري ثمانون[2]، وقد ثبت عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما كنت أقيم حدًا على أحد، فيموت، وأجد في نفسي، إلاَّ صاحب الخمر؛ فإنه لو مات وديته؛ وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسنه[3]، وأوّل البيهقي قوله: (لم يسنه) زيادة على الأربعين، أو لم يسنه بالسياط، وقد سنه بالنعال وأطراف الثياب مقدار أربعين، والله أعلم[4]، وقد استنبط الفقهاء من أفعال الخلفاء الراشدين مقدار الحد في الخمر، على قول مالك والثوري وأبي حنيفة ومن تبعهم ثمانون؛ لإجماع الصحابة، ومن قال: إن الحد أربعون: أبو بكر، والشافعي، وقول لأحمد، وتحمل الزيادة على ذلك من عمر رضي الله عنه، على أنها تعزير يجوز فعلها إذا رآه الإمام، وهذا هو القول الصحيح للشافعي[5]،

(١) «مسند أحمد الموسوعة الحديثة» رقم (١٣٢٨) صحيح لغيره.
(٢) «إرواء الغليل» للألباني(٨/٤٦ – ٤٧) وقال الألباني: إسناده ضعيف، وحقق هذا الأثر عبد الحميد علي في رسالته «خلافة علي بن أبي طالب» ملحق ٣٠.
(٣) «فتح الباري» (١٢/٦٦). (٤) «السنن الكبرى» (٨/٣٢٢). (٥) «المغني» (٨/٣٠٧).

وهذا الرأي مال إليه ابن تيـمية أيضًا وقال: .. فأما مع قلـة الشاربين وقرب أمر الشارب، فتكفي الأربعون[1].

### ٣- لا سلطان لك على ما في بطنها:

أتي عمـر رضي الله عنه بامرأة حامل، فسـألها عمـر فاعترفـت بالفجور، فأمـر بها عمر رضي الله عنه ترجم، فلقيها علي فقال: ما بال هذه؟ فقالوا: أمر بها أمير المؤمنين أن ترجم، فـردها علي فقـال: أأمرت بهـا أن ترجم؟ قـال: نعم، اعتـرفت عندي بالفجور. قال: هذا سلطانك عليها فـما سلطانك على ما في بطنها؟ قال علي: فلعلك انتهرتها[2]، أو أخفتها؟. قال: قـد كان ذاك، قال: أو ما سمعت ﷺ يقول: «**لا حدّ على معترف بعد بلاء، أنه من قيدت أو حبسـت أو تهددت فلا إقرار لها**»، فخلى عـمر سبيلها، ثم قال: عـجزت النساء أن تلـد مثل علي بن أبي طالب، لولا علي لهلك عمر[3]، وقد علق ابن تيمية على هذه القصة فقال: إن هذه القصة إن كانت صحيحة، فلا تخلو من أن يكون عمر لم يعلم أنها حامل، فأخبـره علي بحملها، ولا ريب أن الأصل عـدم العلم، والإمام إذا لم يعلم أن المستحقة للقتل أو الرجم حامل، فـعرفه بعض الناس بحالها، كان هذا من جملة إخباره بأحوال الناس... إلى أن قال عن عمـر: يعطي الحقوق، ويقيم الحدود، ويحكم بين الناس كلهم، وفي زمنه انتـشر الإسـلام وظهر ظهوراً لم يـكن قبله مثله، وهو دائمًا يقـضي ويفتي ولولا كثرة علمه لم يطق ذلك، فإذا خـفيت عليه قضـية من مـائة ألف قضـية ثم عـرفها أو كـان نسيـها فـذكرها فأي عـيب في ذلك؟![4]. وكان رده هذا في سياق رده على الروافض.

### ٤ – ردوا الجهالات إلى السنة:

أتى عمـر بامرأة أنكحت في عدتهـا، ففرق بينهمـا، وجعل صداقـها في بيت

---

(١) «الفتاوى» (٢٨/ ٣٣٦/ ٣٣٧)، و«منهاج السنة» (٦/ ٨٣)، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص(٧٣).

(٢) انتهرتها: زجرتها.

(٣) «سنن سعيد بن منصور» (٢/ ٦٩) رقم (٢٠٨٣)، و«المختصر من كتاب الموافقة» ص(١٣١).

(٤) «منهاج السنة» (٦/ ٤٢).

المال، وقال: لا أجيز مهراً أردُّ نكاحه، وقال: لا تجتمعان أبدًا، فبلغ ذلك عليًا فقال: وإن كانوا جهلوا السنة لها المهر بما استحل من فرجها، ويفرق بينهما، فإذا انقضت عدتها فهو خاطب من الخطاب، فخطب عمر الناس فقال: ردوا الجهالات إلى السنة، ورجع عمر إلى قول علي[1].

### ٥- هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي :

قال جعفر بن محمد: أتي عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار وكانت تهواه، فلما لم يساعدها، احتالت عليه، فأخذت بيضة، فألقت صفارها، وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيها، ثم جاءت إلى عمر صارخة، فقالت: هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعاله، فسأل عمر النساء، فقلن له: إن ببدنها وثوبها أثر المني، فهم بعقوبة الشاب، فجعل يستغيث ويقول: يا أمير المؤمنين تثبت في أمري، فوالله ما أتيت فاحشة، وما هممت بها، فقد راودتني عن نفسي فاعتصمت، فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما؟ فنظر علي إلى ما على الثوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصب على الثوب، فجمد ذلك البياض ثم أخذه واشتمه، وذاقه، فعرف طعم البيض، وزجر المرأة فاعترفت[2]، ونستخلص من هذه الواقعة بعض الدروس:

(أ) أن وسائل الإثبات كانت مرة في القضاء الإسلامي تشمل الإقرار والشهادة واليمين والنكول.. وتتسع لتشمل الأمارات والفراسة.

(ب) اهتمام عمر بمشاورة كبار الصحابة في النوازل وعلى الخصوص علي رضي الله عنه الذي كانت منزلته عنده متميزة[3].

## ثانيا: علي رضي الله عنه والتنظيمات المالية والإدارية العمرية:

### ١- في الأمور المالية :

### ( أ ) نفقات الخليفة :

لما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر المسلمين بعد أبي بكر مكث زمانًا، لا يأكل

---

(١) «المغني والشرح الكبير»(١١/ ٦٦-٦٧). (٢) «الطرق الحكيمة» لابن القيم ص(٤٨) - رواية ضعيفة.

(٣) «الاجتهاد في الفقه الإسلامي»، لعبدالسلام السليماني ص(١٤٥).

من بيت المال شيئًا حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة، ولم يعد يكفيه ما يربحه من تجارته؛ لأنه اشتغل عنها بأمور الرعية، فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فاستشارهم في ذلك فقال: قد شغلت نفسي في هذا الأمر فما يصلح لي فيه؟ فقال عثمان بن عفان: كل واطْعَمْ، وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وقال عمر لعلي: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء، فأخذ عمر بذلك، وقد بين عمر حقَّه من بيت المال فقال: إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة قيِّم اليتيم، إن استغنيت عنه تركت، وإن افتقرت إليه أكلت بالمعروف[1].

### (ب) رأي علي في أرض السواد بالعراق:

لما فتحت أرض السواد بالعراق عنوة، أشار عدد من الصحابة ﷺ على عمر بتقسيمها بين الفاتحين، ولكن لسعة الأرض وجودتها، ونظرة عمر البعيدة لمن سيأتي بعد ذلك، لم يطمئن عمر لتقسيمها، فاستشار عليًّا في ذلك، فكان رأيه موافقًا لرأي الخليفة عمر ألاَّ تقسم، فأخذ برأيه وقال: لولا آخر المسلمين، ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها، كما قسم النبي ﷺ خيبر[2].

### (ج) لا جرم لتقسمنه:

أتي عمر بمال فقسمه بين المسلمين، وفضلت منه فضلة، فاستشار فيها الصحابة، فقالوا له: لو تركته لنائبة إن كانت، وفي القوم علي ساكت، فأراد عمر أن يسمع رأي علي في ذلك، فذكره علي بحديث مال البحرين حين جاء إلى النبي ﷺ، وأنه قسمه كله فقال عمر لعلي: لا جرم لتقسمنه، فقسمه علي[3]، ويبدو أن هذا كان قبل تقسيم الدواوين[4].

### ٢ - علي رضي الله عنه والأمور الإدارية:

عندما احتاج عمر ﷺ أن يضع تاريخًا رسميًّا ثابتًا لتنظيم أمور الدولة

(١) «الخلافة الراشدة»، سنده صحيح د. يحيى ص(٢٧٠).
(٢) «الأموال»، للقاسم بن سلام ص(٥٧)، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي ص(٧٥).
(٣) «مسند أحمد» (١/ ٩٤) إسناده ضعيف لانقطاعه.
(٤) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي ص(٧٥).

وضبطهـا، جمع الناس، وسألهم: من أي يوم نكتب التاريخ؟ فـقال علي رضي الله عنه من يوم هاجر رسـول الله ﷺ وترك أرض الشرك، ففعله عـمر[١]، وقد كان عمر رضي الله عنه يراه من أفضل من يقود الناس، فقد ورد عنه أنه كان يناجي رجلاً من الأنصار فقال: من تحدثون أنه يستخلف من بعدي؟ فعد الأنصاري المهاجرين ولم يذكر عليًّا، فقال عمر: فأين أنتم من علي؟ فوالله لو استخلفتموه، لأقامكم على الحق وإن كرهتموه[٢]، وقال لابنه عبد الله ابن عمر رضي الله عنه بعد أن طعن: إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق[٣].

## ٣- استخلف عمر علياً على المدينة مرارًا:

( أ ) استخلافـه حين خرج عمر إلى ماء صرار فعسكر فـيه، وكان الروم قد حشدوا للمسلمين، فجمع عمر الناس فاستشارهم فكلهم أشار عليه بالمسير[٤].

(ب) استخلافـه عند نزول عمر بالجابية: وذلك حين نزل عـمرو بن العاص بأجنادين، فكتـب إليه أرطـبون الروم: والله لا تفـتح من فلـسطين شـيئًـا بعـد أجنادين، فارجع لا تُـغر، وإنما صاحب الفـتح رجل اسمه عـلى ثلاثة أحرف، فـعلم عمـرو أنه عمـر، فكتب يعلمـه أن الفتـح مدخـر له، فنادى له الناس، واستخلف علي بن أبي طالب[٥].

(ج) استخـلاف علي حين حج عمر بأزواج النبي ﷺ: وهي آخـر حجة حجها بالناس، كانت سنة ثلاث وعشـرين من الهجرة، وكان مع أمهات المؤمنين أولياؤهن ممن لا يحتجبن منه، وخلف على المدينة علي بن أبي طالب[٦].

---

(١) «التاريخ الكبير» للبخاري (١/٩).

(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي ص(٧٦) قيل: إن الرواية مرسلة.

(٣) «بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث» تحقيق: حسين أحمد (٣/٧٤١) صحيح الإسناد؛ و«خلافة علي ابن أبي طالب» ص(٧٦).

(٤، ٥) «المنتظم» (٤/١٩٢).

(٦) «المنتظم» (٤/٣٢٧)، و«الفتح» (٤/٨٧).

### ثالثا: استشارة عمر لعلي رضي الله عنهما في أمور الجهاد وشؤون الدولة:

كان علي المستشار الأول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان عمر يستشيره في الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقتال الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي موضع التقويم الهجري وغير ذلك من الأمور[(١)]، وكان علي رضي الله عنه طيلة حياة عمر مستشارًا ناصحًا لعمر محبًا له خائفًا عليه، وكان عمر يحب عليًا وكانت بينهم مودة ومحبة وثقة متبادلة، ومع ذلك يأبى أعداء الإسلام إلا أن يزوروا التاريخ، ويقصوا بعض الروايات التي تناسب أمزجتهم ومشاربهم؛ ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عبارة عن: أن كل واحد منهم كان يتربص بالآخر الدوائر؛ لينقضَّ عليه، وكل أمورهم كانت تجري من وراء الكواليس[(٢)]، إن من أبرز ما يلاحظه المتأمل في خلافة عمر تلك الخصوصية في العلاقة وذلك التعاون المتميز الصافي، بين عمر وعلي رضي الله عنهما، فقد كان علي هو المستشار الأول لعمر في سائر القضايا والمشكلات،وما اقترح علي على عمر رأيًا إلا واتجه عمر إلى تنفيذه عن قناعة، وكان علي رضي الله عنه يمنحه النصح في كل شؤونه وأحواله[(٣)].

فمثلاً عندما تجمع الفرس بنهاوند في جمع عظيم لحرب المسلمين، جمع عمر رضي الله عنه الناس واستشارهم في المسير إليهم بنفسه، فأشار عليه عامة الناس بذلك، فقام إليه علي رضي الله عنه فقال: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم؛ سارت الروم إلى ذراريهم، وإنك إن شخصت أهل اليمن من يمنهم، سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإنك إن أشخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات، أقرر هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلى أهل

---

(١) «علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين» ص(٩٩).
(٢) المصدر نفسه ص(١٣٨).
(٣) «فقه السيرة النبوية» للبوطي ص(٥٢٩).

البصرة، فليتفرقوا ثلاث فرق: فرقة في حرمهم وذراريهم، وفرقة في أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة. مددًا لهم إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدًا قالوا: هذا أمير العرب وأصلها، فكان ذلك أشد لكَلَبِهم عليك، وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهوأقدر على تغيير ما يكره، وأما عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر. فقال عمر: هذا هو الرأي كنت أحب أن أتابع عليه[1].

كانت نصيحة علي نصيحة المحب لعمر، الغيور عليه والضنين، ألاَّ يذهب، وأن يدير رحى الحرب بمن دونه من العرب وهو في مكانه، وحذره من أنه إذا ذهب، فلسوف ينشأ وراءه من الثغرات ما هو أخطر من العدو الذي سيواجه، أرأيت لو أن رسول الله ﷺ أعلن أن الخلافة من بعده لعلي، أفكان لعلي أن يرغب عن أمر رسول الله ﷺ هذا، وأن يؤيد المستلبين لحقه بل لواجبه في الخلافة بمثل هذا التعاون المخلص البناء؟ بل أفكان للصحابة رضي الله عنهم كلهم أن يضيعوا أمر رسول الله ﷺ؟ بل أفكان من المتصور أن يجمعوا وفي مقدمتهم علي رضي الله عنه على ذلك؟ بوسعنا أن نعلم إذن بكل بداهة، أن المسلمين إلى هذا العهد - نهاية عهد عمر - بل إلى نهاية عهد علي كانوا جماعة واحدة، ولم يكن في ذهن أي من المسلمين أي إشكال بشأن الخلافة أو شأن من هو أحق بها[2].

إن كثرة مشاورة عمر لعلي رضي الله عنهما، وغيره من الصحابة، لا يعني هذا أنه دونهم في الفقه والعلم، فقد بينت الأحاديث الصحيحة التي تدل على علو علمه، واكتمال دينه ولكن إيمانه وحبه للشورى، وتعويده للحكام فيما بعد على المشاورة، وعدم الاستبداد بالأمر والرأي، وإلاَّ فإن عليًّا رضي الله عنه كان كثيرًا ما يرجع عن رأيه إلى رأي عمر[3]، فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها في معرض حديثها عن عمر

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٤٨٠)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ٩٤).

(٢) «فقه السيرة» للبوطي ص (٢٩٥).

(٣) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي ص(٧٧).

قولها: وقـد كان علي رضي الله عنه يتابع عمر بن الخطاب، فيـما يذهب إليه ويراه، مع كثرة استشارته عليًا، حتى قال علي رضي الله عنه: يشاورني عمر في كذا، فرأيت كذا، ورأى هو كذا، فلم أر إلاَّ متابعة عمر(١).

## رابعًا: علي رضي الله عنه وأولاده وعلاقتهم بعمر رضي الله عنهم:

كـان عمـر رضي الله عنه شديد الإكـرام لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيثـارهم على أبنائه وأسرته، نذكر من ذلك بعض المواقف:

**١ - أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر:** جاء فيـما رواه الحسين بن علي رضي الله عنه: أن عمـر قال لي ذات يوم: أي بني لو جعلت تأتينا وتغـشانا؟ فجـئت يومًا وهو خالٍ بمعاوية، وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فـرجعت فلقيني بعد، فقال: يا بني لم أرَكَ أتيـتنا؟ قلت: جـئت وأنت خـالٍ بمعـاوية فـرأيت ابن عـمـر رجع، فرجعت، فـقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمـر، إنما أنبت في رؤوسنا ما ترى: الله، ثم أنتم، ووضع يده على رأسه(٢).

**٢ - والله ما هنأ لي ما كسوتكم:** روى ابن سعد عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه عـلي بن الحسين، قال: قـدم على عمـر حلل من اليمن، فكـسا الناس فراحـوا في الحلل، وهو بين القبر والمنبر جـالس، والناس يأتونه فيسلمـون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضي الله عنها يتخطيان الناس، ليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب بين عينيه، ثم قال: والله ما هنأ لي ماكسوتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شيء كـبرت عنهما وصغرا عنها، ثم كـتب إلى والي اليمن أن ابعث بحـلتين لحسن وحـسين، وعجل، فـبعث إليـه بحلتين فكساهما(٣).

---

(١) «الإمامة والرد على الرافضة» للأصبهاني ص(٢٩٥).

(٢) «المرتضى» ص(١١٨)، و«كنز العمال» (٧/ ١٠٥)، و«الإصابة» (١/ ١٣٣).

(٣) «المرتضى» ص(١١٨)، و«الإصابة» (١/ ١٠٦).

**٣ – تقديم بني هاشم في العطاء:** عن أبي جعفر: أنه لما أراد أن يفرض للناس بعدما فتح الله عليه، وجمع ناسًا من أصحاب النبي ﷺ، فقال عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه: ابدأ بنفسك، فقال: لا، والله بالأقرب من رسول الله ﷺ، ومن بني هاشم رهط رسول الله ﷺ، وفرض للعباس، ثم لعلي، حتى والى بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بني عدي بن كعب، فكتب: من شهد بدراً من بني هاشم، ثم شهد بدراً من بني أمية ابن عبد شمس، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض الأعطيات لهم وفرض للحسن والحسين لمكانهما من رسول الله (١).

**٤ – كساني هذا الثوب أخي وخليلي:** خرج علي وعليه برد عدني فقال: كساني هذا الثوب أخي وخليلي وصفيي وصديقي أمير المؤمنين عمر(٢)، وفي رواية عن أبي السفر قال: رئي على علي بن أبي طالب رضي الله عنه برد كان يكثر لبسه قال: فقيل: يا أمير المؤمنين إنك لتكثر لبس هذا البرد؟ فقال: نعم، إن هذا كسانيه خليلي وصفيي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ناصح الله فنصحه، ثم بكى(٣).

**٥ – إقطاع ينبع:** أقطع عمر بن الخطاب عليًا ينبع، ثم اشترى علي إلى قطعة عمر أشياء، فحفر فيها عينًا، فبينما هم يعملون فيها إذ تفجر عليهم مثل عنق الجزور من الماء، فأتي علي وبشر، فتصدق بها على الفقراء والمساكين، وفي سبيل الله ليوم تبيض وجوه وتسود وجوه؛ ليصرف الله تعالى بها وجهه عن النار، ويصرف النار عن وجهه، وكتب في صدقته: هذا ما أمر به علي بن أبي طالب وقضى في ماله: إني تصدقت بينبع، ووادي القرى، والأذنية، وراعة في سبيل الله ووجهه، أبتغي مرضاة الله، ينفق منها في كل منفعة في سبيل الله ووجهه، وفي الحرب والسلم والجنود وذوي الرحم القريب والبعيد، لا يباع ولا يوهب ولا يورث حيًا أنا أو ميتًا، أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، ولا

(١) «الخراج» لأبي يوسف ص (٢٤، ٢٥)، و«المرتضى» ص (١١٨).

(٢) «المختصر من كتاب الموافقة» ص (١٤٠).

(٣) «المصنف» لابن أبي شيبة (١٢/٢٩) رقم (١٢٠٤٧)، نقلاً عن «الشريعة» للآجري (٥/٢٣٢٧) وإسناده حسن.

أبتغي إلا الله عز وجل، فـإنه يقبلها وهو يرثها وهو خـير الوارثين، فذلك الذي قضيت فيها بيني وبين الله عز وجل(١).

## ٦ – لتقولن يا أبا الحسن:

اجتـمع عند عمر جـماعه من قـريش فيهـم علي فتذكـروا الشرف، وعلي ساكت. فـقال عمر: مـالك يا أبا الحسن ساكـتًا؟ فكأن عليًا كره الكلام، فـقال عمر: لتقولن يا أبا الحسن، فقال علي:

فِي كُلِّ مُـعْـتَـرَكٍ تُزِيلُ سُـيُـوفُنَا
فِـيـهَـا الجَـمَـاجِمَ عَنْ فِـرَاخِ الهَـامِ(٢)
اللهُ أكْـرَمَنَا بِنَصْـرِ نَبِـيِّـهِ
وَبِنَـا أعَـزَّ شَـرَائِـعَ الإِسْـلامِ
وَيَزُورُنَا جِـبْـرِيلُ فِي أبْيَـاتِنَا
بِفَـرَائِضِ الإِسْـلامِ والأَحْكَامِ(٣)

## ٧ – حوار بين أمير المؤمنين عمر وعلي حول الرؤيا:

قـال عـمـر بن الخطاب رضي الله عنه لعلي بن أبـي طالب رضي الله عنه: أعـجب من رؤيا الرجل أنه يبيـت فيرى الشيء لم يخطر له على بـال، فتكون رؤياه كأخـذ اليد، ويرى الرجل الشيء، فلا تكون رؤياه شيئًـا، فقال علي بن أبي طـالـب: أفـلا أخبـرك بـذلك يا أمير المؤمنين؟ إن الله يقـول(٤): ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢).

---

(١) المحلى (٦/ ١٨٠)، ومصنف عبدالرزاق (١٠/ ٣٧٥)، وفقه الإمام علي، لقلعجي ص(٦٢٦).
(٢) فراخ الهام: فراخ الرأس على التشبيه.
(٣) المختصر من كتاب الموافقة ص(١٣٨).
(٤) الفتاوى (٥/ ٢٧٠، ٢٧١).

## خامسًا: زواج عمر من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب:

زوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابنته من فاطمة بنت النبي ﷺ من الفاروق حينما سأله زواجها منه رضي الله عنه بما يطلب، وثقة فيه وإقرارًا لفضله ومناقبه، واعترافًا بمحاسنه وجمال سيرته، وإظهارًا بأن بينهم من العلاقات الوطيدة الطيبة والصلات المحكمة المباركة ما يحرق قلوب الحساد من أعداء الأمة المجيدة، ويرغم أنوفهم[1]، فقد كان عمر يكن لأهل البيت محبة خاصة لا يكنها لغيرهم؛ لقرابتهم من رسول الله ﷺ، ولما أوصى به رسول الله ﷺ من إكرام أهل البيت، ورعاية حقوقهم، فمن هذا الباعث خطب عمر أم كلثوم ابنة علي وفاطمة رضوان الله عليهم، وتودد إليه في ذلك قائلا: فوالله ما على الأرض رجل يرصد من حسن صحبتها ما أرصد، فقال علي: قد فعلت، فأقبل عمر إلى المهاجرين، وهو مسرور قائلا: رفئوني... ثم ذكر أن سبب زواجه منها ما سمعه من النبي ﷺ: «**كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي**»، فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ سبب[2]، ولقد أقر بهذا الزواج كافة أهل التاريخ والأنساب، وجميع محدثي الشيعة، وفقائهم ،ومكابريهم، ومجادليهم، وأئمتهم المعصومين حسب زعمهم، ولقد أورد الشيخ إحسان إلهي ظهير روايات بخصوص ذلك في كتابه «الشيعة والسنة»[3]، ولقد ذكر هذا الزواج علماء أهل السنة في التاريخ وأجمعت مصادرهم عليه، ومن العلماء الذين ذكروا هذا الزواج: الطبري[4]، وابن كثير[5]، والذهبي[6]، وابن الجوزي[7]، والدياربكري[8]، وقد ذكر هذا[9] الزواج كتب التراجم؛ كابن

(١) «الشيعة وأهل البيت» ص(١٠٥).

(٢) إسناده حسن، أخرجه الحاكم في «المستدرك»(٣/ ١٤٢) صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي متعقبًا: منقطع. وأورده الهيثمي في(مجمع الزائد ٩/ ١٧٣)، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار، ورجالهما رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة، وهناك من ضعفه.

(٣) «الشيعة وأهل البيت» (١٠٥). (٤) «تاريخ الطبري» (٥/ ٢٨).

(٥) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٢٠). (٦) «تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين» ص(١٦٦).

(٧) «المنتظم» (٤/ ١٣١). (٨) «تاريخ الخميس» نقلاً عن: «زواج عمر من أم كلثوم» لأبي معاذ ص(١٩).

(٩) «الإصابة» لابن حجر ص(٢٧٦) كتاب الكنى وكتاب النساء.

حجر[١]، وابن سعد[٢]، و«أسد الغابة»، وقد قام الأستاذ أبو معاذ الإسماعيلي في كتابه «زواج عمر ابن الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ﷺ» حقيقة وليس افتراء بتتبع مراجع ومصادر الشيعة وأهل السنة فيما يتعلق بهذا الزواج، ورد على الشبهات التي ألصقت بهذا الزواج الميمون، وقد ذكرت شيئًا من سيرتها ومواقفها في حياتها في عهد الفاروق في كتابي (فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، شخصيته وعصره).

هذا وقد ولدت أم كلثوم بنت علي من عمر ﷺ ابنة سميت: رقية وولد سمته: زيدًا، وقد روي: أن زيد بن عمر حضر مشاجرة في قوم من بني عدي ابن كعب ليلاً، فخرج إليهم زيد بن عمر ليصلحهم فأصابته ضربة شجت رأسه ومات من فوره، وحزنت أمه لقتله ووقعت مغشيًا عليها، من الحزن فماتت من ساعتها، ودفنت أم كلثوم وابنها زيد ابن عمر في وقت واحد، وصلى عليهم عبد الله ابن عمر بن الخطاب، قدمه الحسن ابن علي بن أبي طالب وصلى خلفه[٣].

## سادسًا: يا بنت رسول الله، ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك:

عن أسلم العدوي قال: لما بويع لأبي بكر بعد النبي ﷺ كان علي والزبير ابن العوام يدخلان على فاطمة فيشاورانها، فبلغ عمر، فدخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك، وكلمها، فدخل علي والزبير على فاطمة فقالت: انصرفا راشدين، فما رجعا إليها حتى بايعا[٤]، وهذا هو الثابت الصحيح والذي مع صحة سنده ينسجم مع روح ذلك الجيل وتزكية الله له، وقد زاد الروافض في هذه الرواية واختلقوا إفكا وبهتانا وزوراً، وقالوا بأن عمر قال: إذا اجتمع عندك هؤلاء النفر فسأحرق عليهم هذا البيت؛ لأنهم أرادوا شق عصى المسلمين

(١) «الإصابة» لابن حجر ص(٢٧٦) كتاب الكنى وكتاب النساء. (٢) «أسد الغابة» (٧/ ٤٢٥).
(٣) «أسد الغابة» (٧/ ٤٢٥)، و«نساء أهل البيت» منصور عبدالحكيم ص(١٨٥، ١٨٦)
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة: «المصنف» (١٤/ ٥٦٧)، وإسناده صحيح.

بتأخرهم عن البيعة، ثم خرج عنها، فلم يلبث أن عادوا إليها، فقالت لهم: تعلمون أن عمر جاءني وحلف بالله لئن أنتم عدتم إلى هذا البيت ليحرقنه عليكم، وايم الله إنه ليصدقن فيما حلف عليه، فانصرفوا عني فلا ترجعوا إليَّ، ففعلوا ذلك، ولم يرجعوا إليها إلا بعدما بايعوا[١]، وهذه القصة لم تثبت عن عمر رضي الله عنه، ودعوى أن عمر رضي الله عنه همَّ بإحراق بيت فاطمة، من أكاذيب الرافضة، أعداء صحابة رسول الله ﷺ، وقد أوردها مع أكاذيب أخرى الطبري الطبرسي في كتابه «دلائل الإمامة»[٢]، عن جابر الجعفي، وهو رافضي كذّاب باتفاق أئمة الحديث كما في «الميزان»[٣] للذهبي و«تهذيب التهذيب»[٤]، وزعم بعض الروافض أن عمر ضرب فاطمة حتى أسقط ولدها محسنًا وهو في بطنها، وهذه من الأكاذيب الرافضية التي لا أساس لها من الصحة، وما علموا أنهم يطعنون في علي رضي الله عنه وذلك باتهامه بالجبن والسكوت عن عمر، وهو من أشجع أصحاب النبي ﷺ[٥]، بل إن بعض كتب الروافض أنكر صحة هذا الهذيان والزور[٦]. علمًا بأن محسن ولد في حياة النبي كما ثبت ذلك بالرواية الصحيحة.

## سابعًا: الخلاف بين العباس وعلي وحكم عمر رضي الله عنه بينهما:

قال مالك بن أوس: بينما أنا جالس في أهلي حين متع النهار[٧]، إذا رسول عمر ابن الخطاب يأتيني، فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلقت معه حتى أدخل على عمر، فإذا هو جالس على رمال[٨] سرير ليس بينه وبينه فراش، متكئ على وسادة من أدم، فسلمت عليه ثم جلست، فقال: يا مال إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات، وقد أمرت فيهم برضخ، فاقبضه فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أمرت به غيري، قال: اقبضه أيها المرء، فبينما أنا جالس عنده آتاه

(١) «عقائد الثلاثة والسبعين فرقة» لأبي محمد اليمني (١/ ١٤٠).
(٢) «دلائل الإمامة» ص(٢٦) نقلاً عن «عقائد الثلاثة والسبعين» (١/ ١٤٠).
(٣) «الميزان» للذهبي (١/ ٢٧٩).
(٤) «تهذيب التهذيب» (٢/ ٤٧).
(٥) «حقبة من التاريخ» ص(٢٢٤).
(٦) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص(٢٥٢).
(٧) متع النهار: ارتفع قبل الزوال.
(٨) المراد: أنه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف.

حاجبه يرفأ، فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد ابن أبي وقاص، يستأذنونا؟ قال: نعم، فأذن لهم فدخلوا فسلموا وجلسوا ثم جلس يرفأ يسيرًا، ثم قال: هل لك في علي، وعباس؟ قال: نعم، فأذن لهما، فدخلا فسلما فجلسا، فقال عباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا. وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله ﷺ من مال بني النضير، فقال الرهط -عثمان وأصحابه-: يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر. قال عمر: تيدكم[1]، أنشدكم الله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ، قال: «**لا نورث، ما تركنا صدقة**»، يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل عمر على علي، وعباس، فقال: أنشدكما الله أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك، قال عمر: فإني أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله قد خص رسوله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدًا غيره، ثم قرأ: ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (الحشر:٦). فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ ووالله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، قد أعطاكموها، وبثها فيكم، حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله، فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته، أنشدكم الله، هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم، ثم قال لعلي وعباس: أنشدكما الله هل تعلمان ذلك؟ قال عمر: ثم توفى الله نبيه ﷺ، فقال أبو بكر: أنا وليُّ رسول الله ﷺ، والله يعلم إنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فكنت أنا وليَّ أبي بكر فقبضتها سنتين من إمارتي، أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم أني فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتماني تكلماني، وكلمتكما واحدة، وأمركم واحد، جئتني يا عباس، تسألني نصيبك

---

(١) التيد: الرفق، يقال: تيدك هذا، أي اتّئد.

من ابن أخيك، وجاءني هذا -ريد عليًّا- يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث، ما تركنا صدقة**»، فلما بدا لي أن أدفعه إليكما، قلت: إن شئتما دفعتها إليكما، على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ ، وما عمل أبوبكر، وبما عملت فيها منذ وليتها، فقلتما: ادفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما، فأنشدكم الله هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط: نعم، ثم أقبل على عليٍّ وعباس فقال: أنشدكما الله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم، قال: فتلتمسان مني قضاء غير ذلك، فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، لا أقضي فيها قضاء غير ذلك فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي، فإني أكفكماها هما[1].

## ثامنًا: ترشيح عمر عليًا للخلافة مع أهل الشورى وما قاله علي في عمر بعد استشهاده:

**١ - ترشيح علي مع أهل الشورى:** لما طعن عمر رضي الله عنه وظن أنه سيفارق الحياة، وأخذ المسلمون يدخلون عليه، ويقولون له: أوْصِ يا أمير المؤمنين، استخلف، فقال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ فسمى عليًّا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدًا، وعبد الرحمن[2]، ثم دعا خاصتهم وهم عبد الرحمن، وعثمان، وعلي فوعظهم[3]، إن عمر رضي الله عنه إمام وعليه أن يستخلف الأصلح للمسلمين، فاجتهد في ذلك ورأى أن الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ أحق من غيرهم، وهو كما رأى؛ فإنه لم يكن أحد غيرهم أحق منهم، وجعل التعيين إليهم؛ خوفًا من أن يعين واحدًا منهم، ويكون غيره أصلح لهم، فإنه ظهر له رجحان الستة دون رجحان التعيين، وقال: الأمر في التعيين إلى الستة يعينون واحدًا منهم، وهذا اجتهاد إمام عادل ناصح لا هوى له رضي الله عنه وهو نموذج واقعي

---

(١) «البخاري» رقم (٣٠٩٤)، و«مسلم» (١٧٥٧)، واللفظ للبخاري.

(٢) «البداية والنهاية» (١٤٢/٧). (٣) «البخاري» رقم (٣٧٠٠).

لتطبيق قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى:٣٨)، وقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران:١٥٩)، فكان ما فعله من الشورى مصلحة(١).

إن الفاروق ﷺ رأى الأمر في الستة متقاربًا فإنهم وإن كان لبعضهم من الفضيلة ما ليس لبعض، فلذلك المفضول مزية أخرى ليست للآخر، ورأى أنه إذا عيَّن واحدًا فقد يحصل بولايته نوع من الخلل فيكون منسوبًا إليه، فترك التعيين خوفًا من الله تعالى، وعلم أنه ليس واحدًا أحق بهذا الأمر منهم؛ فجمع بين المصلحتين بين تعيينهم- إذ لا أحد أحق منهم- وترك تعيين واحد منهم؛ لما تخوفه من التقصير، والله تعالى قد أوجب على العبد أن يفعل المصلحة بحسب الإمكان، فكان ما فعله غاية ما يمكن من المصلحة(٢)، ولا يقال: إنه بجعله الأمر شورى بين الستة قد خالف به من تقدمه، كما هو زعم الشيعة الرافضة؛ لأن الخلاف نوعان: خلاف تضاد وخلاف تنوع، وما فعله عمر ﷺ من النوع الثاني(٣)، وقد أقره على اجتهاده كل الصحابة، ولم نسمع أحدًا عارضه، وقد بسطت ما ابتكره عمر ﷺ من طريقة جديدة في اختيار الخليفة من بعده في كتابي «فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره»، فمن أراد التوسع فليرجع إليه مشكورًا.

**٢ - ما قاله علي في عمر بعد استشهاده:** قال ابن عباس كما في صحيح البخاري: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون، قبل أن يرفع - وأنا فيهم- فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب ﷺ، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحدًا أحب إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وحسبتُ أنِّي كثيرًا ما أسمع النبي ﷺ يقول: «**ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر**»(٤).

---

(١) «منهاج السنة» (٣/١٦٢ - ١٦٤)، و«المنتقى» ص(٣٦٢ - ٣٦٤).

(٢) «منهاج السنة» (٣/١٦٢ - ٦٤)، و«المنتقى» ص(٣٦٢ - ٣٦٤).

(٣) «عقيدة أهل السنة» (٣/٤٢-١٠١). (٤) «البخاري»، رقم (٣٦٨٥).

**٣ - قول علي في عمر:** إن عمر كان رشيد الأمر، وحرصه على عدم مخالفته بعد وفاته: عن عبد خير قال: كنت قريبًا من علي حيث جاء أهل نجران، قال، قلت: فإن كان رادًا على عمر شيئًا فاليوم، قال: فسلموا واصطفوا بين يديه، قال: ثم أدخل بعضهم يده في كمه فأخرج كتابًا، فوضعه في يد علي، قالوا: يا أمير المؤمنين، خطك بيمينك وإملاء رسول الله ﷺ عليك، قال: فرأيت عليًا وقد جرت الدموع على خده قال: ثم رفع رأسه إليهم فقال: يا أهل نجران، إن هذا لآخر كتاب كتبته بين يدي رسول الله ﷺ، قالوا: فأعطنا ما فيه، قال: سأخبركم عن ذاك: إن الذي أخذه عمر لم يأخذه لنفسه، إنما أخذه بجماعة من المسلمين، وكان الذي أخذه منكم خيرًا مما أعطاكم، والله لا أرد شيئًا مما صنعه عمر، إن عمر كان رشيد الأمر[1]، وهذه الحادثة أصل الفقهاء عليها قولهم: لا يرد القاضي اجتهاد قضاء من قبله عند علي[2]، وروي عنه أنه قال: اقضوا كما كنتم تقضون حتى تكونوا جماعة؛ فإني أخشى الاختلاف[3]، وهو قول جمهور الفقهاء[4]، وقد قال علي: ما كنت لأحل عقدة شدها عمر[5].

**٤ - إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك:** لما فرغ علي من وقعة الجمل، ودخل البصرة، وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة، سار من البصرة إلى الكوفة، فدخلها يوم الاثنين، لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكرهه لذلك، فنزل في الرحبة وصلى في الجامع الأعظم ركعتين[6].

---

(١) «معجم البلدان» (٥/ ٢٦٩)، و«المختصر من كتاب الموافقة» ص(٣٩)، و«فقه الإمام علي» (٢/ ٨١٣) نقلاً عن: «السنن» للبيهقي، وإسناده مرسل، والآجري (٤/ ١٧٧٧) وإسناده مرسل.

(٢) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨١٣).

(٣) «مصنف عبد الرزاق» (١٠/ ٣٢٩) نقلاً عن «فقه الإمام علي» (٢/ ٨١٣).

(٤) «فقه الإمام علي» (٢/ ٨١٣).

(٥) «المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة» ص (١٤٠) إسناده منقطع، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ٣٣) رقم (١٢٠٥٤).

(٦) «تاريخ الخلافة الراشدة»، لمحمد كنعان ص(٣٨٣).

**٥ – حب أهل البيت لعمر** رضي الله عنه: إن من دلالة محبة أهل البيت للفاروق رضي الله عنه تسمية أبنائهم باسمه؛ حبًا وإعجابًا بشخصيته(١)، وتقديرًا لما أتى به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة، ولما قدم إلى الإسلام من الخدمات الجليلة، وإقرارًا بالصلات الودية الوطيدة والتي تربطه بأهل بيت النبوة والرحم، والصهر القائم بينه وبينهم، فأول من سمى ابنه باسمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، سمى ابنه من أم حبيب بنت ربيعة البكرية عمر(٢)، وقد جاء في كتاب صاحب الفصول، تحت ذكر أولاد علي بن أبي طالب: وعمر من التغلبية، وهي الصهباء بنت ربيعة من السبي الذي أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر، وعمّر عمر هذا حتى بلغ خمسًا وثمانين سنة؛ فحاز نصف ميراث علي رضي الله عنه، وذلك أن جميع إخوته وأشقائه وهم عبد الله، وجعفر، وعثمان قتلوا جميعهم قبله مع الحسين رضي الله عنه – يعني أنه لم يقتل معهم – بالطف؛ فورثهم(٣)، هذا وتبعه حسن في ذلك الحب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فسمّى أحد أبنائه عمر أيضًا(٤)، وكذلك الحسين بن علي سمّى عمر، ومن بعد الحسين ابنه علي الملقب بزين العابدين سمّى أحد أبنائه باسم عمر(٥)، وكذلك موسى بن جعفر الملقب بالكاظم سمى أحد أبنائه باسم عمر(٦)، فهؤلاء الأئمة من أهل البيت الذين ساروا على هدي النبي ﷺ ومعالم منهج أهل السنة والجماعة بسيرتهم العطرة، يظهرون لعمر الفاروق ما يكنونه في صدورهم من حبهم وولائهم له بعد وفاته بمدة، وقد جرى هذا الاسم– وكذلك أبو بكر وعثمان– في ذرية أهل البيت ممن ساروا على مذهب الحق –وهو منهج أهل السنة والجماعة– إلى يومنا هذا، ونجد أسماء الصحابة وأمهات المؤمنين في البيوت الهاشمية التي التزمت بالكتاب والسنة، فقد سموا طلحة، وعبد الرحمن وعائشة وأم سلمة، ونحن ندعو الشيعة اليوم، إلى الاقتداء بعلي والحسن والحسين وسائر الأئمة من آل البيت، فيسمون بعض أبنائهم وبناتهم بأسماء الخلفاء الراشدين، وأمهات المؤمنين(٧)؟ نرجو ذلك.

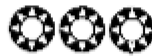
(١) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٢١٣)، و«الشيعة وأهل البيت» ص(١٣٣).
(٢) الفصول المهمة ص(١٤٣)، «الشيعة وأهل البيت» ص(١٣٣).
(٣) «الشيعة وأهل البيت» ص(١٣٣). (٤) المصدر نفسه ص(١٣٤). (٥، ٦) المصدر نفسه ص(١٣٥).
(٧) «اذهبوا فأنتم الرافضة»: لعبد العزيز الزبيري ص(٢٣٠).

### ٦ - عمر بن الخطاب جعله الله سببًا في ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب:

أعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه للحسين بن علي رضي الله عنهما من غنائم الفرس ابنة يزدجرد ملك الفرس، فولدت له زين العابدين علي بن الحسين الذي لم يبق من أبناء الحسين غيره، وكل ذرية الحسين تناسلوا منه وينسبون إليه[1]، فليحذر الذين يسبون عمر بن الخطاب ممن ينتسبون إلى الحسين، فلولاه بعد الله لما كان لهم وجود[2]، كما أن عمر رضي الله عنه أعطى أختها لمحمد ابن أبي بكر فكان عديلاً للحسين، وأنجبت له القاسم بن محمد بن أبي بكر، فكان القاسم ابن محمد بن أبي بكر، وعلي بن الحسين زين العابدين ابني خالة[3].

### ٧ - قول عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب في عمر[4]:

عن حفص بن قيس، قال: سألت عبد الله بن الحسن عن المسح على الخُفَّين، فقال: امسح، فقد مسح عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: فقلت: إنما أسألك أنت تمسح؟ قال: ذاك أعجزُ لك، أخبرك عن عمر وتسألني عن رأيي، فعمر كان خيرًا مني ومن ملء الأرض. فقلت: يا أبا محمد، فإن ناسًا يزعمون أنّ هذا منكم تقية، قال: فقال لي - ونحن بين القبر والمنبر - : اللهم إن هذا قولي في السر والعلانية، فلا تسمعنّ عَلَيَّ قول أحد بعدي. ثم قال: من هذا الذي يزعم أن عليًّا رضي الله عنه كان مقهورًا، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بأمر ولم ينفذه؟ وكفى بازدراءٍ على علي ومنقصة أن يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بأمر ولم ينفذه[5].



(١) «عمدة الطالب في أنساب أبي طالب»، الفصل الثاني عنوان (عقب الحسين) نقلاً عن: «اذهبوا فأنتم الرافضة» ص(٢٣٢).

(٢) «اذهبوا فأنتم الرافضة» ص(٢٣٢).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٥٤).

(٤) هو عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو محمد الهاشمي، كان ذا هيبة، ولسان وشرف وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز توفي سنة ١٤٥ «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٠٧)، و«تاريخ بغداد» (٩/ ٤٣١).

(٥) «النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب» لمحمد عبد الواحد المقدسي ص(٥٧).

## المبحث الثالث

## علي رضي الله عنه في عهد عثمان بن عفان

### أولاً: بيعة علي لعثمان رضي الله عنه:

لم يكد يفرغ الناس من دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى أسرع رهط الشورى وأعضاء مجلس الدولة الأعلى إلى الاجتماع في بيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وقيل: إنهم اجتمعوا في بيت فاطمة بنت قيس الفهرية، أخت الضحاك ابن قيس؛ ليقضوا في أعظم قضية عرضت في حياة المسلمين - بعد وفاة عمر - وقد تكلم القوم وبسطوا آراءهم واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمة سواء رضيها الخاصة والكافة من المسلمين[١]، وقد أشرف على تنفيذ عملية الشورى واختيار الخليفة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وحقق رضي الله عنه أول مظهر من مظاهر الشورى المنظمة في اختيار من يتحمل أعباء الخلافة، ويسوس أمور المسلمين، فهو قد اصطنع من الأناة والصبر والحزم وحسن التدريب ما كفل له النجاح في أداء مهمته العظمى[٢]، وقاد ركب الشورى بمهارة وتجرد، مما يستحق أعظم التقدير[٣]، قال الذهبي: ومن أفضل أعمال عبد الرحمن: عزل نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محابيًا فيها لأخذ لنفسه، أو لولاّها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص[٤].

وقد تم الاتفاق على بيعة عثمان بعد صلاة صبح يوم البيعة اليوم الأخير من شهر ذي الحجة ١٣هـ/٦ نوفمبر ٦٤٤م، وكان صهيب الرومي الإمام؛ إذ أقبل عبدالرحمن ابن عوف، وقد اعتم بالعمامة التي عممه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قد اجتمع رجال الشورى عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد، منهم: معاوية أمير الشام، وعمير بن سعد

(١) «عثمان بن عفان» للصادق عرجون، ص(٦٢، ٦٣).
(٢) المصدر نفسه ص(٧٠، ٧١).
(٣) «مجلة البحوث الإسلامية» العدد (١٠) ص(٢٥٥).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/٨٦).

أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير مصر، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر وصاحبوه إلى المدينة(١)، وجاء في رواية البخاري: فلما صلى للناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضرًا من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد -وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر- فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد يا عليُّ إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلا. فقال(٢): أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه الناس: المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون(٣)، وجاء في رواية صاحب «التمهيد والبيان»: أن علي بن أبي طالب أول من بايع بعد عبد الرحمن بن عوف(٤).

## ثانيا: أباطيل رافضية دست في قضية الشورى:

هناك أباطيل رافضية دست في التاريخ الإسلامي منها في قصة الشورى وتولية عثمان الخلافة، وقد تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها، وتأثر بها الكثير من المؤرخين والمفكرين والمحدثين، ولم يمحصوا الروايات ويحققوا في سندها ومتنها، فانتشرت بين المسلمين، لقد اهتم مؤرخو الشيعة الرافضة بقصة الشورى وتولية عثمان بن عفان الخلافة ودسوا فيها الأباطيل والأكاذيب، وألف جماعة منهم كتبًا خاصة، فقد ألف أبو مخنف كتاب الشورى، وكذلك ابن عقدة، وابن بابويه(٥)، ونقل ابن سعد تسع روايات من طريق الواقدي في خبر الشورى، وبيعة عثمان، وتاريخ توليه للخلافة(٦)، ورواية من طريق عبيد الله بن موسى تضمنت مقتل عمر وحصره للشورى في الستة، ووصيته لكل من علي وعثمان إذا تولى أحدهما أمر الخلافة، ووصيته لصهيب في هذا الأمر(٧)، وقد نقل البلاذري خبر الشورى وبيعة عثمان عن أبي مخنف(٨)، وعن هشام الكلبي

---

(١) «شهيد الدار» ص(٣٧).
(٢) قوله: فقال: أي عبد الرحمن مخاطبًا عثمان.
(٣) «البخاري»، كتاب الأحكام، رقم (٧٢٠٧).
(٤) «التمهيد والبيان» ص(٢٦).
(٥) «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» (٢٤٦/١٤).
(٦) «الطبقات الكبرى» (٦٣/٣)، (٦٧/٣).
(٧) المصدر السابق.
(٨) «أنساب الأشراف» (١٨/٥ ، ١٩).

منها مانقله عن أبي مخنف ومنها ما تفرد به[١]، وعن الواقدي[٢]، وعن عبيدالله ابن موسى[٣]، واعتمد الطبري في هذه القصة على عدة روايات منها رواية أبي مخنف[٤]، ونقل ابن أبي الحديد بعض أحداث قصة الشورى من طريق أحمد بن عبد العزيز الجوهري[٥]، وأشار إلى نقله عن كتاب (الشورى) للواقدي[٦]، وقد تضمنت الروايات الشيعية الرافضية عدة أمور مدسوسة ليس لها دليل من الصحة، وهي:

### ١ - اتهام الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين:

اتهمت الروايات الشيعية الرافضية الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين، وعدم رضا علي بأن يقوم عبد الرحمن باختيار الخليفة، فقد ورد عند أبي مخنف وهشام الكلبي عن أبيه وأحمد الجوهري أن عمر جعل ترجيح الكفتين إذا تساوتا بعبد الرحمن بن عوف، وأن عليًّا أحس بأن الخلافة قد ذهبت منه؛ لأن عبد الرحمن سيقدم عثمان للمصاهرة التي بينهما[٧]، وقد نفى ابن تيمية أي ارتباط في النسب القريب بين عثمان وعبد الرحمن فقال: فإن عبد الرحمن ليس أخا لعثمان ولا ابن عمه ولا من قبيلته أصلاً؛ بل هذا من بني زهرة وهذا من بني أمية، وبنو زهرة إلى بني هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بني أمية، فإن بني زهرة أخوال النبي ﷺ ، ومنهم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص الذي قال له النبي ﷺ : «**هذا خالي، فليرني امرؤ خاله**»[٨]، فإن النبي ﷺ لم يؤاخ بين مهاجري ومهاجري ولا بين أنصاري وأنصاري، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار؛ فآخى بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الأنصاري[٩]، وحديثه مشهور ثابت في الصحاح وغيرها، يعرفه أهل العلم بذلك[١٠]، وقد بنت الروايات الشيعية الرافضية محاباة عبدالرحمن لعثمان للمصاهرة التي كانت

---

(١، ٢) «أنساب الأشراف» (٥/ ١٨، ١٩).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ٦).
(٤) «أثر التشيع على الروايات التاريخية» ص(٣٢١).
(٥) «شرح نهج البلاغة» (٩/ ٤٩، ٥٠، ٥٨).
(٦) «شرح نهج البلاغة» (٩/ ١٥).
(٧) «أثر التشيع على الروايات التاريخية» ص(٣٢٢).
(٨) «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٢٢٠) رقم(٤٠١٨).
(٩) «البخاري»: كتاب مناقب الأنصار رقم (٣٧٨٠).
(١٠) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٢٧١ - ٢٧٢).

بينهما، متناسية أن قوة النسب أقوى من المصاهرة من جهة، ومن جهة أخرى تناسوا طبيعة العلاقة بين المؤمنين في الجيل الأول وأنها لا تقوم على نسب ولا مصاهرة، وأما كيفية المصاهرة التي كانت بين عبد الرحمن وعثمان فهي أن عبد الرحمن تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت الوليد(١).

**٢ - حزب أموي وحزب هاشمي:** أشارت رواية أبي مخنف إلى وقوع مشادة بين بني هاشم وبني أمية أثناء المبايعة وهذا غير صحيح، ولم يرد ذلك برواية صحيحة ولا ضعيفة(٢)، وقد انساق بعض المؤرخين خلف الروايات الشيعية الرافضية لحاجة في نفوسهم مع بطلانها سندًا ومتنًا من جهة، وثبوت روايات صحيحة تناقض ما ذهبوا إليه من جهة أخرى، وبنوا تحليلاتهم الخاطئة على تلك الروايات فصوَّروا تشاور أصحاب الرسول ﷺ في تحديد الخليفة الجديد بصورة الخلاف العشائري، وأن الناس قد انقسموا إلى حزبين: حزب أموي وحزب هاشمي، وهو تصور موهوم، واستنتاج مردود لا دليل عليه؛ إذ ليس نابعًا من ذلك الجو الذي كان يعيشه أصحاب رسول الله ﷺ، حينما كان يقف المهاجري مع الأنصاري ضد أبيه وأخيه وابن عمه وبني عشيرته، وليس نابعًا من تصور هؤلاء الصحب وهم يضحون بكل شيء من حطام الدنيا في سبيل أن يسلم لهم دينهم، ولا من المعرفة الصحيحة لهؤلاء النخبة من المبشرين بالجنة، فالأحداث الكثيرة التي رويت عن هؤلاء تثبت أن هؤلاء كانوا أكبر بكثير من أن ينطلقوا من هذه الزاوية الضيقة في معالجة أمورهم، فليست القضية تمثيل عائلي أو عشائري، فهم أهل شورى لمكانتهم في الإسلام(٣).

**٣- أكاذيب نسبت زورًا وبهتانًا لعلي رضي الله عنه:**

قال ابن كثير: وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون أن عليًّا قال لعبد الرحمن: خدعتني، وإنك إنما وليته؛ لأنه صهرك

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٣/١٢٧).

(٢) «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» ص(١٧٧، ١٧٨).

(٣) «الخلفاء الراشدون»، أمين القضاة ص(٧٨، ٧٩).

وليشاورك كل يوم في شأنه وأنه تلكأ حتى قال عبدالرحمن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ١٠). إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح فهي مردودة على قائليها وناقليها والله أعلم. والمظنون من الصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار، وضعيفها، ومستقيمها وسقيمها[(١)].

## ثالثًا: المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما:

الذي عليه أهل السنة: إن من قدم عليًّا على أبي بكر وعمر فإنه ضال مبتدع، ومن قدم عليًّا على عثمان فإنه مخطئ ولا يضللونه، ولا يبدعونه[(٢)]. وإن كان بعض أهل العلم قد تكلم بشدة على من قدم عليًّا على عثمان بأنه قال: من قدم عليًّا على عثمان فقد زعم أن أصحاب رسول الله ﷺ خانوا الأمانة؛ حيث اختاروا عثمان على علي رضي الله عنه[(٣)]، وقد قال ابن تيمية: استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان، وإن كانت هذه المسألة ـ مسألة عثمان وعلي- ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله[(٤)]، وذكر أقوال أهل العلم في مسألة تفضيل علي على عثمان: فقال: فيها روايات: إحداهما: لا يسوغ ذلك، فمن فضل عليًّا على عثمان خرج من السنة إلى البدعة؛ لمخالفته لإجماع الصحابة، ولهذا قيل: من قدم عليًّا على عثمان، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، يروى ذلك عن غير واحد، منهم أيوب السختياني وأحمد ابن حنبل والدارقطني، والثانية: لا يبدع من قدم عليًّا؛ لتقارب حال عثمان وعلي[(٥)].

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ١٥٢).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٠١، ١٠٢).
(٣) «حقبة من التاريخ» لعثمان الخميس ص(٦٦).
(٤) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٠١، ٢٠١).
(٥) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٦٧).

## رابعًا: علي رضي الله عنه يقيم الحدود ويستشار في شؤون دولة عثمان رضي الله عنه:

**١ - إقامة علي للحدود في عهد عثمان رضي الله عنهم:** عن حصين بن المنذر، قال: شهدت عثمان بن عفان، وقد أتي بالوليد فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه لم يتقيأ، فقال عثمان: إنه لم يتقيأ حتى شربها، فقال: ياعلي قم فاجلده، فقال علي: قم يا حسن فاجلده، فقال: الحسن وَلِّ حارّها من تولى قارّها[1]، فكأنه وجد عليه، فقال: يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده، فجلده وعلي يعد، حتى بلغ أربعين، فقال: أمسك، ثم قال: جلد النبي ﷺ أربعين، وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة، وهذا أحب إليّ[2]، ويؤخذ من هذا الحديث بأن عليًا رضي الله عنه كان قريبًا من عثمان، ومعينًا له على طاعة الله، وكان علي رضي الله عنه يقول- في معرض دفاعه عن عثمان ردًا على من يعيب على عثمان بالفعل المنسوب للوليد-: إنكم ما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقتل رِدَاءَه[3]، ما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بفعله وعزله عن عمله، وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا[4].

**٢ - استشارة عثمان لعلي وكبار الصحابة في فتح إفريقية:**

جاء في «رياض النفوس» أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان جاءه من واليه على مصر «عبدالله بن سعد» أن المسلمين يغيرون على أطراف إفريقية؛ فيصيبون من عدوهم، وأنهم قريبون من حَوْزِ المسلمين، فأعرب عثمان بن عفان رضي الله عنه - على أثر ذلك - للمسور ابن مخرمة عن رغبته في بعث الجيوش لغزو إفريقية. جاء في هذا الصدد ما نصه: فما رأيك يا بن مخرمة؟ قلت: اغزهم. قال: أجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ، وأستشيرهم، فما أجمعوا عليه فعلته، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته.. ائت عليًا، وطلحة والزبير

(١) أي: ول بشدتها وأوساخها من تولى هنيئها ولذاتها.
(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم»، كتاب الحدود (١١/٢١٦).
(٣) الرداء: هو العون، «تاريخ الطبري» (٥/٢٧٨).
(٤) «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (١/٤٢١)

والعباس، وذكر رجالاً، فخلا بكل واحد منهم في المسجد، ثم دعا أبا الأعور «سعيد بن زيد» فقال له عثمان: لم كرهت - يا أبا الأعور - من بعثة الجيوش إلى إفريقية؟ فقال له: سمعت «عمر» يقول: لا أغزيها أحداً من المسلمين ما حملت عيناتي الماء. فلا أرى لك خلاف عمر، فقال له عثمان: والله ما نخافهم وإنهم لراضون أن يقروا في مواضعهم، فلا يغزون، فلم يختلف عليه أحد ممن شاوره غيره، ثم خطب الناس، وندبهم إلى الغزو إلى إفريقية، فخرج بعض الصحابة منهم عبدالله بن الزبير، وأبو ذر الغفاري[1].

### ٣ - رأي علي في جمع عثمان الناس على قراءة واحدة:

جمع عثمان رضي الله عنه المهاجرين والأنصار وشاورهم في الأمر وفيهم أعيان الصحابة وفي طليعتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعرض عثمان رضي الله عنه هذه المعضلة على صفوة الأمة وقادتها الهادين المهديين، ودارسهم أمرها ودارسوه، وناقشهم فيها وناقشوه، حتى عرف رأيهم وعرفوا رأيه، وظهر للناس في أرجاء الأرض ما انعقد عليه إجماعهم، فلم يعرف قط يومئذ لهم مخالف، ولا عرف عن أحد نكير، وليس شأن القرآن الذي يخفى على آحاد الأمة فضلاً عن علمائها وأئمتها البارزين[2]، إن عثمان رضي الله عنه لم يبتدع في جمعه المصحف، بل سبقه إلى ذلك أبوبكر الصديق رضي الله عنه، كما أنه لم يضع ذلك من قبل نفسه إنما فعله عن مشورة للصحابة رضي الله عنهم، وأعجبهم هذا الفعل وقالوا: نعم ما رأيت، وقالوا أيضاً: قد أحسن - أي في فعله في المصاحف[3]- وقد أدرك مصعب بن سعد صحابة النبي صلى الله عليه وسلم حين مشق[4] عثمان المصاحف، فرآهم قد أعجبوا بهذا الفعل منه[5]، وكان علي رضي الله عنه ينهى من يعيب على عثمان رضي الله عنه بذلك ويقول: يأيها

---

(١) «رياض النفوس» (١/ ٨ - ٩)، و«الجهاد والقتال»، لهيكل (١/ ٥٥٦).
(٢) «عثمان بن عفان»، لصادق عرجون ص(١٧٥).
(٣) «فتنة مقتل عثمان» (١/ ٧٨).
(٤) مَشَقَ في الكتابة: مدَّ حروفها وجودها. انظر: الوجيز مادة «مَشَق».
(٥) «التاريخ الصغير» للبخاري (١/ ٩٤)، وإسناده حسن لغيره.

الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً - أو قولوا خيراً - فوالله ما فعل الذي فعل - أي في المصاحف - إلا عن ملأ منا جميعًا -أي الصحابة- والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل[١]، وجاء في رواية أخرى عن علي رضي الله عنه قوله: لما اختلف الناس في القرآن وبلغ ذلك عثمان جمعنا أصحاب رسول الله ﷺ واستشارنا في جمع الناس على قراءة، فأجمع رأينا مع رأيه على ذلك وقال بعد ذلك: لو وليت الذي ولي، لصنعت مثل الذي صنع[٢].

## خامسًا: موقف علي رضي الله عنه في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه:

كانت هناك أسباب متنوعة ومتداخلة ساهمت في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه؛ كالرخاء وأثره في المجتمع، وطبيعة التحول الاجتماعي، ومجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهما، وخروج كبار الصحابة من المدينة، والعصبية الجاهلية، وتآمر الحاقدين، والتدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، واستخدام الوسائل والأساليب المهيجة للناس، وأثر السبئية في أحداث الفتنة، وقد فصلت وشرحت تلك الأسباب في كتابي «تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان ابن عفان شخصيته وعصره».

لقد استخدم أعداء الإسلام في فتنة مقتل عثمان الأساليب والوسائل المهيجة للناس، من إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيراً، والتحريض، والمناظرة والمجادلة للخليفة أمام الناس، والطعن على الولاة، واستخدام تزوير الكتب واختلاقها على لسان الصحابة رضي الله عنهم، عائشة وعلي وطلحة والزبير، والإشاعة بأن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الأحق بالخلافة، وأنه الوصي بعد رسول الله ﷺ، وتنظيم فرق في كل من البصرة والكوفة ومصر، أربع فرق من كل مصر مما يدل على التدبير المسبق، وأوهموا أهل المدينة أنهم ما جاؤوا إلا بدعوة الصحابة، وصعدوا الأحداث حتى وصل إلى القتل[٣]، وإلى

---

(١) «فتح الباري» (٩/١٨)، وإسناده صحيح.

(٢) «سنن أبي داود»، كتاب المصاحف ص(٢٩ - ٣٠)، وإسناده صحيح و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعلي عبدالحميد ص(٨٠).

(٣) «دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة» ص(٤٠١).

جوار هذه الوسائل، استخدموا مجموعة من الشعارات؛ منها التكبير، ومنها أن جهادهم هذا ضد المظالم، ومنها أنهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها المطالبة باستبدال الولاة وعزلهم، ثم تطورت المطالبة إلى خلع عثمان، إلى أن تمادوا في جرأتهم وطالبوا بل سارعوا إلى قتل الخليفة، وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة، فزادهم حماسهم المحموم لتضييق الخناق على الخليفة، والتشوق إلى قتله بأي وسيلة(١).

كان التنظيم السبئي بقيادة عبدالله بن سبأ اليهودي خلف تلك الأحداث والتي بعدها وسيأتي الحديث عنه بإذن الله، وعن عثمان الذي هز مقتله العالم الإسلامي، وأثر في كثير من الأحداث إلى يومنا هذا.

## ١ - موقف علي رضي الله عنه في بداية الفتنة:

استمر علي رضي الله عنه في طريقته المعهوده مع الخلفاء، وهي السمع والطاعة والإدلاء بالمشورة والنصح، وقد عبر بنفسه عن مدى طاعته للخليفة عثمان والتزام أمره ولو كان شاقًا بقوله: لو سيرني عثمان رضي الله عنه إلى صرار لسمعت وأطعت(٢)، وعندما نزل المتمردون في ذي المروة قبل مقتل عثمان رضي الله عنه بما يقارب شهرًا ونصفًا، أرسل إليهم عثمان عليًا رضي الله عنه ورجلاً آخر لم تسمه الروايات، والتقى بهم علي رضي الله عنه فقال لهم: تعطون كتاب الله، وتعتبون من كل ما سخطتم، فوافقوا على ذلك(٣)، وفي رواية أنهم شادُّوه وشادهم مرتين أو ثلاثًا، ثم قالوا: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله فقبلوا(٤)، فاصطلحوا على خمس: على أن المنفي يقلب، والمحروم يعطى، ويوفر الفيء، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة، وكتبوا ذلك في كتاب، أن يرد ابن عامر على البصرة، وأن يبقى أبوموسى على الكوفة(٥)،

(١) «دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة» ص(٤٠٢).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٢٢٥) سنده صحيح.

(٣) «تاريخ دمشق» ترجمة عثمان ص(٣٢٨)، و«تاريخ خليفة» ص(١٦٩).

(٤) «فتنة مقتل عثمان» (١/ ١٢٩).

(٥) المصدر نفسه (١/ ١٢٩).

وهكذا اصطلح عـثمـان رضي الله عنه مع كل وفد على حـده، ثم انصرفت الوفـود إلى ديارها[١]، وبعد هذا الصلح وعودة أهـل الأمصار جميعًـا راضين؛ تبين لمشعلي الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدنيئة لم تتحقق، لذا خططوا تخطيطًا آخر يذكي الفتنة ويحييها، يقتضي تدمير مـا جرى من صلح بين أهل الأمصار، وعثمان رضي الله عنه وبـرز ذلك فيما يأتي: في أثناء طريق عودة أهل مصـر، رأوا راكبًا على جمل يتـعرض لهم، ويفارقـهم - فكأنه يقول: خذوني -فـقبضـوا عليه، وقالوا له: مالك؟، قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله، ولَمّا فتحوا الكتاب؛ فإذا فـيه أمر بصلبهم أو قـتلهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجـعوا إلى المدينة حتى وصلوها[٢]، ونفى عثـمان رضي الله عنه أن يكون كتب هذا الكتـاب، وقال لهم: إنهما اثنتان: أن تقـيموا رجلين من المسلمين، أو يمين بالله الذي لا إله إلا هو ما كتـبت، ولا أمليت، ولا علمت، وقد يكتب الكتاب عـلى لسان الرجل وينقش الخاتم، فلم يصدقوه[٣] -وهو الصادق البار- لغاية في نفوسهم.

وهذا الكتاب الذي زعـم هؤلاء المتمردون البـغاة المنحرفـون أنه من عثـمان وعليه خاتمه ويحمله غلامه على واحـد من إبل الصدقة إلى عامله بمصر ابن أبي سرح، يأمـر فيـه بقتل هؤلاء الخـارجين، هو كتـاب مزور مكذوب علـى لسان عثمان، وذلك لعـدة أمور منها[٤]: كيف علم العـراقيون بالأمر وقـد اتجهوا إلى بلادهم، وفـصلتهم عن المـصريين -الذين أمـسكوا بالكتـاب المزعوم - مـسافـة شاسعة؟ فالعراقيون في الشرق والمصريون في الغرب، ومع ذلك عادوا جميعًا في آن واحـد، كـأنما كانـوا على ميـعـاد!، لا يعـقل هذا إلا إذا كـان الذين زوّروا الكتاب، واستأجـروا راكبًا ليحمله، ويمثل الدور في البُـوَيْبَ أمام المصريين، قد استأجروا راكبًا آخر انطلق إلى العراقيين ليخـبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتابًا بعث به عثـمان لقتل المنحـرفين المصريين، وهذا ما احـتج به علي بن أبي طالب

(١) «فتنة مقتل عثمان» (١/ ٣٢٩).
(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٧٩).
(٣) «فتنة مقتل عثمان» (٥/ ١٣٢)، و«البداية والنهاية» (٧/ ١٩١).
(٤) «تيسير الكريم المنّان في سيرة عثمان بن عفان» للصلّابي ص(٤١٠).

رضي الله عنه فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا؟[١]، بل إن عليًا يجزم: هذا والله أمر أبرم بالمدينة[٢].

إن هذا الكتاب المشؤوم ليس أول كتاب يزوِّره هؤلاء المجرمون، بل زوَّروا كتبًا على لسان أمهات المؤمنين، وكذلك على لسان علي وطلحة والزبير، فهذه عائشة رضي الله عنها تُتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان فتنفي وتقول: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا[٣]، ويعقب الأعمش فيقول: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها[٤]، ويتهم الوافدون عليًا بأنه كتب إليهم أن يقدموا عليه بالمدينة، فينكر ذلك عليهم ويقسم: والله ما كتبت إليكم كتابًا[٥]، كما ينسب إلى الصحابة بكتابة الكتب إلى أهل الأمصار يأمرونهم بالقدوم إليهم فدين محمد قد فسد وترك، والجهاد في المدينة خير من الرباط في الثغور البعيدة[٦]، ويعلق ابن كثير على هذا الخبر قائلاً: وهذا كذب على الصحابة، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم، فقد كتب من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج ـ قتلة عثمان ـ كُتُبٌ مزورة عليهم أنكروها، وكذلك زُوِّرَ هذا الكتاب على عثمان أيضًا، فإنه لم يأمر به، ولم يعلم به[٧].

ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبري وخليفة من استنكار كبار الصحابة ـ علي وعائشة والزبير ـ أنفسهم لهذه الكتب في أصحِّ الروايات[٨]، إن الأيدي المجرمة التي زوَّرت الرسائل الكاذبة على لسان أولئك الصحابة هي نفسها التي أوقدت نار الفتن من أولها إلى آخرها، ورتبت ذلك الفساد العريض، وهي التي زورت وروَّجت على عثمان تلك الأباطيل، وإنه فعل وفعل، ولقنتها للناس، حتى قبلها

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٥٩).
(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٥٩).
(٣) «تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٣٣٤).
(٤) «تاريخ خليفة ابن خياط» ص(١٦٩).
(٥) «تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٣٣٥)، و«البداية والنهاية» (٧/ ١٩١).
(٦) «تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٣٣٥)، و«البداية والنهاية» (٧/ ١٧٥).
(٧) «البداية والنهاية» (٧/ ١٧٥).
(٨) «تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٣٣٥).

الرعاع، ثم زورت على لسان عثمان ذلك الكتاب؛ ليذهب عثمان ضحية إلى ربه شهيدًا سعيدًا، ولم يكن عثمان الشهيد هو المجني عليه وحده في هذه المؤامرة السبئية اليهودية، بل الإسلام نفسه كان مجنيًّا عليه قبل ذلك، ثم التاريخ المشوَّه المحرَّف، والأجيال الإسلامية التي تلقت تاريخها مشوَّها هي كذلك ممن جنى عليهم الخبيث اليهودي، وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحقد الدفين، أما آن للأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق، وسير رجالاتها العظام؟ بل ألم يأن لمن يكتب في هذا العصر من المسلمين، أن يخاف الله ولا يتجرأ على تجريح الأبرياء قبل أن يحقق ويدقق حتى لا يسقط كما سقط غيره؟؟![1].

## ٢. موقف علي رضي الله عنه أثناء الحصار:

اشتد الحصار على عثمان رضي الله عنه، حتى منع من أن يحضر للصلاة في المسجد، وكان صابرًا على هذه البلوى التي أصابته كما أمره رسول الله ﷺ بذلك، وكان مع إيمانه القوي بالقضاء والقدر، يحاول أن يجد حلاًّ لهذه المصيبة، فنراه تارة يخطب الناس عن حرمة دم المسلم، وأنه لا يحل سفكه إلا بحقه، وتارة يتحدث في الناس ويظهر فضائله وخدماته الجليلة في الإسلام، ويستشهد على ذلك ببقية العشرة رضي الله عنهم[2] وكأنه يقول: من هذا عمله وفضله هل من الممكن أن يطمع في الدنيا ويقدمها على الآخرة؟، وهل يعقل أن يخون الأمانة ويعبث بأموال الأمة ودمائها وهو يعرف عاقبة ذلك عند الله، وهو الذي تربى على عين النبي ﷺ والذي شهد له وزكاه وكذلك أفاضل الصحابة، أهكذا تكون معاملته؟! واشتدت سيطرة الثوار على المدينة حتى إنهم ليصلون بالناس في أغلب الأوقات[3]. وحينها أدرك الصحابة أن الأمر ليس كما حسبوا، وخشوا من حدوث ما لا يحمد عقباه، وقد بلغهم أن القوم يريدون قتله، فعرضوا عليه أن يدافعوا عنه، ويخرجوا الغوغاء عن المدينة، إلا أنه رفض أن يراق دم بسببه[4]،

---

(١) «عثمان بن عفان الخليفة» الشاكر الصابر ص(٢٢٨، ٢٢٩).

(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبدالحميد علي ص(٨٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٥١٥).

(٤) «فتنة مقتل عثمان» (١/ ١٦٧) و«المسند» (١/ ٣٩٦) أحمد شاكر.

وأرسل كبار الصحابة أبناءهم دون استشارة عثمان ﷺ، ومن هؤلاء الحسن بن علي ﷺ، وعبدالله بن الزبير، حيث تذكر بعض الروايات أن الحسن حمل جريحًا من الدار يوم الدار[١]، كما جرح غير الحسن، عبدالله ابن الزبير، ومحمد ابن حاطب ومروان بن الحكم، كما كان معهم الحسين بن علي وابن عمر ﷺ[٢]، وقد كان علي من أدفع الناس عن عثمان ﷺ، وشهد له بذلك مروان ابن الحكم[٣]، أقرب الناس إلى عثمان ﷺ، وألصقهم به في تلك المحنة القاسية الأليمة، وقد أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبدالله ﷺ: إن عليًا أرسل إلى عثمان فقال: إن معي خمسمائة دارع، فأذن لي؛ فأمنعك من القوم؛ فإنك لم تحدث شيئًا يستحل به دمك، فقال: جزيت خيرًا، ما أحب أن يهراق دم بسببي[٤]، وقد وردت روايات عديدة تفيد وقوفه بجانب عثمان ﷺ أثناء الحصار، فمن ذلك: أن الثائرين منعوا عن عثمان الماء حتى كاد أهله أن يموتوا عطشًا، فأرسل علي ﷺ إليه بثلاث قرب مملوءة ماء، فما كادت تصل إليه، وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصلت[٥]، ولقد تسارعت الأحداث فوثب الغوغاء على عثمان وقتلوه ﷺ وأرضاه، ووصل الخبر إلى الصحابة وأكثرهم في المسجد، فذهبت عقولهم، وقال علي لأبنائه وأبناء إخوانه: كيف قتل عثمان وأنتم على الباب؟ ولطم الحسن - وكان قد جرح -[٦] وضرب صدر الحسين، وشتم ابن الزبير وابن طلحة، وخرج غضبان إلى منزله ويقول: تبًا لكم سائر الدهر، اللهم إني أبرأ إليك من دمه أن أكون قتلت أو مالأت على قتله[٧]، وهكذا كان موقف علي ﷺ، نصح وشورى، سمع وطاعة، وقفة قوية بجانبه أثناء الفتنة، ومن أدفع الناس عنه، ولم يذكره بسوء قط، يحاول الإصلاح وسد الخرق بين الخليفة والخارجين عليه، لكن الأمر فوق

---

(١) «الطبقات» لابن سعد (٨/١٢٨) بسند صحيح. (٢) «تاريخ خليفة» ص(١٧٤).

(٣) «تاريخ الإسلام» للذهبي، و«الخلفاء الراشدون» ص(٤٦٠ ـ ٤٦١)، وإسناده قوي.

(٤) «تاريخ دمشق» ص(٤٠٣). (٥) «أنساب الأشراف» للبلاذري (٥/٦٧).

(٦) ابن أبي عاصم «الآحاد والمثاني» (١/١٢٥) نقلاً عن «خلافة علي» ص(٨٧).

(٧) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/٢٠٩)، وإسناده صحيح.

طاقتـه، وخارج إرادته إنها إرادة الله عز وجل أن يفـوز أمير المؤمنين عثـمان ابن عفان رضي الله عنه بالشهادة[1].

### ٣- المصاهرات بين آل عليٍ وآل عثمان رضي الله عنهم:

لم يكن بين بني هاشم وبني أمية من المباغضة والعـداوة والمنافرة التي اخترعها وابتكرها أعداء الإسلام والمسلمين ونسجوا الأساطير والقصص حولها، ولقد اتضح لكل منصف أن بني أميـة مع بني هاشم علاقتـهم فيما بـينهم علاقة أبناء العمـومة والإخوان والخـلان، فهم من أقـرب الناس فيـما بينهم، يتـبادلون الحب والتـقدير والاحترام، ويتقاسمون الهـموم والآلام والأحزان، فبنو أمية وبنو هاشم كلهم أبناء أب واحد، وأحفاد جد واحد، وأغصان شجرة واحدة قبل الإسلام وبعد الإسلام، وكلهم اسـتقـوا من عين واحدة ومنبع صـاف واحد، وأخـذوا الثمـار من دين الله الحنيف الذي جـاء به رسـول الله الصادق الأمـين، المعلم، المربي، خـاتم الأنبيـاء والمرسلين، ولقد كان بين أبي سـفيان وبين العباس صداقة يضـرب بها الأمثال[2]، كما كانت بينهم المصاهرات قـبل الإسلام وبعده، فلقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بناته الثلاثة من الأربعة من بني أميـة، من أبي العاص بن الربيع وهو من بني أمية، ومن عثمـان بن عفان بن أبي العـاص بن أمية، وهو مع ذلك ابن بنت عـمة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ولدت مع والد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن عبدالمطلب توءمين أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس وهي أم عـثمان وأمها أم حكيم وهي البيضاء بنت عبدالمطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم ، هذا ولقد تزوج بعد عثمان بن عفان رضي الله عنه من بني هاشم ابنه أبان بن عـثمان، وكـانت عنده أم كلثوم بنت عـبدالله بن جعـفر (الطيار) ابن أبي طالب شقيق علي رضي الله عنه[3]، وحفيدة علي وبنت الحسين وسكينة كانت متزوجة من حفيد عثمان زيد بـن عمرو بن عثمان رضي الله عنهم أجمعين، وحفيدة علي الثانية وابنة الحسين وفاطمـة كانت متزوجة من حفيد عثمـان الآخر، محمد

(١) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبدالحميد علي ص(٨٧).
(٢) «الشيعة وأهل البيت» ص(١٤٦).
(٣) «المعارف» للدينوري ص٨٦، و«الشيعة وأهل البيت» ص(١٤١).

ابن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وكانت أم حبيبة بنت أبي سفيان سيد بني أمية متزوجة من سيد بني هاشم وسيد ولد آدم رسول الله ﷺ الصادق الأمين كما هو معروف، كما أن هند بنت أبي سفيان كانت متزوجة من الحارث ابن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم فولدت له ابنه محمداً[(١)].

وتزوجت لبابة بنت عبيدالله بن عباس بن عبد المطلب، العباس بن علي ابن أبي طالب، ثم خلف عليها الوليد بن عتبة (ابن أخ معاوية) ابن أبي سفيان[(٢)]، وتزوجت رملة بنت محمد بن جعفر ـ الطيار ـ بن أبي طالب سليمان بن هشام بن عبدالملك (الأموي) ثم أبا القاسم بن وليد بن عتبة بن أبي سفيان[(٣)]، وكذلك تزوجت ابنة علي بن أبي طالب رملة من ابن مروان بن الحكم[(٤)] بن أبي العاص بن أمية، فقد كانت رملة بنت علي عند أبي الهياج. ثم خلف عليها معاوية بن مروان بن الحكم بن أبي العاص[(٥)]، وتزوجت حفيدة علي بن أبي طالب من حفيد مروان بن الحكم؛ فنفيسة بنت زيد بن الحسن بن علي ابن أبي طالب تزوجها الوليد بن عبدالملك بن مروان فتوفيت عنده، وأمها لبابة بنت عبدالله ابن عباس[(٦)]، وقد اكتفيت ببيان بعض منها، وفيها كفاية لمن أراد الحق والتبصر[(٧)].

## سادساً: من أقوال علي في الخلفاء الراشدين:

إن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ قد أجمع على صحتها وانعقادها الصحابة الكرام، ومن طعن في أحد منهم فقد خالف قول الله تعالى: **﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾** (النساء: ١١٥)، وقول النبي ﷺ: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»** فهم أبوبكر وعمر وعثمان

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٥/١٥)، و«الإصابة» (٣/٥٨، ٥٩).
(٢) «نسب قريش» ص(١٣٣)، و«الشيعة وأهل البيت» ص(١٤٣).
(٣) «الشيعة وأهل البيت» ص(١٤٣).
(٤) المصدر نفسه ص(١٤٣).
(٥) «جمهرة أنساب العرب» ص(٨٧)، و«نسب قريش» ص(٤٥).
(٦) «طبقات ابن سعد» (٥/٢٣٤).
(٧) «الشيعة وأهل البيت» ص(١٤٤).

وعلي رضي الله عنهم ومن اتبعهم بإحسان[١]، وما أحسن ما قاله أيوب السختياني في هذا المقام، حيث قال: من أحب أبابكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله عز وجل، ومن أحب عليًّا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول في أصحاب محمد فقد برئ من النفاق[٢]. قال الشاعر:

إِنّي رَضِيتُ عليًّا قُدْوةً عَلَمًا
كَمَا رَضِيتُ عَتِيقًا صَاحِبَ الغَارِ
وَقَدْ رضِيتُ أبَا حَفْصٍ وَشِيعَتَهُ
وَمَا رَضِيتُ بِقَتْلِ الشَّيْخِ فِي الدَّارِ
كُلُّ الصَّحَابَةِ عِنْدي قُدْوَةٌ عَلَمٌ
فَهَلْ عَلَيَّ بِهَذَا القَوْلِ مِنْ عَارِ
إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنّي لاَ أُحِبُّهُمْ
إلاَّ لِوَجْهِكَ أَعْتِقْنِي مِنَ النَّارِ[٣]

هذا وقد جاءت الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة في العلاقة المتميزة بين علي والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وقد تمّ توضيح ذلك في الصفحات الماضية، وهذه بعض الأدلة نضيفها إلى ما سبق من براهين ساطعة على مكانة الخلفاء الراشدين عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

### ١. سيدا كهول أهل الجنة وشبابها:

عن علي رضي الله عنه قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأقبل أبوبكر وعمر، فقال: ياعليُّ، هذان سيدا كهول أهل الجنة، وشبابها، بعد النبيين والمرسلين[٤].

---

(١) «الشريعة» للآجري (٤/١٧٦٨). (٢) المصدر نفسه (٤/ ١٧٧٢ ، ١٧٧٣). (٣) «الشريعة» (٥/٢٥٣٦).

(٤) «مسند أحمد الموسوعة الحديثية» رقم (٦٠٢)، حديث صحيح وهذا إسناد حسن.

## ٢ـ ما أضمر لهما إلا الذي أتمنى المضي عليه:

عن سويد بن غفلة، قال: مررتُ بنفر من الشيعة يتناولون أبابكر وعمر، فدخلت على علي فقلت: يا أمير المؤمنين، مررت بنفر من أصحابك آنفًا يتناولون أبابكر وعمر بغير الذي هما له من هذه الأمة أهل، فلولا أنك تُضْمِرُ على مثل ما أعلنوا عليه ما تجرؤوا على ذلك. فقال علي: ما أضمر لهما إلا الذي أتمنى المُضيَّ عليه، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل. ثم نهض دامع العين يبكي، قابضًا على يدي حتى دخل المسجد، فصعد المنبر وجلس عليه متمكنًا قابضًا على لحيته ينظر فيها وهي بيضاء، حتى اجتمع له الناس، ثم قام فخطب خطبة موجزة بليغة، ثم قال: ما بال قوم يذكرون سَيِّدَي قريش وأبوي المسلمين؟ أنا مما قالوا بريءٌ، وعلى ما قالوا مُعاقِبٌ، ألا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا فاجر رديّ، صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان وما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله ﷺ، ولا كان رسول الله يرى بمثل رأيهما، ولا يحب كحبهما أحدًا، قبض رسول الله ﷺ وهو عنهما راضٍ، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون، أمر رسول الله أبابكر لصلاة المؤمنين فصلىَّ بهم تسعة أيام[١] في حياة رسول الله ﷺ، فلما قبض الله تعالى نبيه ﷺ واختار له ما عنده، ولاَّه المؤمنون أمرهم، وقضوا إليه الزكاة؛ لأنهما مقرونتان، ثم أعطوه البيعة طائعين غير كارهين، أنا أول من سَنَّ ذلك من بني عبدالمطلب، وهو لذلك كاره يودُّ أنّ أحدنا كفاه ذلك، وكان والله خير من بقي، أرحمه رحمة، وأرأفه رأفة، وأثبته ورعًا، وأقدمه سنًّا وإسلامًا. فسار فينا سيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك، ثم ولى عمر الأمر من بعده، فمنهم من رضي، ومنهم من كره، فلم يفارق الدنيا حتى رضي به من كان كرهه، فأقام الأمر على منهاج النبي ﷺ وصاحبه، يتبع آثارهما كتباع الفصيل[٢]، أمه، وكان والله رفيقًا رحيمًا، وللمظلومين عونًا راحمًا وناصرًا، لا

---

(١) في الأصل سبعة، وورد تصويبها في الهامش. (٢) الفصيل: ولد الناقة إذا فُصل عن أمه.

يخاف في الله لومة لائم، ضرب الله بالحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه، حتى كنا نظن أن ملكًا ينطق على لسانه، أعزّ الله بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته للدين قوامًا، ألقى الله تعالى له في قلوب المنافقين الرّهبة، وفي قلوب المؤمنين المحبة. . إلى أن قال: فمن لكم بمثلهما ـ رحمة الله عليهما ـ ورزقنا المضيّ على سبيلهما؛ فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع آثارهما والحبّ لهما، ألا فمن أحبّني فليُحبهما، ومن لم يُحبّهما فقد أبغضني، وأنا منه بريء، ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما. لعاقبت على هذا أشد العقوبة، ولكن لا ينبغي أن أعاقب قبل التقدم، ألا فمن أُتيتُ به -يقول: هذا بعد اليوم- فإنّ عليه ما على الْمُفْتَري، ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها: أبوبكر وعمر، ولو شئت سمّيت الثالث، وأستغفر الله لي ولكم[1].

### ٣ـ هذا عثمان بن علي سميته بعثمان بن عفان:

عن أبي سعيد الخدري: نظرت إلى غلام أيفع[2]، له ذؤابة[3] وجمة[4]، والله يعلم أني منه حينئذ لفي شك، ما أدري غلام هو أو جارية، فمررنا بأحسن منه وهو جالس إلى جنب عليّ فقلت: عافاك الله، من هذا الفتى إلى جانبك؟ قال: هذا عثمان بن عليّ سميته بعثمان بن عفان، وقد سميت بعمر بن الخطاب، وسميت بعباس عم رسول الله، وقد سميت بخير البرية محمد، فأما حسن وحسين ومحسن[5]، فإنما سماهم رسول الله ﷺ وعقّ عنهم وحلق رؤوسهم[6]، وتصدق وزنها، وأمر بهم فسموا وختنوا[7]، فقد ولدوا في عهده عليه الصلاة والسلام، ورسول الله هو الذي سماهم وعقّ عنهم.

---

(١) «النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب» ص(٤٣)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي رقم (٤٤٥٦).

(٢) أيفع: شارف الاحتلام.

(٣) الذؤابة: هي الشعر المضفور من شعر الرأس.

(٤) الجمة من شعر الرأس: ما سقط على المنكبين.

(٥) «مسند أحمد» (٢/١١٥) رقم (٧٦٩) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٦) «المختصر من كتاب الموافقة» ص(١٤١).

(٧) وختنوا: الختن للرجال، والخفض للنساء، «المختصر من كتاب الموافقة» ص(١٤١).

## ٤. أبوبكر وعمر وعثمان ﷺ كان لهم بالنبي اختصاص عظيم:

قد عرف بالتواتر الذي لا يخفى على العامة والخاصة أن أبابكر وعمر وعثمان ﷺ كان لهم بالنبي ﷺ اختصاص عظيم، وكانوا من أعظم الناس اختصاصًا به، وصحبة له وقربة إليه، وقد صاهرهم كلهم، وكان يحبهم ويثني عليهم، وحينئذ فإما أن يكونوا على الاستقامة ظاهرًا وباطنًا في حياته وبعد موته، وإما أن يكونوا بخلاف ذلك في حياته، أو بعد موته، فإن كانوا على غير الاستقامة مع هذا القرب فأحد الأمرين لازم، إما عدم علمه بأحوالهم، أو مداهنته لهم، وأيهما كان فهو من أعظم القدح في الرسول ﷺ كما قيل:

فَإِنْ كُنْتَ لاَ تَدْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ
وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِي فَالمصِيبَةُ أَعْظَمُ

وإن كانوا انحرفوا بعد الاستقامة فهذا خذلان من الله للرسول في خواص أمته، وأكابر أصحابه، ومن وعد أن يظهر دينه على الدين كله، فكيف يكون أكابر خواصه مرتدين؟ فهذا ونحوه من أعظم ما يقدح به الرافضة في الرسول ﷺ كما قال الإمام مالك وغيره: إنما أراد هؤلاء الرافضة الطعن في الرسول ﷺ ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء ولو كان رجلاً صالحًا لكان أصحابه صالحين، ولهذا قال أهل العلم: إن الرافضة دسيسة الزندقة(١).

## ٥. ما يترتب عليه في مذهب الرافضة من تكفير الصحابة:

إن مذهب الرافضة في تكفير الصحابة يترتب عليه تكفير أمير المؤمنين؛ لتخليه عن القيام بأمر الله، ويلزم عليه إسقاط تواتر الشريعة، بل بطلانها مادام نقلتها مرتدين، ويؤدي إلى القدح في القرآن العظيم؛ لأنه وصلنا عن طريق أبي بكر وعمر وعثمان وإخوانهم، وهذا هو هدف واضع هذه المقالة، ولذلك قال أبوزرعة: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فاعلم

(١) «منهاج السنة» (٤/ ١٢٣)، و«أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣١).

أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة[1]، ولذلك اعترفت كتب الشيعة أن الذي وضع هذه المقالة هو ابن سبأ، فقالت: إنه أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وادعى أن عليًا رضي الله عنه أمره بذلك[2].

## ٦ ـ قرائن عملية وأدلة واقعية على حقيقة العلاقة بين علي والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم:

قامت القرائن العملية والأدلة الواقعية من سيرة أمير المؤمنين علي في علاقته مع إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان مما اشتهر وذاع نقله، وقد نقلنا منه الكثير فيما مضى ما يثبت المحبة الصادقة والإخاء الحميم بين هذه الطليعة المختاره، والصفوة من جيل الصحابة رضوان الله عليهم، وتأتي في مقدمة هذه الأدلة والقرائن تزويج أمير المؤمنين علي ابنته أم كلثوم لأمير المؤمنين عمر[3]، فإذا كان عمر فاروق هذه الأمة قد صار عند الشيعة الروافض أشد كفراً من إبليس، أفلا يرجعون إلى عقولهم ويتدبروا فساد ما ينتهي إليه مذهبم؟ إذ لو كان أبوبكر وعمر رضي الله عنهما كافرين كما يفترون لكان علي بتزويجه ابنته أم كلثوم الكبرى من عمر رضي الله عنه كافراً أو فاسقًا معرضًا بنته للزنى؛ لأن وطء الكافر للمسلمة زنىً محض[4]، والعاقل المنصف البريء من الغرض، الصادق في محبته للنبي ﷺ وأهل بيته واتباعه لهم لا يملك إلا الإذعان لهذه الحقيقة، حقيقة الولاء والحب بين الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، ولذلك لما قيل لمعز الدولة أحمد بن بويه ـ وكان رافضيًا يشتم صحابة رسول الله ـ إن عليًا رضي الله عنه زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، استعظم ذلك وقال: ما علمت بهذا، وتاب وتصدق بأكثر

---

(١) «الكفاية» ص(٤٩).
(٢) «المقالات والفرق» للقمي ص(٢٠) نقلاً عن «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣٣).
(٣) «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣٢).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٩٣٢).

من ماله، وأعتق مماليكه، ورد كثيراً من المظالم وبكى حتى غشي عليه[(١)]؛ لشعوره بعظم جرمه فيما سلف من عمره، الذي أمضاه ينهش في أعراض هؤلاء الأطهار مغتراً بشبهات الروافض[(٢)]، وقد حاول شيوخ الشيعة الروافض إبطال مفعول هذا الدليل؛ فوضعوا روايات مكذوبة عن لسان الأئمة تقول: ذلك فرج غصبناه[(٣)]، فزادوا الطين بلة، حتى صوروا أمير المؤمنين في صورة «الديوث» الذي لا ينافح عن عرضه، ويقر الفاحشة في أهله، وهل يتصور مثل هذا في حق أمير المؤمنين علي بطل الإسلام؟ إن أدنى العرب ليبذل نفسه دون عرضه، ويقتل دون حرمه، فضلاً عن بني هاشم الذين هم سادات العرب وأعلاها نسبًا وأعظمها مروءة وحمية، فكيف يثبتون لأمير المؤمنين وابنته حفيدة رسول الله ﷺ مثل هذه المنقصة الشنيعة، وهو الشجاع الصنديد، ليث بني غالب، أسد الله في المشارق والمغارب؟![(٤)].

ويبدو أن بعضهم لم يعجبه هذا التوجيه، فرام التخلص من هذا الدليل بمنطق أغرب وأعجب، حيث زعم أن أم كلثوم لم تكن بنت علي؛ ولكنها جنية تصورت بصورتها[(٥)]. فأتوا بما يستخف به أصحاب العقول، ويستطيع كل من أراد أن يدّعي على من يكرهه بأنه جني أو جنيه، وهكذا يعيش الناس في الخرافات وتضيع الحقيقة.

ومن القرائن أيضًا علاقات القربى القائمة بينهم، ووشائج الصلة، وكذلك مظاهر المحبة، حتى إن عليًا والحسن والحسين ـ كما مرّ معنا ـ يسمون بعض أولادهم باسم أبي بكر وعمر، وهل يطيق أحد أن يسمي أولاده بأسماء أشد أعدائه كفرًا وكرهًا له؟ وهل يطيق أن يسمع أسماء أعدائه تتردد في أرجاء بيته يرددها مع أهله في يومه مرات وكرات؟![(٦)].

---

(١) «المنتظم» (٧/ ٣٨، ٣٩). (٢) «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣٧).
(٣) «فروع الكافي» (٢/ ١٠)، و«أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣٧).
(٤) «مؤتمر النجف» للسويدي ص(٨٦) نقلاً عن «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣٧).
(٥) «الأنوار النعمانية» (١/ ٨٣ ـ ٨٤) نقلاً عن «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣٨).
(٦) «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣٨).

إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لا يحفظ عنه الصحابة ومن تبعهم من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلا محبة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في حياتهم وفي خلافتهم وبعد وفاتهم، فأما في خلافتهم فسامع لهم مطيع، يحبهم ويحبونه، ويعظم قدرهم ويعظمون قدره، صادق في محبتهم، مخلص في الطاعة لهم، يجاهد من يجاهدون، ويحب ما يحبون، ويكره ما يكرهون، يستشيرونه في النوازل فيشير مشورة ناصح مشفق محب، فكثير من سيرتهم بمشورته جرت[1]، وهم يبادلونه نفس الشعور ويقال: إنه لا يجتمع حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إلا في قلوب أتقياء هذه الأمة[2]، وقال سفيان الثوري: لا يجتمع حب عثمان وعلي رضي الله عنهما إلا في قلوب نبلاء الرجال[3]، وقال أنس ابن مالك: قالوا: إن حب عثمان وعلي رضي الله عنهما لا يجتمعان في قلب مؤمن، كذبوا. فقد جمع الله عز وجل حبهما بحمد الله في قلوبنا[4].

## سابعًا: وصف لأصحاب النبي ﷺ في القرآن الكريم:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ٢٩).

ومن المناسب أن أختم هذا الفصل بهذه الآية الكريمة؛ لتكون دليلاً على ما ذكرته من المحبة والرحمة والتعاون بين الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام، فهذه الآية تضمنت ذكر منزلة الرسول ﷺ بالثناء؛ ثم ثنى الله تعالى فيها بالثناء على سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فذكر تعالى أن صفاتهم الشدة والغلظة على أهل الكفر، كما وصفهم بالتراحم والتعاطف فيما بينهم، ووصفهم

(١) «الشريعة» للآجري (٥/ ٢٣١٢).
(٢) المصدر نفسه (٥/ ٢٣١٢).
(٣) «حلية الأولياء» (٧/ ٣٢).
(٤) «الشريعة» للآجري (٥/ ٢٣١٢)، وإسناده صحيح.

بأنهم يكثرون من الأعمال الصالحة المقرونة بالإخلاص وسعة الرجاء، وفي مقدمة تلك الأعمال الصالحة إكثارهم من الصلاة ابتغاء الحصول على فضل من الله ورضوان، كما بين - سبحانه - أن آثار ذلك يظهر على وجوههم ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ والسيما: العلامة. وقد قيل: بها بياض يكون في الوجوه يوم القيامة قاله الحسن وسعيد بن جبير وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواية أخرى عنه وعن مجاهد: السيماء في الدنيا هو: السمت الحسن، «وعن مجاهد أيضًا: هو الخشوع والتواضع(١)».

وهذه الأقوال لا منافاة بينها إذ يمكن أن يكون في الدنيا هو السمت الذي ينشأ عن التواضع والخشوع، وفي الآخرة يكون في جباههم نور(٢) قال ابن كثير: فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم، وقال مالك رحمه الله: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وصدقوا في ذلك؛ فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوه الله - تبارك وتعالى - بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة، ولهذا قال - سبحانه - ههنا ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ أي: فراخه ﴿فَآزَرَهُ﴾ أي: شده وقواه ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي: شب وطال ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أي: فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك -رحمة الله عليه- في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء رحمهم الله على ذلك. ثم قال تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

(١) تفسير الطبري (٢٦/ ١١٠-١١١)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٣-٢٩٤).
(٢) تفسير الطبري (٢٦/ ١١٢).

**الصَّالِحَاتِ مِنْهُم﴾** أي: ثوابًا جزيلاً ورزقًا كـريمًا. ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبـدل، وكل من اقتـفى أثر الصحـابة رضي الله عنهم فهـو في حكمهم ولهم الفـضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فـيه أحد من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل[1]، وفي قوله - سبحانه - في حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم **﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾**، أخطر حكم، وأغلظ تهديد، وأشد وعيد في حق من غيظ بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان في قلبه غل لهم[2]، وأما قوله تعالى في ختام الآية: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾** فيـها وعد من الله تعالى لجـميع الصحـابة بالجنة، وكذلك كل من آمن وعمـل الصالحـات من أمة الإجـابة إذ هذا الوعد عـام لجمـيع المؤمنين إلى يوم القيامة[3]، وكلمة **﴿مِنْهُم﴾** في الآية السابقة: لبيان الجنس وليست للتبعيض. قال ابن تيـمية: ولا ريب أن هذا مـدح لهم بما ذكر من الـصفات وهو الشـدة على الكفار، والرحـمة بينهم، والركوع والسـجود يبتـغون فضـلاً من الله ورضوانًا، والسيـماء في وجوههم من أثر الـسجود، وأنهم يبـتدئون من ضعف إلى كـمال القوة والاعـتدال كالزرع، والوعد لهم بالمغـفرة والأجر العظيم ليس على مـجرد هذه الصفات بل على الإيمان والعمل الصالح فذكـر ما به يستحقون الوعد، وإن كانوا كلهم بهذه الصفة ولولا ذكر ذلك لكان يظن أنهم بمجـرد ما ذكر يستحقون المغفرة والأجر العظيم، ولم يكن فيه بيـان سبب الجزاء بخلاف ما إذا ذكر الإيمان والعمل الصالح، فـإن الحكم إذا علق باسم مشتق مناسب كان ما منه الاشـتقاق سبب الحكم[4].

إن مـا ذكرته في هذا الفـصل ينسـجم كليًا مع حديث القـرآن الكريم عن الرحمة بين الصحابة والشدة على الكفـار وخصوصًا بين الخلفاء الراشدين، فهم السادة الكرام، وعلية القـوم، وقادة الأمة بعد وفاة نبيهـا، فالحذر كل الحذر من الروايات الضعيـفة والقصص الموضوعة التي اخـتلقها أعداء الأمة؛ ليـشوهوا بها

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٦٥).
(٢) «قبس من هدي الإسلام»، لعبد المحسن العباد ص(٨٦)
(٣) «عقيدة أهل السنة من الصحابة» (١/ ٧٦).
(٤) «منهاج السنة» (١/ ١٥٨).

تاريخ صدر الإسلام، أنصدق الروايات الكاذبة والقصص الواهية التي تصور العداء بين الخلفاء الراشدين، أم نصدق كتاب ربنا وما جاء في حقهم على لسان نبينا ،وما يوافقه مما دونه العلماء الثقات من أهل السنة والجماعة؟

قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الانفال:٦٣) فهذا وصف القرآن الكريم لحقيقة الألفة بين قلوب الصحابة، فهي منحة ربانية، ونعمة إلهية أعطاها الله لذلك الجيل الطاهر، لا دخل لبشر فيها، وبين القرآن الكريم أن الألفة بين الصحابة نعمة من الله تعالى امتن بها على رسول الله ﷺ، وهذا التصوير القرآني لحقيقة الصحابة ينسجم مع الرويات الصحيحة التي تبين محبة الصحابة والمودة بينهم، وبذلك يفتضح أمر الذين وضعوا الروايات المكذوبة والموضوعة، والآية تشمل كل من سار على هدي القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قرابة الرحم تقطع، ومنة المنعم تكفر، ولم نر مثل تقارب القلوب[1].

قال الشاعر:

وَلَقَدْ صَحِبْتُ النَّاسَ ثُمَّ خَبِرْتُهُمْ
وَبَلَوتُ مَا وَصَلُوا مِنْ الأَسْبَابِ
فَإِذَا القَرَابَةُ لاَ تُقَرِّبُ قَاطِعًا
وَإِذَا المَوَدَّةُ أَقْرَبُ الأَسْبَابِ[2]



(١) «الدر المنثور في تفسير المأثور» (٤/ ١٠٠).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ١٠٠)

● قال سعيد بن زيد رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: النبي في الجنة وأبوبكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة وسعد في الجنة ولو شئت أن أسمي العاشر[1].

● قالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سب عليًا فقد سبني[2].

● جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان رضي الله عنه، فذكر محاسن عمله، قال: لعلّ ذلك يسوؤك؟ قال: نعم. قال: فأرغم الله بأنفك ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبيّ ﷺ ثم قال: لعلّ ذاك يسوؤك؟ قال: أجل قال فأرغم الله بأنفك انطلق فاجهد على جَهدك[3]، هذه بعض الفضائل الثابتة لعليّ رضي الله عنه، وأما صفاته رضي الله عنه، فقد كان صفات القائد الرباني المضحي في سبيل الله وكتابه وسنة نبيه، ونجملها في أمور ونركز على بعضها بالتفصيل، فمن أهم هذه الصفات، سلامة المعتقد، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، وحسن اختياره لمعاونيه، والتواضع والحلم والصبر، وعلو الهمة والحزم والإرادة القوية، والعدل، والقدرة على التعليم وإعداد القادة، وغير ذلك من الصفات التي ظهرت للباحث في الفترة المكية في صحبته للنبي ﷺ وفي العهد المدني في غزواته مع رسول الله وحياته في المجتمع، وظهر البعض الآخر لما تسلم قيادة الدولة الراشدية وأصبح أمير المؤمنين رضي الله عنه، ومن أهم هذه الصفات:

## أولاً: العلم والفقه في الدين:

كان أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه من علماء الصحابة الكبار، وقد تميز رضي الله عنه بجده في التحصيل، والتحري في قبول العلم، والسؤال في طلبه، واستخدم وسائل

(١) الصحيح المسند ص (١١٧). (٢) الصحيح المسند ص (١٢١).
(٣) الصحيح المسند من فضائل الصحابة ص (١٤٠).

ضبط العلوم في زمنه، من كتابة، وتعهد، ولزوم النبي ﷺ؛ حيث يقول رضي الله عنه في جمعه للقرآن الكريم: آليت بيمين ألاَّ أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن(١)، وقال: ما دخل نوم عيني، ولا غمض رأسي على عهد رسول الله ﷺ حتى علمت ذلك اليوم ما نزل به جبريل عليه السلام، من حلال أو سنة، أو كتاب، أو أمر، أو نهي، وفيمن نزل(٢)، وكان رضي الله عنه يتلقى النص من رسول الله ﷺ مباشرة، ولكن عندما يبلغه الحديث من غيره فإنه يكون شديد التحري في قبوله، خشية أن ينسب لرسول الله ﷺ قولاً لم يقله، ومما يدل على هذا المنهج قوله رضي الله عنه: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله حديثًا نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، قال: وحدثني أبوبكر، وصدق أبوبكر رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله يقول: **«ما من عبد يذنب ذنبًا فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له»**، ثم قرأ هذه الآية ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ**﴾ (آل عمران: ١٣٥) إلى آخر الآية(٣). نعم، علي بن أبي طالب رضي الله عنه يستحلف أصحاب رسول الله ﷺ وهم الثقاة العدول، ما هذا إلا دليل على شدة تحريه في تلقي الحديث الذي يتلقاه من غير رسول الله ﷺ(٤).

وكان رضي الله عنه صاحب لسان سؤول وقلب عقول، فقد قال: ... إن ربي وهب لي قلبًا عقولاً ولسانًا سؤولاً(٥)، وعلل رضي الله عنه كثرة علمه بطلبه إياه من رسول الله ﷺ بالسؤال، بقوله: كنت إذا سألت أعطيت وإذا سكت ابتديت(٦)، وعندما يكون عائق الحياء بينه وبين رسول الله ﷺ يتغلب عليه بطلب من أحد الصحابة بسؤال رسول الله ﷺ، فعن محمد بن الحنفية قال: قال علي: كنت رجلاً مذاءً(٧)، فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ، فأمرت المقداد بن الأسود

(١) «الطبقات» (٢/ ٣٣٨). أجمع القرآن: أحفظه.

(٢) «مسند الإمام زيد» ص (٣٤٣) نقلاً عن «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة».

(٣) «صحيح سنن الترمذي» (١/ ١٢٨)، و«مشكاة المصابيح» (١/ ٤١٦).

(٤) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة» ص (٥٢).

(٥) «الطبقات» (٢/ ٣٣٨)، و«الحلية» (١/ ٦٧).

(٦) «فضائل الصحابة» (٢/ ٦٤٧) وإسناده صحيح.

(٧) أي كثير المذي وهو ما يخرج عند الملاعبة.

فسأله فقال: فيه الوضوء(١)، وكان رضي الله عنه يحذر الناس من ترك العلم بسبب الحياء، فقد قال: ولا يستحي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم(٢)، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم، وكان أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه من بين القلة من المسلمين الذين كانوا يعرفون الكتابة في صدر الإسلام، وفوق هذا فقد كان من كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ساعدته هذه المهارة في القراءة والكتابة على التبحر في العلوم الشرعية، وكان رضي الله عنه يرى أن تكون كتابة النصوص بخطٍّ بيِّن مع التفريج بين السطور، والتقريب بين الحروف، فعن أبي عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الخط علامة، فكلما كان أبين كان أحسن(٣)، وقد أمر كاتبه عبيد الله بن أبي رافع بقوله: ألف دواتك وأطل سِنَّ قلمك، وافرج بين السطور، وقرمط(٤) بين الحروف(٥)، وعن أبي حكيمة العبدي قال: كنا نكتب المصاحف بالكوفة، فيمر علينا علي ونحن نكتب فيقول: أجِلَّ قلمك(٦)، قال: فقططت منه، ثم كتبت. فقال هكذا نوروا ما نور الله(٧)، وكان رضي الله عنه يتعهد ما تعلمه بالعمل وتطبيقه، وكان من أحرص الناس على تطبيق ما سمعه من رسول الله ولو كان ذلك في أصعب الظروف، كما مرّ معنا في تعليم رسول الله له والسيدة فاطمة رضي الله عنها الأذكار، فقد قال أمير المؤمنين: ما تركته منذ سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم، قيل له: ولا ليلة صفين؟، قال: ولا ليلة صفين(٨)، وقد أشار أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه إلى ضبط النص بالعمل به بقوله: تعلموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله(٩)، وكان يرى أن العالم لا يسمى عالمًا إلا إذا كان عاملاً بعلمه، لذا يقول مخاطبًا حملة العلم: يا حملة العلم، اعملوا به فإن العالم من عمل بما علم ووافق علمه عَمَلُه(١٠).

(١) «مسلم»، (١/ ٢٤٧).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٣/ ٢٨٤).
(٣) «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٢٦٢).
(٤) قرمط بين الحروف: أي قرب بينها.
(٥) «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٢٦٢).
(٦) أي عظم قلمك، وهو كناية عن تكبير الخط.
(٧) «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٢٦٠).
(٨) «مسلم» (٤/ ٢٠٩١، ٢٠٩٢).
(٩) «البداية والنهاية» (٨/ ٦).
(١٠) «بيان العلم وفضله» ص (٢٨٥).

وقال رضي الله عنه: هتف العلم بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل(١)، وكان عليّ رضي الله عنه من المكثرين من الفتوى في أصحاب رسول الله ﷺ، قال ابن القيم: الذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله مائة ونيف وثلاثون نفسًا، ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة، عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبدالله ابن عباس، وعبدالله بن عمر(٢) وقد عد ابن حزم عليّ رضي الله عنه في المرتبة الثالث من بين الصحابة رضي الله عنهم في كثرة الفتوى، وسيأتي الحديث بإذن الله تعالى عن المسائل القضائية، وكثيرا من اجتهاداته الفقهية، عند حديثنا عن المؤسسة القضائية. وكان رضي الله عنه يحث على التزاور والمدارسة، حيث يقول: تزاوروا وتدارسوا الحديث، ولا تتركوه يدرس(٣)، وفي رواية: تزاوروا وتحدثوا، فإن لم تفعلوا فإنه يدرس(٤)، وكان أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه يحث على لزوم الشيخ، والحرص على الأخذ منه، ويقول: ولا تشبع من طول صحبته، فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء(٥)، وقد تهيأ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ملازمة رسول الله ﷺ صغيرًا حين تربى في حجره، وكبيرًا حينما كان صهره ووالد سبطيه، فكان بذلك قريبًا من رسول الله، يأخذ عنه ويتعلم منه، وقد شهدت السيدة عائشة رضي الله عنها لعلي رضي الله عنه بلزومه لرسول الله ﷺ، فعن المقدام بن شريح، عن أبيه قال: سألت عائشة رضي الله عنها فقلت أخبريني برجل من أصحاب النبي ﷺ أسأله عن المسح على الخفين، فقالت: ائت عليًا فسله، فإنه كان يلزم النبي ﷺ قال: فأتيت عليًا فسألته، فقال: أمرنا رسول الله ﷺ بالمسح على خفافنا إذا سافرنا(٦)، وكان رضي الله عنه يرى الانتقاء في العلوم فقد قال: العلم أكثر من أن يحفظ، فخذوا من كل علم محاسنه(٧)، وقد وصل من العلم مرتبة جعلته يقول

(١) «منهج علي بن أبي طالب» ص (٦٣).
(٢) «إعلام الموقعين».
(٣) «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٢٣٦).
(٤) «شرف أصحاب الحديث» للبغدادي (ص٩٣).
(٥) «تذكرة السامع» ص (١٠٠).
(٦) «مسند أحمد» (٢/ ١٩٥)، وإسناده صحيح، تحقيق أحمد شاكر.
(٧) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٥).

للناس وهو في العراق: سلوني، فعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: ما كان أحد من الناس يقول: سلوني غير علي بن أبي طالب رضي الله عنه [١].

وقد وثق الناس بعلمه سواء الصحابة أو التابعين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به[٢]، وعنه أيضا قال: إذا حدثنا ثقة عن علي بفتوى لا نعدوها[٣]، وعن سويد بن غفلة أنه جاءه رجل يسأله عن فريضة رجل ترك ابنته وامرأته، قال: أنا أنبئك قضاء علي. قال: حسبي قضاء علي. قال: قضى علي لامرأته الثمن، ولابنته النصف، ثم رد البقية على ابنته[٤]، وقد أثنى الناس عليه في علمه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أما إنه أعلم الناس بالسنة[٥]، وكان معاوية رضي الله عنه يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله، قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب رضي الله عنه [٦]، وعن الحسن بن عليّ رضي الله عنه، أنه خطب الناس بعد وفاة عليّ رضي الله عنه فقال: لقد فارقكم رجل أمس، ما سبقه الأولون بعلم، ولا أدركه الآخرون[٧]، وعن عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة ــ وقد سئل عن عليّ رضي الله عنه - فقال: كان لله والله ما شاء من ضرس قاطع، السطة[٨] في النسب، وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصاهراته، والسابقة في الإسلام، والعلم بالقرآن والفقه بالسنة، والنجدة في الحرب، والجود في الماعون[٩]، وعن مسروق قال: انتهى علم أصحاب رسول الله إلى عمر، وعليّ، وابن مسعود، وعبدالله رضي الله عنهم [١٠].

وقد ترك أمير المؤمنين رضي الله عنه نصائح وإرشادات لطلاب العلم والعلماء والفقهاء تستحق أن تحفظ ويعمل بها ومن هذه النصائح:

(١) «الاستيعاب» ص (١١٠٣).
(٢) «الاستيعاب» ص (١١٠٤).
(٣) «الطبقات» (٣٣٨/٢).
(٤) «سنن الدارمي» (٣٧٥/٢).
(٥) «الاستيعاب» ص (١١٠٤).
(٦) «الاستيعاب» ص (١١٠٨).
(٧) «فضائل الصحابة» (٥٩٥/٢)، وإسناده صحيح.
(٨) السطة: التوسط، والوسط في النسب هو أكرمه وأشرفه.
(٩) «ذخائر العقبى» لمحب الدين الطبري (ص٧٩).
(١٠) «تاريخ السيوطي» ص١٩٦).

## ١ - الناس ثلاثة، عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق:

روى الحافظ أبو نعيم عن كُميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب ﷺ بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبَّان ـ يعني الصحراء ـ فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كميل بن زياد، القلوب أوعية فخيرها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وَهَمَجٌ رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق[١]، إن هذه الوصية البليغة قد اشتملت على دُرر المواعظ وغُرَر الحِكَم، فقد قسَّم أمير المؤمنين عليّ ﷺ الناس إلى ثلاثة أقسام:

( أ ) العلماء الربانيون: والمقصود بالعلماء علماء الدين، والربانيون الذين يجمعون بين الفقه والحكمة كما جاء في تفسير ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ (آل عمران: ٧٩) ، قال: حكماء فقهاء، أخرجه الإمام البخاري، وبذلك فسره عبدالله ابن مسعود ﷺ [٢]، فالذين يجمعون بين الحكمة والفقه هم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها؛ لأن الحكمة وضع الشيء في موضعه المناسب ومن ذلك التوفيق إلى تطبيق الحكم الشرعي على واقع الناس، وذلك يقتضي فهما دقيقًا لواقع المجتمع الإسلامي، ومن الحكمة القيام بتربية الأمة بهذا الدين، وذلك يقتضي الجمع بين تعليم الدين والتربية على التقوى ومكارم الأخلاق، وأما الفقه فهو فهم الأحكام الدينية من مصادرها الشرعية، ولذلك كان العلماء الربانيون هم أفضل الأمة؛ لأنهم جمعوا بين فضيلتين: تلقِّي العلم، والتعليم مع التربية، فهم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها[٣]، وقد عرّف أمير المؤمنين عليٌ ﷺ الربانيين بأنهم هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها[٤].

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٧٥)، و«صفة الصفوة» (١/ ٣٢٩).
(٢) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (١١ ، ١٢/ ٤٣٨).
(٣) «التاريخ الإسلامي» (١١ ، ١٢/ ٤٣٨).
(٤) «الفتاوى» (١/ ٤٩).

(ب) طلاب العلم الذين أخلصوا نياتهم في طلب العلم؛ ليكون وسيلة إلى نجاتهم من المسؤولية أمام الله تعالى، وقد عبر عليّ رضي الله عنه عن هذا القسم بقوله: ومتعلم على سبيل نجاة وهذا لا يختص بالدارسين الذين تفرغوا لطلب العلم، وإنما يشمل كل من حمل مسؤولية تطبيق هذا الدين، وأهمه أمر نجاته في الآخرة، فاستفتى في أمور دينه العلماء الربانيين، ليعبد الله على بصيرة وليستقيم في معاملته مع الناس على منهج الله، فهذا يعتبر من المتعلمين على سبيل نجاة وإن لم يجلس في حلقات العلم[1]، إن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه يرينا أهمية إخلاص النية لله في طلب العلم ويدعوهم لتقديم ما عند الله والدار الآخرة على حطام الدنيا وشهوات النفس والدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ودين الحق والصبر على ذلك.

(ج) الذين هجروا العلم الديني ولم يكن لهم ارتباط بالعلماء الربانيين في معرفة أمور دينهم، وقد عبَّر عنهم أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه بقوله: وهَمَجٌ رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم.

تحدث أمير المؤمنين عن صنف الهمج الرعاع أتباع كل ناعق الذين يميلون مع كل ريح وليس لهم نور يستضيئون به وحذر من هذا الصنف الإمَّعي، وكأنه رضي الله عنه يدعو الناس بأن يكون همهم الحق والثبات عليه، وبأن يعمّروا الدنيا والآخرة بطاعة الله وأن يستضيئوا بنور الله ويجعلوا الدنيا مطية للآخرة.

## ٢ـ المقارنة بين العلم والمال:

وجاء في وصية أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه لكميل بن زياد: . . . العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم، والمال محكوم عليه، وصنعة المال تزول بزواله ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يُكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد مماته، مات خُزَّان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة

(١) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (١١ ، ١٢/٤٣٨).

وأمثالهم في القلوب موجودة(١)، عقد أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه مقارنة بين العلم والمال، باعتبار أن العلم الشرعي هو عماد أهل الآخرة ومعقد عزهم وشرفهم في الدنيا والآخرة، والمقصود بالمال هنا الذي يجمعه صاحبه للذاته ولا يتوجه فيه بالطاعات وفق شرع ربه، وقد سوغ هذا الحكم بعدة أمور:

( أ ) إن العلم يحرس صاحبه بينما صاحب المال هو الذي يحرسه، فأما حراسة العلم صاحبه فإن العلم الإلهي يقي صاحبه من المهالك في الدنيا والآخرة، فأما أمر الآخرة فظاهر معلوم، حيث إن هذا العلم يقود صاحبه إلى رضوان الله تعالى والجنة ويجنبه طريق النار، وما أعظمها من مطالب وما أبلغها من مكاسب، وأما الوقاية من مهالك الدنيا فإن السعادة الروحية الحقة لا تكون إلا باليقين الذي تتضاءل أمامه الحياة الدنيا فتصبح جميع مآسيها ونكباتها، بردًا وسلامًا على أصحاب اليقين؛ لأنهم لا يلقون لها بالا ولا يعيرونها اهتمامًا، بينما تتحول هذه المآسي والنكبات إلى حياة جحيمية على أهل الدنيا الذين يعتبرون الحياة الدنيا هي رأس المال والمكسب، وأما حراسة صاحب المال ماله فأمرها ظاهر، فكم تململ أصحابها من الهم والخوف عليها تململ المريض وباتوا يحرسون أموالهم بالهم والقلق والحزن المنهك(٢)، والعلم ينور بصيرة صاحبه في الاختيار الأفضل وفي استخلاص العبر من الأمم الماضية، والعيش بها في الحياة والعلم يفتح آفاقًا واسعة في فقه الخلاف، ومعرفة المصالح والمفاسد، والمقاصد، وترتيب الأولويات فيسير صاحبه بنور بين الناس.

(ب) إن العلم ينمو ويترسخ بالعمل؛ لأن العمل تطبيق للعلم فهو بذلك يزيده عمقًا في الذاكرة بخلاف المال، فإن الإنفاق منه ينقصه، ولا يغيبنّ عن البال أن المقصود هنا أموال أهل الدنيا التي ينفقون منها من أجل الدنيا، أما أموال أهل الآخرة فإنها محكومة بالعمل الشرعي، فالإنفاق منها يزيدها نموًا كما جاء في قول الرسول ﷺ: **«ما نقص مال عبد من صدقة»**(٣).

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٧٥)، و«صفة الصفوة» (١/ ٣٢٩).

(٢، ٣) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (١٢/ ٤٤٢).

(ج) إن العلم الشرعي حاكم لأنه به تنتظم شؤون الحياة، وعلى منهاجه يجب أن تقرر جميع الأنظمة التي تحكم الناس، فهو الحاكم الحقيقي، أما المال فأنه محكوم عليه؛ لأن إصداره وإيراده يخضع للأنظمة الحاكمة سواء كانت شرعية أو غير شرعية[1].

(د) إن العلاقات الاجتماعية التي تقوم على المصالح المالية المشتركة تزول بزوال المال؛ لأنه هو الذي عقد تلك العلاقات بناء على تبادل المصلحة بوجوده فإذا زال زالت تلك المصالح، أما العلاقات الأخوية التي تقوم على تبادل العلم الشرعي بين العالم ومحبيه فإنها باقية خالدة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف:٦٧).

(هـ) إن العلم الشرعي يكسب صاحبه ولاء المسلمين وطاعتهم لأهله اختياراً منهم من غير أن تفرض عليهم هذه الطاعة، وذلك على امتداد حياتهم كما يكسبهم الذكر الحسن بعد مماتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حيث لا يفقد الناس إلا صورهم وأشكالهم، وإننا لو استعرضنا التاريخ إلى عصرنا هذا لوجدنا العلماء من عهد الصحابة رضي الله عنهم تتردد أسماؤهم، ويذكر التاريخ حياتهم في الكتب والخطب والدروس العلمية، بينما اندرست أسماء كبار أهل الدنيا بانقضاء حياتهم، وأحيانا يشاهدون انطفاء سمعتهم وهم أحياء[2].

### ٣. الفقيه كل الفقه:

هو الذي لا يقنِّط الناس من رحمة الله ولا يُؤَمِّنهم من عذاب الله ولا يرخص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، ولا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبُّر فيها[3].

في هذا النص يبين أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه أن من الفقه في الدين التزام صفة الاتزان والاعتدال في عرض أمور الدين ومحاولة إصلاح الناس، وذلك بأن يسير

(١) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (١٢/ ٤٤٢). (٢) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (١٢/ ٤٤٣).
(٣) «حلية الأولياء» (١/ ٧٧)، و«صفة الصفوة» (١/ ٣٢٥).

الداعية في خط وسط بين مقامي الخوف والرجاء، فلا ينطلق في تخويف الناس إلى الحد الذي يجعلهم يقنطون من رحمة الله، ولا ينطلق في ترغيب الناس إلى الحد الذي يجعلهم يأمنون من عذاب الله تعالى، ونجد عليًا رضي الله عنه في هذا النص يبين أن من مظاهر الفقه في الدين ألاَّ يهوِّن العالم من شأن المعاصي فيجرئ الناس على ارتكابها، وأن يحافظ على مستوى الإيمان والتقوى لدى الناس مع محاولة رفعهم نحو الكمال في ذلك، كما يبين أن من الفقه أن يحاول العالم ربط المسلمين بكتاب الله تعالى، وهنا يبين عليّ رضي الله عنه أهمية القرآن الكريم وتفضيله المطلق على كل ما سواه، وفيه تبيين أو تعليم للطريقة التي نتعامل بها مع القرآن الكريم. وألاَّ يتجاوزه إلى غيره رغبة عنه؛ لأنه مصدر الهداية الأول، ومن المعلوم أن السنة النبوية بيان تفصيلي للقرآن الكريم، فالتوجيه إلى القرآن يعتبر توجيهًا إلى السنة، ثم يبين أن من أهم شروط العبادة الشرعية المقبولة، أن تكون صادرة عن علم بالكتاب والسنة وأن العلم لا يكون نافعًا إلا إذا رافقه الفهم الصحيح، ويختم وصيته النافعة ببيان أهمية تدبُّر معاني كتاب الله تعالى حال التلاوة؛ لأن الخير كل الخير في فهم مقاصد القرآن الكريم للعمل بأحكامه، والتوجه الكامل لله بالقلب والعقل والروح والجوارح عند قراءتنا لكتابه، وبذل كل ما نستطيع لفهم مراد الله والعمل بأوامره واجتناب نواهيه والتخلص من كل العوائق التي تحول بيننا وبين كتاب الله، فهذا يدعونا للتجرد لله بالكلية وإخلاص الدين له وتحري مراد الله ورسوله ودين الحق ولو أدى إلى مفارقة الأهل والمال والولد والوجاهة الدنيوية، فإن ما عند الله خير وأبقى، والاتعاظ بمواعظه وتنمية الإيمان بتذكر معاني هذا الكتاب العظيم(١).

## ٤- ما أبردها على الكبد:

عن الشعبي عن عليّ رضي الله عنه أنه خرج عليهم وهو يقول: ما أبردها على الكبد فقيل له: وما ذلك؟ قال: أن تقول للشيء لا تعلمه: الله أعلم(٢).

(١) «التاريخ الإسلامي» (١٢/ ٤٣١ - ٤٣٣).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٦٦).

### ٥- أهل العلم وتعليم الناس:

قال أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه : ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا ، حتى أخذ على أهل العلم أن يعلّموا[١] .

### ٦- الخير في كثرة العلم لا المال والولد:

قال عليّ رضي الله عنه : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ، ويعظم حلمك ، وأن تباهي الناس بعبادة ربك ، فإن أحسنت حمدت الله ، وإن أسأت استغفرت الله ، ولا خير في الدنيا إلا أحد رجلين ، رجل أذنب ذنبًا فهو تدارك ذلك بتوبة ، أو رجل يسارع في الخيرات ، ولا يقل عمل في تقوى وكيف يقل ما يتقبل ؟![٢] .

### ٧- العلم والجهل:

قال علي رضي الله عنه : كفى بالعلم شرفًا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نُسب إليه ، وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه[٣] .

### ٨- سبب زهد الناس في العلم:

قال عليّ رضي الله عنه : إنما زهد الناس في طلب العلم؛ لما يرون من قلة انتفاع من عَلِم بما عَلِم[٤] . وهذا فيه تحذير لعلماء السوء الذين يصدون عن سبيل الله ودعوة للعلماء بالعمل بعلمهم ودعوة الناس إليه والصبر على أذاهم في سبيل الله تعالى .

### ٩- من حقوق العلماء على أمتهم:

قال أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه : من حق العالم ألاَّ تكثر عليه بالسؤال ، ولا تعنته بالجواب ، ولا تلح عليه إذا كسل ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفشين له سرًّا ، ولا تغتابن عنده أحدًا ، ولا تطلبن عثرته ، وإن زل قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه لله ، ما دام يحفظ أمر الله ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته[٥] .

---

(١) فرائد الكلام ص(٣٦١) .
(٢) حلية الأولياء، ص (٧٥) .
(٣) فرائد الكلام، ص (٣٦٦) .
(٤) أدب الدين والدنيا، ص (٨٣ ، ٨٥) .
(٥) الجامع بيان العلم وفضله، (١/٥١٩) .

### ١٠- مكانة العلماء العاملين عند الله:

قال أمير المؤمنين عليّ ﷺ : من عَلِمَ وعَمِلَ دُعِيَ في ملكوت السموات عظيما(١)، وهذه دعوة للعلم والعمل، وحث للسعي للمقامات العالية التي يكرم الله بها من علم وعمل ابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى.

### ١١- الاشتغال بالعلم أولى من الاشتغال بالعبادات التطوعية:

قال أمير المؤمنين عليّ ﷺ: العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف مثله(٢). وهذا التوجيه فيه دلالة على فقه ترتيب الأولويات عند أمير المؤمنين عليّ ﷺ، فهو يرى العمل المتعدي لخير الناس وهو العلم أولى بالتقديم من العمل التعبدي، الذي ترجع فائدته على الشخص نفسه. هذه بعض التوجيهات النافعة والإرشادات الصالحة من أمير المؤمنين عليّ ﷺ لطلاب العلم.

### ثانيا: زهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وورعه:

فهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ من خلال معايشته للقرآن الكريم وملازمته للنبي الأمين ﷺ ومصاحبته للصحابة الكرام، ومن تفكره في هذه الحياة بأن الدنيا دار اختبار وابتلاء، فقد تربى أمير المؤمنين عليّ ﷺ على كتاب الله، واستوعب الآيات التي تحدثت عن الدنيا وأخبرتنا بخستها وقلتها، وانقطاعها وسرعة فنائها، والآيات التي رغبت في الآخرة، وأخبرت بشرفها ودوامها؛ كقوله تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾ (الكهف: ٤٥-٤٦)، وتربى على يدي النبي ﷺ الذي كان أعرف الخلق بالدنيا ومقدارها؛ إذ هو القائل ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح**

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٤٩٧).
(٢) «المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح» للدمياطي ص(١٣).

بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء»(١)، وقال ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمّ فلينظر بما ترجع»(٢)، وقال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»(٣)، وقد تأثر أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه بالتربية القرآنية والنبوية، فكان من أصدق النماذج التي زكتها تربية النبي ﷺ قال الله فيها: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ...﴾ (البقرة:١٥١)، فقد ضرب لنا أروع الأمثلة في الزهد وهذه بعض المواقف المدهشة في هذا الباب:

## ١- يا صفراء، ويا بيضاء غُرِّي غيري:

عن علي بن ربيعة الوالبي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاءه ابن النباح فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، فقال: الله أكبر، فقام متوكئًا على ابن النباح حتى قام على بيت مال المسلمين فقال:

هذا جَنَايَ خِيَارُه فِيه
وكُلُّ جَانٍ يَدُهُ إلى فِيه

يابن النباج عليَّ بأشياع الكوفة، قال: فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غُرِّي غيري، ها، ها، حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمره بنضحه وصلى فيه ركعتين، وفي رواية أخرى لأبي نعيم من خبر مجمع التيمي قال: كان علي رضي الله عنه يكنس بيت المال ويصلي فيه ويتخذه مسجدًا رجاء أن يشهد له يوم القيامة.

ففي هذا مثل بليغ في الترفُّع عن متاع الدنيا الزائل، فبيت المال قد امتلأ من الذهب والفضة، ولا ينظر إليه أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه نظرة إعجاب وغرور، بل كان جوابه حينما أبلغه المسؤول المالي عن ذلك أن قال: الله أكبر، فإذا كان بعض الناس يكبرون الدنيا ويعظمونها فالله تعالى أكبر منها ومن كل شيء، وما دام المسلم يشعر حقًّا بأن الله أكبر فلماذا يجعل قلبه مستسلمًا لما هو أصغر؟، إنه فقه

(١) سنن الترمذي رقم (٤١١٠) صحيح غريب.
(٢) «مسلم» رقم (٢٨٥٨).
(٣) «مسلم» رقم (٢٨٥٦).

عظيم من أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ حينما تذكر هوان الدنيا وحقارتها فكبَّر الله تعالى، ولسان حاله يؤنِّب من انخدع بمتاع الدنيا الزائل ونسي أن الله جل وعلا أكبر من كل شيء، وأنه لميزان دقيق يحسه المؤمن الذي نَوَّرَ الله سبحانه بصيرته، فكلما كان الله تعالى أعظم وأكبر من كل شيء في قلبه كانت الدنيا وما فيها أهون شيء عليه، وأصبح يُسَخِّر المال الحلال في طاعة الله جل وعلا، وكلما عظمت الدنيا في قلبه كان ذلك على حساب نقص تعظيمه لله تعالى، ونجد أمير المؤمنين عليًّا ﷺ يُحَلِّق في آفاق العظمة وهو يخاطب الدنيا بقوله: يا صفراء يابيضاء غُرِّي غيري.. مما يدل على الوجدان الحيِّ والحسِّ المرهف الذي يصور الدنيا كخصم يخاتل ويراوغ خصمه.. وهو بهذا يعلن انتصاره على جموح النفس وجنوح العواطف، ويُحكِّم عقله الذي يعطي الدنيا حجمها المناسب لزمنها المحدود في شقائها ونعيمها، ويعطي الآخرة حجمها المناسب لزمنها المحدود في شقائها ونعيمها، ويعطي الآخرة حجمها المناسب لخلودها وعظمة نعيمها وهول جحيمها، ونجده ﷺ يصل إلى قمة المعالي حينما صلى في بيت المال ركعتين؛ لتكونا شاهدتين له يوم القيامة بأنه عدل في حكمه واستقام في أمره، ولعل في اتخاذ بيت المال مسجدًا رمزًا لعلو الآخرة على الدنيا، وهو مكمِّل للسلوك العالي الذي مارسه في تصريف ذلك المال في وجوهه المشروعة[1].

## ٢- والله ما أرزؤكم من ما لكم شيئاً:

ومن مواقف أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ في الزهد والورع ما رواه هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب ﷺ بالخَوَرْنَق[2]، وهو يُرعَد[3] تحت سمل قطيفة[4]، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع، فقال: والله ما أرزؤكم من

(١) «التاريخ الإسلامي» (١٢/٤٢٧) للحميدي.
(٢) موضع بالكوفة.
(٣) يرعد: من شدة البرد.
(٤) سمل قطيفة: يعني قطيفة قديمة.

مالكم شيئًا وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي - أو قال من المدينة-[١].

وهنا نتساءل فنقول: ما الذي حمل أمير المؤمنين عليًا على أن يعيش عيشة الفقراء وأن يتحمل البرد القارس وهو قادر على أن يشتري أفخر ما يوجد في الأرض من الملابس؟ وأكثرها دفئًا؟ إنه مثال للزهد الحقيقي حيث يرغب عن متاع الدنيا مع القدرة على تحصيله، إنه تلميذ المدرسة النبوية التي تربى فيها على الزهد في متاع الدنيا الزائل، والتنافس على نعيم الآخرة الخالد. فلقد عاش رسول الله ﷺ عيشة الفقراء وهو يستطيع أن يكون كأفضل الأغنياء[٢].

### ٣- باعني رضاي وأخذه رضاه:

عن أبي مطر عمر بن عبدالله الجهني قال: رأيت عليًا رضي الله عنه متَّزرًا بإزار مرتديًا برداء ومعه الدِّرَّة[٣]، كأنه أعرابي بدوي، ثم ذكر دخوله إلى السوق ومساومته أحد التجار في ثوب بثلاثة دراهم، وأن التاجر عرفه، قال: فلما عرفه لم يشتر منه شيئًا، فأتى آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئًا، فأتى غلامًا حدثًا فاشترى منه قميصًا بثلاثة دراهم، ثم جاء أبو الغلام فأخبره، فأخذ أبوه درهمًا ثم جاء به فقال: هذا الدرهم يا أمير المؤمنين، قال: ما شأن هذا الدرهم؟ قال: كان ثمن القميص درهمين، فقال: باعني رضاي وأخذه رضاه[٤]، فهذا مثل في الزهد من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فلقد كان مظهره في لباسه يوحي بأنه رجل أعرابي لخشونة ملابسه، وحينما اشترى له ثوبًا اختار نوعًا متواضعًا رخيص الثمن مع أنه كان آنذاك أعلى مسؤول في العالم، حيث كان خليفة المسلمين، وهذا يدل على تواضعه وزهده في الدنيا، على الرغم بأن له حقه من الفيء ومن بيت المال وغيرها من مصادر الدولة كشخص مفرغ خليفة وحاكم لمراعاة مصالح المسلمين، ومثل آخر في الورع والاحتياط للدين حينما امتنع عن الشراء ممن يعرفونه حتى لا يراعوه في الثمن لمنصبه، فهو لا يريد أن

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٨٢)، و«صفة الصفوة» (١/ ٣١٦).

(٢) «التاريخ الإسلامي» (١٢/ ٤٢٨).

(٣) الدرة بكسر الدال وتشديدها العصا.

(٤) «الزهد» ص(١٣٠).

يستثمر منصبه الكبير لمصالحه الخاصة، وهذا فهم دقيق لمجالات الورع والتقوى، فالخلافة عنده وعند أمثاله عمل صالح، والخليفة إذا صاحبه العدل كان أول السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم القيامة، فهو لا يريد أن يدنس هذا العمل الصالح بمصالح دنيوية فيتحول العمل إلى مَجْلَبَة للوزر بدلاً من الأجر، فكان بهذا السلوك العالي قدوة حسنة لمن أتوا بعده[١].

## ٤- يخشع القلب ويقتدي به المؤمن:

قال عمر بن قيس: قيل لعليّ رضي الله عنه: لم ترقع قميصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمن[٢]، فهذا مثل من زهده رضي الله عنه وحرصه على تربية المسلمين على حياة الزهد والتقشف، فقد لاحظ في لبس الثوب المرقع ملحظين: الأول: إنه وسيلة إلى خشوع القلب وتواضع النفس، والبعد عن أسباب العجب والكبرياء، والثاني: إنه يعتبر بذلك قدوة للمسلمين فإذا رآه الناس ـ وهو في أعلى منصب ـ يلبس الثوب المرقع فإن نفوسهم تتواضع ويبتعدون عن التنافس في شراء الملابس الغالية الثمن، ويتقوّى بذلك الزاهدون الذين يتعرضون لملامة الناس على سلوكهم حياة الزهد[٣].

## ٥- لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان:

عن عبدالله بن زُرَير الغافقي قال: دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقرب إلينا خزيرة[٤]، فقلت: أصلحك الله لو قربت إلينا من هذا البط ـ يعني الوزّ ـ فإن الله عز وجل قد أكثر الخير فقال: يا ابن زرير إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان، قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يضعها بين يدي الناس**»[٥]، فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

---

(١) «التاريخ الإسلامي» (١٢/٤٢٩) للحميدي.

(٢) «تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» ص (٦٤٧) للذهبي.

(٣) «التاريخ الإسلامي» (١٢/ ٤٣٠) للحميدي.

(٤) الخزيرة: لحم يقطع ويطبخ بالماء ويذر عليه الدقيق.

(٥) «مسند أحمد» (١/٧٨) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر وهناك من ضعفه.

يضرب مثلاً عاليا في الورع والزهد في متاع الدنيا الزائل من طعام وشراب، فلقد كان بإمكانه أن يأخذ من بيت المال ما شاء من الأموال بما لا يلفت النظر إليه، حيث يؤمِّن له معيشة مساوية لأغنياء المسلمين، ولكنه رضي بخشونة العيش؛ إيثارًا للآجلة على العاجلة، واحتياطًا لأمر دينه، وإبرازًا للقدوة الصالحة؛ لأنه إذا كان أعلى رجل في الدولة يعيش هذا المستوى من العيش فإن في ذلك عزاء للفقراء ليصبروا ويرضوا بقضاء الله تعالى وقدره؛ وعظًا للأغنياء ليشكروا الله تعالى، فيخفضوا من اندفاعهم نحو الترف والإسراف[1].

### ٦- لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم:

كان أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل منه ويقول: لا أُحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم[2]، وقال سفيان: إن عليًا رضي الله عنه لم يبن آجُرَّة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة وإن كان ليؤتى بحبوبه من المدينة في جراب[3].

### ٧- إنك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم:

يروي عدي بن ثابت، وحبة بن جوين أنه أتي بطستخوان[4] فالوذج إلى عليّ رضي الله عنه فلم يأكل، فقال علي: إنك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم، ولكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده[5].

### ٨- أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب:

قال الحسن بن صالح بن حيّ: تذاكروا الزُّهاد عند عمر بن عبدالعزيز، فقال: أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب رضي الله عنه[6]، وقد ذكر الذهبي أن

(١) «التاريخ الإسلامي» (١٢/ ٤٣١).
(٢، ٣) «الكامل في التاريخ» (٢/ ٤٤٣).
(٤) الطستخوان: عبارة عن طست كبير يوضع وسط المائدة.
(٥) «الحلية» (١/ ٨١)، و«صحيح التوثيق» ص(٧٤).
(٦) «تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين» ص (٦٤٥).

عليًّا رضي الله عنه ركب حمارًا ودلّى برجليه إلي موضع واحد ثمّ قال: أنا الذي أهنتُ الدنيا(وفعله هنا من باب التربية العملية على الزهد والتقوى والترفع على الدنيا وليس على سبيل الخيلاء)[١]. وأخرج أبو عبيد في «الأموال» عن عليّ رضي الله عنه أنه أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات، ثم أتاه مال من أصبهان، فقال: اغدوا إلى عطاء رابع، إني لست بخازنكم، فأخذها قوم وردها قوم[٢]. وخطب علي الناس فقال: أيها الناس، والله الذي لا إله إلا هو، ما رزأت من مالكم قليلاً ولا كثيرًا إلا هذه، وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب. فقال: أهدى إليَّ دهقان، وقال: ثم أتى بيت المال وقال: خذوا، وأنشأ يقول:

أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ قَوْصَرَة[٣]
يَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ تَمْرَة[٤]

لقد كان الزهد من الصفات البارزة في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان زهده رضي الله عنه مع توافر أسباب الرخاء والثراء، وثقة الناس وتوقيرهم وإجلالهم له الذي يمنع من النقد والحسبة والمؤاخذة[٥]، ولم يكن رضي الله عنه مع زهده وورعه وتصلُّبه في دينه، على شيء من الفظاظة والخشونة والعبوس والكلح، ولم يكن ثقيل الظل، بل كان ودودًا بشوشًا فيه دعابة ملحوظة، وقد جاء في وصفه: كان حسن الوجه، ضحوك السنِّ خفيف المشي على الأرض[٦]. وقد عرّف عليّ رضي الله عنه الزهادة فقال: أيها الناس، الزهادة قصر الأمل، والشكر عند النعم والتورع عن المحارم[٧]، وقصر الأمل ضد طول الأمل الذي ينسي الإنسان الآخرة، وأما قصره فيجعله يجمع بين الدنيا والآخرة ابتغاء مرضات الله، وأما الشكر عند النعم فهي صفات المسلم الرباني الذي يستشعر نعم الله عليه، المادية والمعنوية ما

---

(١) «تاريخ الإسلام» للذهبي ص(٦٤٥).
(٢) «كنز العمال» (٢/ ٣٢٠).
(٣) القوصرة: وعاء من قصب يجعل فيه التمر ونحوه.
(٤) «المرتضى» للندوي ص(٢١٢).
(٥) المصدر نفسه ص (٢١٠).
(٦) المصدر نفسه ص (٢١٣).
(٧) «علي بن أبي طالب»: محمد رشيد رضا ص(٣٠٤).

ظهر منها وما بطن ويقابلها بالشكر للعـزيز الوهاب، وأما التورع عن المحرمات فهو أن يبتعد عن الاقتراب من محرمات الله عز وجل، فتعريف أمير المؤمنين يبين حقيقة الزهد، ولا شك أن زهد أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه قد أثر فيمن حوله وأصبح مدرسة مؤثرة في تاريخ الأمة، وقد ربط أبو الحسن الندوي بين الزهد والتجديد في المجتمع الإسلامي فقال: ولقد رأينا الزهد والتجديد مترافقين في تاريخ الإسلام، فلا نعرف أحدًا ممـن قلب التيـار، وغير مـجرى التـاريخ، ونفخ روحًا جـديدة في المجتـمع الإسلامي، أو فتـح عهدًا جديدًا في تاريخ الإسـلام، وخلف تراثًا خالدًا في العلم والفكر والدين، وظل قرونًا يؤثر في الأفـكار والآراء ويسيطر على العلم والأدب، إلا وله نزعة في الزهد، وتغلب على الشهوات، وسيطر على المادة ورجالها، ولعل السـر في ذلك أن الزهد يكسب الإنسـان قوة المقـاومة، والاعـتـداد بالشخـصيـة والعقيدة، والاستهانة برجال المادة، ويصرعى الشهوات، وأسرى المعدة[1].

## ثالثًا: تواضع أمير المؤمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

من الأخلاق القـرآنية التي تجسدت في شـخصية أمـير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خلق التواضع، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا**﴾ (الإسراء:٣٧)، وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾ (لقمان:١٨-١٩).

وفي آية الإسـراء دعوة واضـحة إلى التـحلي بمكارم الأخلاق من التـواضع واللين، ومعرفـة قدر النفس؛ لأن النهي الصريح عن رُعـونات النفس من الكبر والبطر والأشر والاحتقار للناس، والأمر بـضده وهو التواضع والقصد في الأمور منصوص صراحة بعد أن علم بالمفـهوم من النهي السابق، وذيل الله تعالى النهي والأمـر بما ذيل به النهي السابق مـن عدم رضـاه وشدة سـخطه على من اتصف بتلك الصفات فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ فعدم محبته لمن

(١) «رجال الفكر والدعوة» في حديثه عن الإمام أحمد (١/ ١٠٥).

كان كذلك ، يعني بغضه له، كما دلت عليه الآية السابقة، وفي هذا من الحث على التواضع ما فيه الكفاية للمؤمن(١)، غير أن القرآن الكريم لم يقتصر على ذلك، بل نوه بالمتواضعين أيما تنويه حيث قال الله جل ذكره: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ (الفرقان: ٦٣).

وهذا تنويه عظيم بالمتواضعين حيث وصفهم بالعبودية له، وذلك أعظم تشريف لهم؛ لأن العبودية له سبحانه، هي أشرف الأوصاف ومن أعلى مراتب المحبين ، وبذلك يتفاخرون ولذلك يقول الشاعر:

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفًا وَتِيهًا
وَكِدْتُ بِأَخْمُصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي
وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا(٢)

وكان نبينا محمد ﷺ في ذروة الذُّرا من هذا الخلق العظيم في كل صوره وأشكاله، ولا غرابة في ذلك فهو الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وكان مما أدبه الله تعالى به في هذا الخلق قوله سبحانه وتعالى: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٨). وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٥). وخفض الجناح كناية عن التواضع لهم والرفق بهم(٣)، وقد قام النبي ﷺ بذلك حق القيام، وظهر أثر هذا التواضع في كل أحواله الذاتية والاجتماعية والأسرية، وفي كل زمان ومكان بحيث لا يخلو حال من أحواله ﷺ عن التواضع لله تعالى والمؤمنين(٤)، وقد تأثر أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه بالتربية القرآنية الكريمة، والتربية

(١) «أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة»، د. أحمد الحداد (١/ ٤٥٤).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٤٥٥)، ينسب للمصدر الأصلي.
(٣) «روح المعاني» للألوسي (٥/ ٨٠).
(٤) «أخلاق النبي في القرآن والسنة» (١/ ٤٥٩).

النبوية الرشيدة، فكانت هذه الصفة متجسدة في شخصيته الفذة، وإليك بعض المواقف:

### ( أ ) أنا الذي أهنت الدنيا:

عن صالح بن أبي الأسود عمن حدثه أنه رأى عليًا رضي الله عنه قد ركب حمارًا ودلى رجليه إلى موضع واحد ثم قال: أنا الذي أهنت الدنيا[(١)]، وهكذا يشعر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالفرح لانتصاره على نفسه، وظهوره بمظهر التواضع أمام الناس وهو خليفة المسلمين، إن مناصب الدنيا خداعة غرارة، وإن فتنة الجاه بها أعظم من فتنة المال، فلطالما رأى الناس مسؤولين كانوا متواضعين قبل أن يلوا، فلما تولوا مناصب كبيرة بدأ التعاظم في نفوسهم شيئًا فشيئًا، حتى يكون من الصعب في آخر الأمر مخاطبتهم واللقاء معهم، لكن أولياء الله المتقين كلما ازدادوا رفعة في المناصب الدنيوية زادوا تواضعا للناس، وشعروا بالسرور وهم يقومون بمظاهر التواضع التي تنفي عنهم صفة التجبر والكبرياء[(٢)].

### (ب) أبو العيال أحق أن يحمل:

روي عن عليّ رضي الله عنه: أنه اشترى تمرا بدرهم فحمله في ملحفة، فقالوا: نحمل عنك يا أمير المؤمنين، قال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل[(٣)]، فهذا مثل من تواضعه حيث حمل متاعه بنفسه مع كونه أمير المؤمنين ومع كبر سنه، فلم ير في ذلك مسوغا لقبول خدمة الناس له، وهو بهذا يجعل من نفسه قدوة حسنة للمسلمين في التواضع فلو نازعت أحد الكبراء نفسه في تصور العيب من حمل المتاع، فإنه بتذكره لموقف أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه يزول ما في نفسه من ذلك، ولو اعترض على أحد المتواضعين معترض فإن له من الاقتداء بأكبر أمير على وجه الأرض ما يرد هذا الاعتراض[(٤)].

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٥).

(٢) «التاريخ الإسلامي» (١٧/ ٦٣) للحميدي.

(٣) «الزهد» للإمام أحمد ص (١٣٣).

(٤) «التاريخ الإسلامي» من (١٧/ ٦٤).

### (ج) معاملته لعمه العباس رضي الله عنهما:

عن صهيب مولى العباس، قال: رأيت عليًا رضي الله عنه يقبل يد العباس ورجله ويقول: ياعم، ارض عني[١] ولنتأمل ما ورد في وصف ضرار الصدائي لعليّ رضي الله عنه حيث يقول: يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا تنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له[٢].

ومن أقوال أمير المؤمنين في التواضع: تواضع المرء يكرمه[٣]، إن العبد كلما رسخ في العلم بالكتاب والسنة وعمل بهما، وعرف حقيقة نفسه ازداد تواضعًا لله ولخلقه، كما أن علة من أعجب بنفسه من بعض دعاة اليوم، إنما هي من قلة العلم والفهم، إضافة إلى انصراف نظر الداعي إلى كثرة من حوله من الأتباع، وغفلته عن النظر إلى ما عند الله، ثم إلى من فوقه من العلماء الربانيين، وهذا من مداخل الشيطان الخفية على طلاب العلم والمحسوبين على حق الدعوة، وقد قيل من منثور الحِكَمْ: إذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال، ولكن انظر إلى من فوقك من العلماء[٤]، ونختم هذه الصفة بقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله، وأحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل[٥]، والتيه المقصود به الاستغناء بالله عمًّا في أيدي الأغنياء ولا يعني أبدًا التكبر والغرور.

### رابعا: كرمه وجوده:

من الأخلاق القرآنية الكريمة التي تجسدت في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، خلق الكرم والجود، وقد كان تنويه القرآن الكريم بأهل الكرم

(١) «أصحاب الرسول» (١/ ٢٢٤)، و«السير» للذهبي (٢/ ٩٤)، وإسناده صحيح.
(٢) «الاستيعاب» (٣/ ١١٠٨).
(٣) «منهج أمير المؤمنين علي في الدعوة» ص (٥٢٣).
(٤) «هداية المرشدين» ص (١٠٥) لعلي محفوظ.
(٥) «موعظة المؤمنين» (٢/ ٣٤٤)، و«فرائد الكلام» ص (٣٣٩).

عظيمًا، وقد كان هذا التنويه من أول القرآن الكريم حيث يقول سبحانه في مستهل ثاني سورة بعد البسملة: ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣)﴾ ثم وصفهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١-٥).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢١-٢٤)، وقد كان رسول الله ﷺ قد بلغ مبلغ الكمال والعظمة في كافة الأخلاق ولا سيما خلق الكرم، وقد وصفته خديجة رضي الله عنها بقولها: إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق[1]، فهي تصفه بهذه الصفات البالغة العظمة والخطورة التي كان عليها قبل بعثته ورسالته، ولم يكن قد تحمل أعباء أمته، ولقد أضفت عليه النبوة زيادة كمال وعظمة، فكيف به بعد ذلك كله؟ لا جرم أن كرمه ﷺ بعد ذلك سيكون بالغا ذروة الذرى في كرم الأنبياء وسائر البشر، وهو ما دلت عليه الدلائل النقلية الكثيرة[2]، وقد تأثر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالتربية القرآنية والنبوية وترك لنا آثاراً بارزة دالة على تأصل خلق الجود والكرم في شخصيته العظيمة، فقد ذكر الحافظ ابن كثير من خبر الأصبغ ابن نباتة: أن رجلا جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فرفعتها إلى الله تعالى قبل أن أرفعها إليك، فإن قضيتها حمدت الله وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك، فقال علي رضي الله عنه: اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكتب: إني

(١) «السيرة النبوية» (١/١١٦).

(٢) «أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة» (٢/٦٤٨).

محتـاج، فقال علي رضي الله عنه: علي بحلة، فأتـي بها، فأخذها الرجل فلبسها، ثم أنشأ يقول:

كَسَوْتَنِي حُلَّةً تَبْلَى مَحَاسِنُهَا
فَسَوْفَ أَكْسُوكَ من حُسْنِ الثَّنَا حُلَلاً
إنْ نِلْتَ حُسْنَ ثَنَائِي نِلْتَ مَكْرُمَةً
ولَسْتُ أَبْغِي بِمَا قَدْ قُلْتُهُ بَدَلاً
إنَّ الثَّنَاءَ لَيُحْيِي ذِكْرَ صَاحِبِهِ
كَالغَيْثِ يُحْيِي نَدَاهُ السَّهْلَ وَالجَبَلاَ
لا تَزْهَدْ الدَّهْرَ فِي خَيْرٍ تُوَاقِعُهُ
فَكُلُّ عَبْدٍ سَيُجْزَى بالذي عَمِلاَ

فقال علي رضي الله عنه: علي بالدنانير، فأتي بمائة دينار فدفعها إليه، فقال الأصبغ: ياأمير المؤمنين، حلة ومائة دينار؟ قال: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**أنزلوا الناس منازلهم**»، وهذه منزلة هذا الرجل عندي[1]، فهذا موقف جليل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في الوقوف عند حاجات المحتاجين والاهتمام بأمورهم ورعاية مشاعرهم، وإن أروع ما في هذا الخبر قوله: اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكم يعاني المحتاجون من الذل بين يدي من يعرضون عليهم حوائجهم، وقد يتلعثمون فلا يستطيعون النطق، ولقد كانت مشاعر ذلك المحتاج عظيمة حينما واجهه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بهذه المعاملة السامية، ولقد صاغ هذه المشاعر بالأبيات المذكورة[2]، وقد كان رضي الله عنه يفرح بقدوم الضيف، ويكرم إخوانه في الله

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٩).
(٢) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (١٧/ ١٢٧).

ويتفقدهم، فعن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه قال: لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام، أخاف أن يكون الله قد أهانني[1].

وقال: لعشرون درهما أعطيها أخي في الله أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين[2]، وعندما سئل عن السخاء، قال: ما كان منه ابتداء، فأما ما كان من مسألة فحياء وتكرم[3]، وقد جعل في حياته أوقافًا لله تعالى؛ حيث جعل أرضه بينبع وقفًا وكتب فيها كتابًا: هذا ما أمر به علي بن أبي طالب، وقضى في ماله: إني تصدقت بينبع ووادي القرى الأذينة وراعة في سبيل الله وذي الرحم القريب والبعيد، ولا يوهب ولا يورث، حيًا أنا أو ميتًا[4]، وقد قال عن صدقته: لقد رأيتني وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإن صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار[5]، ولم يرد بقوله أربعة آلاف دينار زكاة ماله، وإنما أراد الوقوف التي جعلها صدقة، كان الحاصل من دخلها صدقة هذا العدد، فإن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه لم يدخر مالاً، ودليل ذلك[6]، ما قاله ابنه الحسن بعد مقتله: لقد فارقكم رجل ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم، بقيت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادمًا، يعني عليًّا رضي الله عنه[7]، وكان يحث الناس على إكرام العشيرة فيقول: أكرم عشيرتك؛ فإنهم جناحك الذي به تطير، فإنك بهم تصول، وبهم تطول، وهم العدة عند الشدة، أكرم كريمهم، وعد سقيمهم وأشركهم في أمورك، ويسر عن معسرهم[8].

## خامسًا: الحياء من الله تعالى:

الحياء من أجل مكارم الأخلاق؛ لأنه يدل على طهارة النفس، وحياة الضمير ويقظة الوازع الديني ومراقبة الله تعالى؛ إذ من لم يكن ذا حياء لم يقر الضيف، ولم يف بالوعد، ولم يؤد الأمانة، ولم يقض لأحد حاجة، ولا تحرى الجميل

(١) «فرائد الكلام» ص(٤٠٢)، و«موعظة المؤمنين» (٢/ ٢٥٢).
(٢) «موعظة المؤمنين» (١/ ١٣٩).
(٣) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص(٢٠٤).
(٤) «تراث الخلفاء الراشدين» ص (٥١٧).
(٥) «أسد الغابة» (٤/ ٧).
(٦) «صحيح التوثيق» ص(٧٧).
(٧) «الطبقات» (٣/ ٣٨).
(٨) «فرائد الكلام» ص (٣٤٨).

فآثره، والقبيح فتجنبه، ولا ستر عورة، ولا امتنع عن فاحشة، وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه؛ لم يؤد شيئًا من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقًا، ولم يصل له رحمًا، ولا بر له والدًا؛ فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني ــ وهو رجاء عاقبتها الحميدة ــ وإما دنيوي علوي، وهو حياء فاعلها من الخلق وقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق، وإما من الخلائق لم يفعلها صاحبها[1]، وعلى حسب حياة القلب تكون قوة خلق الحياء، فكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتم، وقلة الحياء من موت القلب والروح[2]، وهو من شعب الإيمان؛ لأنه يكون باعثًا على أفعال البر، ومانعًا من المعاصي[3]، ولهذا كان من الأخلاق العليا التي كان للقرآن الكريم بها عناية عظيمة[4]، فقد تحدث القرآن الكريم عن الحياء في الجانب النبوي في قوله تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**﴾ (الأحزاب: ٥٣)، فترى كيف حمله الحياء على عدم مواجهة أصحابه بما كان يرغب فيه من خروجهم، ولم يستطع مشافهتهم بما يوده منهم[5]؛ لأنه ﷺ، كان أشد حياءً من العذراء في خدرها[6]، وقد قال ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[7]، وقد تجسد هذا الخلق في شخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد حدثنا عن هذا الخلق فقال: إني لأستحي من الله أن يكون ذنب أعظم من عفوي، أو جهل أعظم من حلمي، أو عورة لا يواريها ستري، أو خلة لا يسدها جودي[8]، فهذه أربع صفات من النقص قابلهن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأربع صفات من الكمال، فالحياء من الله عز وجل يقتضي من الإنسان أن يتصف بالعفو عند المقدرة، وذلك فيما

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٣٧٧).
(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٥٩).
(٣) «شرح مسلم» للنووي (٣/ ٥).
(٤) «أخلاق القرآن الكريم» (١/ ٤٧٨).
(٥) «أخلاق النبي في القرآن والسنة» (١/ ٤٧٨).
(٦) «مسلم» رقم (٢٣٢٠).
(٧) «مسلم» رقم (٣٧).
(٨) «تاريخ دمشق» (٤٢/ ٥١٧) نقلاً عن «التاريخ الإسلامي» للحميدي (٢٠/ ٢٧٤).

إذا لم يكن الذنب فيه حد من حدود الله تعالى وأن يتصف بالعلم الذي يحتوي جهل الجاهلين، وأن يكون ستارا لعيوب الناس، وأن يتسع كرمه لسد حاجة من احتاج إليه، ومما أعطى هذه الحكم وزنها الراجح أن أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه ربطها بالحياء من الله تعالى، فهذه الصفات الأربع تعتبر من صفات الكمال عند العقلاء، لكن كثيراً من العقلاء يتصف بها لكسب السمعة الدنيوية وسياسة الأمور بكسب الناس ورضاهم، أما أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه فإنه ربطها بالحياء من الله تعالى؛ لأن هدفه الأعلى ابتغاء مرضات الله جل وعلا، ولا شك أن من هذا هدفه سيكون تمثيله لهذه الصفات أقوى بكثير ممن كان هدفه دنيوياً[1].

## سادسًا: شدة عبوديته وصبره وإخلاصه لله تعالى:

مارس عليّ رضي الله عنه مفهوم العبادة الشامل في حياته، وتميز بقيامه لليل، وأصبح من أهل التهجد. الذي قال الله فيهم: ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ (السجدة: ١٦)، وقال تعالى فيهم: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ (الذاريات: ١٦- ١٨)، وقال تعالى فيهم: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ (الفرقان: ٦٣-٦٤) وهذا ضرار ابن ضمرة الكناني يصف علي بن أبي طالب لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: كان يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه يتميل في محرابه، قابضًا لحيته، يتململ تململ السليم[2] ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا: أبي تغررت أم إلي تشوفت هيهات هيهات، غري غيري، قد باينتك[3] ثلاثًا، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير[4]، آه من قلة الزاد، وبعد

(١) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (٢٠/ ٢٧٥).
(٢) السليم: الملدوغ.
(٣) باينتك: أي طلقتك.
(٤) خطر بمعنى: القدر والمنزلة.

السفر ووحشة الطريق، فوكفت[١] دموع معاوية رضي الله عنه على لحيته، ما يملكها وجعل ينشفها بكُمِّه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن -رحمه الله- كيف وجدُكَ عليه يا ضرار؟ قال وجدُ من ذبح واحدُها في حجرها، لا يرقأ[٢] دمعها، ولا يسكن حزنها. ثم قام فخرج[٣].

ودخل الأشتر النخعي على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو قائم يصلي بالليل، فقال له: يا أمير المؤمنين: صومٌ بالنهار وسهر بالليل وتعبٌ فيما بين ذلك، فلما فرغ "علي" من صلاته قال له: سفر الآخرة طويل، فيحتاج إلى قطعه بسير الليل[٤]، وكان أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه يحث الناس على تقوى الله ومراقبته، وخشيته، فقد قال: أيها الناس، اتقوا الذي إن قلتم سمع وإن أضمرتم علم، وبادروا الموت الذي إن هربتم أدرككم وإن أقمتم أخذكم[٥]، وكان يقول: يأيها الناس خذوا عني هؤلاء الكلمات، فلو ركبتم المَطِيَّ حتى تُنضوها ـ يعني تهزلوها ـ ما أصبتم مثلها: لا يرجون عبد إلا ربه، ولا يخافنَّ إلا ذنبه، ولا يستحي ـ إذا لم يعلم ـ أن يتعلم، ولا يستحي ـ إذا سئل عما لا يعلم ـ أن يقول: لا أعلم، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس له[٦] ففي هذه الوصية الجمع بين تصحيح التوحيد، والإرشاد إلى آداب العلم، حيث يوصي رضي الله عنه بتصحيح الاتجاه في مقامي الخوف والرجاء، فالمؤمن الحق لا يرجو إلا الله؛ لأنه وحده المنعم بسائر النعم، والذي تجري على أيديهم النعم من المخلوقين إنما هم وسائط وأسباب في وصول تلك النعم، أما منشئ النعم وموجدها فهو الله سبحانه وتعالى، والمؤمن الحق لا يخاف إلا من الله تعالى؛ لأنه هو الذي يملك ضره ونفعه، والمخلوقون الذين يتوهم الناس أنهم مصدر خوف إنما هم وجميع الخلق في قبضة الله تعالى، وإذا كان الله تعالى

(١) فوكفت: أي سالت. (٢) يرقأ: لا يسكن ولا يجف.
(٣) "حلية الأولياء" (١/ ٨٤ ـ ٨٥)، و"الرقة والبكاء" ص(١٩٨).
(٤) "لطائف المعارف" لابن رجب، و"التحمس لقيام الليل"، محمد صالح ص(٩٣).
(٥) "أدب الدنيا والدين" ص (١٢٣)، و"فرائد الكلام" ص (٣٦٩).
(٦) "حلية الأولياء" (١/ ٧٥)، و"صفة الصفوة" (١/ ٣٢٦).

وحده هو الرازق وهو الخالق وحـده، وهو المالك وحده القادر على كل شيء فلِمَ يرجو المؤمن سـواه؟، أو يخاف من غيره ولقـد عبر أمـير المؤمنين عليّ رضي الله عنه عن الخوف من الله تعالى بالخوف من الذنوب؛ لأن المراد هو الخوف من عـاقبتها وهو عذاب الله تعالى فـهو إرشاد لأهم السبل الموصلة إلى تحقيق مـقام الخوف من الله تعالى، ثم بين شيـئًا من آداب التعلم؛ لأن أمور الدين إنما تؤخذ بالعلم، فـيذكر من آداب المتعلم ألاَّ يمنعـه الحياء من التعلم حـتى لو كان كبيـر السن، أو القدر، ويذكر من آداب المعلِّم ألاَّ يمنعـه الحياء من أن يقـول: لا أعلم ؛ لأن ذلك يحفظ عليه دينه ودين من سأله، ثم يختـتم وصيته النافعة ببـيان أصل من أصول الإيمان ألا وهو الصبر حـيث يعتبره من الإيمان بمنزلة الرأس من الجـسد، وذلك أن نجاح الأمور كلها يقوم على الصبر سواء في أمور الدنيا أو الآخرة(١).

وقد مارس أميـر المؤمنين عليّ رضي الله عنه مقام الصبر في حيـاته منذ نعومة أظافره، وإسلامه سرًا مع رسول الله ﷺ مـرورًا بما لاقاه في المغـازي والسرايا وعـهد الخلفاء الراشدين وما صـحبها من أحداث جسام، ومـن ثم ما واجهه من صنوف الفتن في خلافـته، إلى أن انتهى الأمـر بقتله، كل هذه المراحل في حـياته فيـها الدروس البليغـة لدعاة اليـوم، والتنبيه لهم لما تحـتاجـه الدعوة إلى الله سبـحانه وتعالى من الصبر والتحمل ودفع الثمن(٢)؛ ابتغاء مرضاة الله تعالى، وكان رضي الله عنه يحث أصحـابه على مقام الـصبر، فـقد قال رضي الله عنه للأشـعث ابن قيس: إنك إن صبرت جـرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جـزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور(٣)، وقال رضي الله عنه : ألاَّ إن الصـبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسـد، فإذا قطع الرأس بار الجسم، ثم رفع صـوته فقال: ألاَّ إنه لا إيمان لمن لا صـبر له(٤)، وقال: الصبر مطية لا تكبو، والصبر له مكانته المعروفة في دين الله، فقد ذكر الله

---

(١) «التاريخ الإسلامي» (١٢/ ٤٣٤).

(٢) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص(٥٢٥).

(٣) «أدب الدنيا والدين» ص (٢٧٨)، و«فوائد الكلام» ص (٣٧١).

(٤) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» لابن القيم ص (١٥٣).

تعالى الصبر في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠)، وقد جاء ذكر فضائله في أحاديث كثيرة والصبر له ثلاثة أقسام وهي الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله والصبر على البلاء.

وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حريصًا على أن تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى، عاملا بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف:٢٩)، وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف:١١٠)، وقوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (غافر:١٤) وقوله جل شأنه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (غافر:٦٥)، فقد كان أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قد تعلم من رسول الله ﷺ أن الأعمال لا تقبل إلا إذا خلصت النية، فمعنى ذلك أن الإخلاص ركن أساسي في العبادة، وأن العبادة التي يفقد منها الإخلاص ترد على صاحبها كما جاء في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»(١)، فقد كان عليّ رضي الله عنه محاربًا للشرك بجميع أشكاله وأنواعه سواء شرك الربوبية أو شرك الألوهية، وكان حريصًا في سكناته وحركاته أن تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى، وكان يحث الناس خصوصًا طلاب العلم على البعد عن الرياء، فقد قال رضي الله عنه: يا حملة العلم، اعملوا به؛ فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتُهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يجلسون حلقًا، فيباهي بعضهم بعضًا، حتى إن أحدهم ليغضب على جليسه حين يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل(٢).

وقد أشار أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه إلى إحدى الأمراض الخطيرة عند بعض من

---

(١) «مسلم»، كتاب الزهد رقم (٢٩٨٥).

(٢) «سنن الدارمي» في المقدمة (١/١٠٦)، و«الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٩٠).

يجلس للتعليم للمباهاة والسمعة، ويغضب على طلابه لو تركوه وذهبوا لغيره، ولو كان هذا الذهاب فيه مصلحة لهم، فليست مصلحة طلابه عنده هي المهمة، بل المهم عنده مكانته وسمعته، وإن لم يقل ذلك بلسان المقال، فإنه يتبين من حكاية الحال[1]؛ لأن من إخلاص الداعي إلى الله أن يكون همه أن يتبع الناس الحق ولو خالفوا رأيه، وهذه حال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد قال: اقضوا كما كنتم تقضون فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي[2]، وكان ذلك في رأي رآه في عدم جواز بيع أم الولد، وكان عمر يرى رأيه هذا ثم رجع علي رضي الله عنه عن رأيه الأول فرأى أنهن يبعن[3]، وهذا تعليم للدعاة وطلاب العلم أن الخلاف في الرأي المشروع أمر طبيعي يجب ألاَّ تضيق به الصدور ولا يؤثر على وحدة الصف، إن دعاة اليوم في أشد الحاجة أن يراجعوا أنفسهم في هذا الخلق وأين هم منه، وأن يتضرعوا إلى الله يمدهم بهذه الصفة الجميلة حتى ينالوا ثواب الله بعد مماتهم، وتثمر دعوتهم إلى الله في دنياهم، لقد كانت عبادة عليّ رضي الله عنه قائمة على كمال الإخلاص لله تعالى، واتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم، فالله هو المستحق للعبادة وحده، فقد كانت حياته كلها عبادة، ينتقل فيها من نوع إلى نوع، ومن حال إلى حال يمتثل قول الله عز وجل: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣)، لقد كانت العبادة، عاملاً مهمًا في تزكية الأخلاق والاستقامة على شرع الله تعالى، ولذلك عرّف أمير المؤمنين الاستقامة في تفسيره لمعنى استقاموا فقال: أدوا الفرائض[4].

## سابعًا: شكره لله:

والشكر هو صرف العبد كل ما أنعم به عليه إلى ما خلق لأجله[5]، يعني من نعمه الظاهرة والباطنة في النفس والمال، فيصرف ذلك كله إلى عبادة ربه بما

(١) منهج علي بن أبي طالب ص (٥١٣).
(٢) البخاري، كتاب: فضائل الصحابة (٣/ ٢٣).
(٣) فتح الباري (٧/ ٧٣).
(٤) زاد المسير (٧/ ٢٥٤).
(٥) التوقيف على مهمات التعاريف ص(٤٣٥).

يليق بكل جارحة علـى الوجه الأكمل، وإذا ما فعل ذلك كـان قد أظهر نعم الله عليه، وأدى واجب شكرها(١). يعتبر الشكر من أجل الأخلاق السلوكية الإيمانية التي على المؤمن أن يـتحلى بـها في كـل أحواله لما فـيـه من الاعـتـراف بالنعم لمسديها، وقد دل علـى عظم مكانته انضواء جُل الأخلاق الإيمانية تحتـه من محبة ورضـا وتوكل؛ لأن الشكـر لا يتم إلا بعـد التـحلي بهـا، ولا يكون إلا عند استشعارها(٢)، ولقد كانت عناية القرآن الكريم بهذا الخـلق عظيمة كعظم مكانته في الأخلاق، فقد ورد ذكره في نحو من سبعين آية، آمرًا به، وحثًا عليه، وثناء على أهله، ووعدًا لهم بحـسن جزائه، ونهيًا عن ضـده مما يدل على أمر عظيم، وهو أن هذا الخلق عظيم الشأن(٣)، فقد قرن الله سبحانه في كتابه الذكر بالشكر، فقـال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة:١٥٢)، وقرن سبحانه العـبادة بالشكر، قال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (العنكبوت:١٧). مما يدل على تلازم العبودية بالشكر تـلازمًا وثيقًا(٤) وكان رسول الله ﷺ صاحب القِدْح المعلى في كل الأخلاق الحميدة ومنها هذا الخلق، وربى أصحابه ومنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه على هذا الخلق، فكان لا يشعـر بنعمة إلا شكر الله علـيها، وكـان إذا خرج من الخلاء مـسح بطنه بيده، وقال: يا لها من نعمـة لو يعلم العباد شكرها(٥)، وعن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه أنه قـال لرجل من أهل همدان: إن النعـمة مـوصولـة بالشكر، والشكر متـعلِّق بالمزيد، وهما مقرونان في قـرن، فلن ينقطع المزيد من الله عز وجل حتى ينقطع الشكر من العبد(٦)، وكان رضي الله عنه يرى أن من شكر النعمة العفو عن الخصم، فقد قال رضي الله عنه: إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرًا للمقدرة عليه(٧).

(١) «أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة» ص (١٨٥).
(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٤٩).
(٣) «أخلاق النبي في القرآن والسنة» (١/ ١٨٦). (٤) المصدر نفسه (١/ ١٨٧).
(٥) «عدة الصابرين» ص (١٢٢)، و«علو الهمة» (٥/ ٤٨١).
(٦) «الشكر» لابن أبي الدنيا، نقلاً عن «علو الهمة» (٥/ ٤٨١).
(٧) «الإعجاز والإيجاز» للثعالبي ص(٣٠).

**ثامنًا: الدعاء لله:**

الدعـاء باب عظيم، فإذا فـتح للعـبد تتـابعت عليـه الخيـرات وانهالت عليـه البركات، ولذلك حرص أميـر المؤمنين رضي الله عنه على حسن الصلة بالله وكثرة الدعاء، قال تعـالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠). وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦)، وقـد لازم أميـر المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه رسـول الله صلى الله عليه وسلم ورأى كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستـغيث بالله ويستنصره ويطلب المدد منه، وقد حرص أميـر المؤمنين على أن يتعلم هذه العبـادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يكون دعاؤه وتسبيحه على الصيغة التي يأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرتضيها؛ إذ ليس للمسلم أن يفـضل على الصيـغة المأثورة في الدعاء والتـسبيح والـصلاة على النبي صيغًـا أخرى مهمـا كانت في ظاهرها حسنة اللفظ، جيـدة المعنى؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معلم الخـير والهادي إلى الصراط المستقيم، هنا وهو أعـرف بالأفضل والأكمل، وقد نسب أقوام كـثيرًا من الدعاء والذكر المبتـدع لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كذبًا وزورًا وبهتـانًا، فمن كان محبًا لأمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ، فعليه أن يتبع هديه ومنهجه، فقد أرشدنا لمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال.

وكان أمير المؤمنـين عليّ رضي الله عنه صاحب دعوة مستجابـة، فعن زاذان أبي عمر أن رجلاً حدث عليًا بحديث فقال: ما أراك إلا قد كذبتني، قال: لم أفعل قال: أدعو عليك إن كنت كـذبت، قال: ادع؛ فدعـا فما برح حـتى عمي[1]، وكان رضي الله عنه يقول عنـدما يثنى عليـه: اللهم اغفر لـي ما لا يعلمون، ولا تـؤاخذني بما يقولون، واجعلنـي خيرًا مما يظنون[2]، ويروي أميـر المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمـد لله، وليرد**

---

(١) «البداية والنهاية» (٦/٨).

(٢) «فرائد الكلام»، و«موعظة المؤمنين» (٢/٢٢٨).

عليه من حوله: **يرحمك الله، وليرد عليهم: يهديكم الله، ويصلح بالكم»**[١]، وفي هذا الفعل من حسن الخلق تأدب مع الله سبحانه وتعالى بحمده والثناء عليه في مناسبة أمر فيها العبد بذلك.

قال الحليمي: العطاس يدفع الأذى من الدماغ، الذي فيه قوة الفكر، ومنه منشأ الأعصاب، التي هي معدن الحس وبسلامته تسلم الأعضاء، فيظهر بذلك أنها نعمة جليلة، فناسب أن تقابل بالحمد لله؛ لما فيه من الإقرار لله بالخلق والقدرة، وإضافة الخلق إليه لا إلى الطبائع[٢]، وبين أمير المؤمنين عليّ ﵁ أدبًا من آداب المسافر فيما يرويه عن رسول الله ﷺ بقوله: كان النبي ﷺ إذا أراد سفرًا قال: «**بك اللهم أصول وبك أجول، وبك أسير**»[٣]. وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ أدبًا آخر من آداب المسافر، وذلك لما أراد سفرًا ووضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم حمد الله ثلاثًا، وكبر ثلاثًا، ثم قال: اللهم لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، قال: فقيل: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت النبي ﷺ فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا نبي الله قال: «**عجبت للعبد، إذا قال: لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو[٤]، وعن ابن أعبد قال: قال لي علي بن أبي طالب ﵁: يابن أعبد، هل تدري ما حق الطعام؟ قال: قلت: وما حقه يابن أبي طالب؟ قال: تقول: بسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، قال: وتدري ما شكره إذا فرغت؟ قال: قلت وما شكره؟ قال تقول: الحمد لله الذي أطعمنا

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٢/ ١٢٢٤)، «صحيح سنن ابن ماجه» للألباني (٢/ ٣٠٣).
(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٦٠٢).
(٣) «مسند أحمد» (٢/ ٨٣) إسناده صحيح، قاله: أحمد شاكر.
(٤) «مسند أحمد» (٢/ ١٨٣)، وإسناده صحيح قاله أحمد شاكر.

وسقانا[١]، وكان رضي الله عنه إذا رأى الهلال قال: «اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وفتحه ونصره وبركته ورزقه ونوره وطهوره وهداه، وأعوذ بك من شره وشرّ ما فيه وشر ما بعده»[٢]، وكان يقول في السجود: «رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي»[٣]، وكان يقول بين السجدتين: «اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارزقني»[٤].

وكان يُعَلِّم من دخل السوق هذا الدعاء فيقول: إذا دخلت السوق فقل: «بسم الله الرحمن الرحيم، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة، وصفقة خاسرة، ومن شرما أحاطت به هذه السوق»[٥]، وكان يقول: «ما من كلمات أحب إلى الله من أن يقول العبد: «الله لا إله إلا أنت، اللهم لا أعبد إلا إياك، اللهم لا أشرك بك شيئًا، اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[٦]، وكان يقول: «اللهم ثبتنا على كلمة العدل بالرضى والصواب، وقوام الكتاب، هادين مهديين، راضين مرضيين، غير ضالين، ولا مضلين»[٧]، ومن أدعيته رضي الله عنه : اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، وبجبروتك الذي غلبت به كل شيء، وبعظمتك التي غلبت بها كل شيء، وسلطانك الذي ملأت به كل شيء، وبقوتك التي لا يقوم لها شيء، وبنورك الذي أضاء له كل شيء، وبعلمك الذي أحاط بكل شيء، وباسمك الذي تبيد به كل شيء، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء، يا الله يارحمن يا رحيم، اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، والذنوب التي تورث الندم، واغفر لي الذنوب التي تحبس القسم، واغفر لي الذنوب التي تغير النعم، واغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء، وتديل الأعداء، واغفر لي الذنوب التي تحبس غيث السماء وترد الدعاء، واغفر لي الذنوب التي تردني إلى

(١) «مسند أحمد» (٢/٣٢٩) قال المحقق: وإسناده حسن.

(٢) «كنز العمال» رقم (٢٤٣١٠)، و«فقه علي بن أبي طالب»، لقلعجي ص(٢٥١).

(٣) «فقه علي بن أبي طالب»، لقلعجي ص(٢٥١).

(٤) المصدر نفسه ص (٢٥١).

(٥) «فقه علي بن أبي طالب» (ص٢٥١).

(٦) «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/١٤٩).

(٧) «فقه علي بن أبي طالب» ص٢٥٢).

النار(١)، وهذا الدعاء يبين افتقار أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه إلى ربه وخوفه من ذنوبه، ويعلمنا كيفية التعامل مع أسماء الله الحسنى ودعاء الله بها سبحانه وتعالى، وهذا الدعاء يسلط الأضواء على عبودية أمير المؤمنين لله عز وجل.

وعن عليّ رضي الله عنه قال: لـقّنني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات وأمرني إن نزل بي كربة أو شدة أن أقول: «**لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحانه، تبارك الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين**»(٢)، وكان عبدالله بن جعفر يلقنها الميت وينفث بها على الموعوك(٣)، ويعلمها المغتربة من بناته(٤).

**هذه بعض صفاته التي كانت ثماراً لتوحيده وإيمانه بالله، واستعداده للقدوم على الله تعالى، وسوف يلاحظ القارئ الكريم كثيراً من صفاته بإذن الله تعالى؛ كالشجاعة، والحلم والفصاحة، والبلاغة، وغيرها من الصفات من خلال الأحداث التي تمر بها في هذا الكتاب.**

## تاسعًا: المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

كانت المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والاقتداء بالشيخين في هديهم.

**١ - فالمصدر الأول هو كتاب الله:** قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**﴾ (النساء: ١٠٥)، فكتاب الله تعالى يشتمل على جميع الأحكام الشرعية التي تتعلق بشؤون الحياة، كما بيّن القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتاجون إليه من أسس تقوم عليها دولتهم، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ...الزموا دينكم واهتدوا بهدي نبيكم ﷺ، واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه(٥).

---

(١) «فقه علي بن أبي طالب» ص(٢٥٢).

(٢) «سنن البيهقي» (٧/ ١٢٩)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم رقم (٣٥٢).

(٣) الموعوك من الوعك، وهو الحمى وقيل: ألمها.

(٤) «فضائل الصحابة» (٢/ ٨٢٠) إسناده حسن.

(٥) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٤٦).

**٢- المصدر الثاني: السنة المطهرة:** التي يستمد منها الدستور الإسلامي أصوله ومن خلاله يمكن معرفة الصيغ التنفيذية والتطبيقية لأحكام القرآن الكريم[1]، فقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : واقتدوا بهدي نبيكم صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه أفضل الهدي، واستنوا بسنته؛ فإنها أفضل السنن[2].

**٣- الاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر**»[3]. وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: والذي خلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا فاجر ردي، صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان وما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بمثل رأيهما، ولا يحب كحبهما أحدًا، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهما راض، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون - واستمر في حديثه إلى أن قال في أبي بكر - وكان والله خير من بقي، أرحمه رحمه، وأرأفه رأفة، وأثبته ورعًا، وأقدمه سنًا وإسلامًا، فسار فينا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مضى على ذلك، ثم ولي عمر الأمر من بعده. . . . فأقام الأمر على منهاج النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه، يتبع آثارهما كتباع الفصيل[4] أمه. . . إلى أن قال: فمن لكم بمثلهما - رحمة الله عليهما - ورزقنا المضي على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع آثارهما والحب لهما، ألا من أحبني فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا منه بريء[5]، وكان رضي الله عنه يدافع عن اجتهادات عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ويقول: يأيها الناس لا تغلوا في عثمان رضي الله عنه ، ولا تقولوا له إلا خيرًا - أو قولوا خيرًا - فوالله ما فعل الذي فعل - أي في المصاحف - إلا عن ملأ منا جميعًا أي الصحابة. . ووالله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل[6]، وكان يقول: ما كنت لأحل عقدة شدها عمر رضي الله عنه[7].

---

(١) «فقه التمكين في القرآن الكريم» للصلابي ص (٤٣٢).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٣١٩).

(٣) «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٢٠٠).

(٤) الفصيل ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

(٥) «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي رقم (٤٤٥٦).

(٦) «فتح الباري» (٩/ ٨) إسناده صحيح.

(٧) «المختصر من كتاب الموافقة» ص(١٤٠)، وإسناده منقطع، و«ابن أبي شيبة في المصنف» رقم (١٢٠).

## عاشراً: حق الأمة في الرقابة على الحكام:

إن للأمة الحق في مراقبة الحكام وتقويمهم قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:١٠٤). وكان أول ما قاله أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه إثر توليه: إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم إلا أنه ليس لي أمر دونكم[١]، وهذا نفس ما قاله أبو بكر رضي الله عنه عندما تولى حيث قال: فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني[٢]، وما قاله عمر رضي الله عنه: أحب الناس إلي من رفع إلي عيوبي[٣]، وقال: إني أخاف أن أخطئ فلا يردني أحد منكم تهيباً مني[٤]، وما قاله عثمان رضي الله عنه: إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في القيد فضعوا رجلي في القيد[٥]، وبذلك يكون قد جرى العمل في عهد الخلفاء الراشدين على التسليم للأمة بحق الرقابة على الحكام، ولم ينكره أحد فدل ذلك على الإجماع[٦]، كما أن إجماع الصحابة - حكامًا ومحكومين - في عهد الخلافة الراشدة ليس له إلا معنى واحد وهو الفهم الصحيح للكتاب، والطريق السليم للعمل بالسنة، فهم الذين عاصروا عهد تنزيل الكتاب وعاشوا طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في إقامة حياة الناس عليه، فهم أفهم الناس لروح الدين، وأعرف الناس بمقاصد الشرع، وأقدر الناس على التمييز بين الحق والباطل، ومن المستبعد بل من المحال أن يجتمعوا على باطل؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن أمتي لا تجتمع على ضلالة**»[٧]، ولهذا كان إجماعهم حجة يسوغ أن تراعى وتوضع ضمن مصادر الدستور الإسلامي، وإجماع الأمة قد يكون على فهم نص، ويجوز أن ينعقد الإجماع عن اجتهاد وقياس، ويكون حجة[٨]، إن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه كان يحث الناس في

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٤٩، ٤٥٧). (٢) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٠٥).
(٣) «الشيخان أبو بكر وعمر من رواية البلاذري» ص (٢٣١).
(٤) المصدر نفسه ص (٢٣١)، و«نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين» ص (١٩٨)..
(٥) «مسند أحمد» الموسوعة الحديثية رقم (٥٢٤).
(٦) «الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي»، لفتحي عبدالكريم ص (٣٧٨).
(٧) «سنن ابن ماجه» (٢/ ٢٦٤) رقم (٤٠١٤). (٨) «روضة الناظر وجنة المناظر» (١/ ٣٨٥).

خلافته على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فقد خطب ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنما هلك من هلك قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار، فأخذتهم العقوبات، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقًا ولا يقرب أجلاً[١].

**الحادي عشر: الشورى:** إن من قواعد الدولة الإسلامية حتمية تشاور قادة الدولة وحكامها مع المسلمين والنزول على رضاهم ورأيهم وإمضاء نظام الحكم بالشورى، قال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ (آل عمران: ١٥٩) ، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ (الشورى:٣٨).

لقد قرنت الآية الكريمة حكم الشورى بين المسلمين بإقامة الصلاة، فدل ذلك على أن حكم الشورى كحكم الصلاة، وحكم الصلاة أنها واجبة شرعًا، فكذلك الشورى واجبة شرعا[٢]، وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حريصًا على التزام منهج الشورى في تصرفاته وأعماله وقراراته، فمن ذلك أنه حينما وصل إليه كتاب من قائده معقل بن قيس الرياحي المكلف بمحاربة الخريث بن راشد الخارجي، جمع أصحابه وقرأ عليهم كتابه واستشارهم وطلب منهم الرأي حيث اجتمع رأي عامتهم على قول واحد وهو: نرى أن تكتب إلى معقل بن قيس فيتبع أثر الفاسق فلا يزال في طلبه حتى يقتله أو ينفيه فإنا لا نأمن أن يفسد عليك الناس[٣]، ومما روي عن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه في الشورى قوله: الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه[٤]، وقوله: نعم المؤازرة المشاورة وبئس

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ١٥)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٠٣).
(٢) «النظام السياسي في الإسلام» لأبي فارس ص (٩).
(٣) «تاريخ الطبري» (٦/ ٣٩).
(٤) «أدب الدنيا والدين» للماوردي ص (٨٩، ٢٩١)، و«الإدارة العسكرية» (١/ ٢٧٩).

الاستعداد الاستبداد(١)، وقوله: رأي الشيخ خير من مشهد الغلام(٢)، ومما أوصى به أمير المؤمنين علي مالك بن الحارث الأشتر حين بعثه إلى مصر في الشورى قوله: لا تدخلن في مشورتك بخيلاً فيعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جبانًا فيضعفك عن الأمور، ولا حريصًا فيزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله(٣)، وكان عليّ ﷺ يعلم أن الحاكم إذا لم يكن له مستشارون فلا يعلم محاسن دولته ولا عيوبها، وسوف يغيب عنه الكثير من شؤون الدولة وقضايا الحكم، وكان يعلم أن الشورى تعرفه ما يجهله، وتضع أصابعه على ما لا يعرفه، وتزيل شكوكه في كل الأمور التي يقدم عليها، فها هو يقول للأشتر النخعي عندما ولاه مصر: انظر في أمور عمالك الذين تستعملهم، فليكن استعمالك إياهم اختيارًا ولا يكن محاباة ولا إيثارًا؛ فإن الأثرة بالأعمال - أي الاستبداد بلا مشورة - والمحاباة بها جماع من شعب الجور، والخيانة لله وإدخال الضرر على الناس وليست تصلح أمور الناس ولا أمور الولاة إلا بإصلاح من يستعينون به على أمورهم، ويختارونه لكفاية ما غاب عنهم، فاصطف لولاية أعمالك أهل الورع والعفة والعلم والسياسة، والصق بذوي التجربة والعقول والحياء من أهل البيوتات الصالحة وأهل الدين والورع؛ فإنهم أكرم أخلاقًا وأشد لأنفسهم صونًا وإصلاحًا، وأقل في المطامع إسرافا وأحسن في عواقب الأمور نظرًا من غيرهم، فليكونوا عمالك وأعوانك(٤).

## الثاني عشر: العدل والمساواة:

إن من أهداف الحكم الإسلامي الحرص على إقامة قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم، ومن أهم هذه القواعد العدل والمساواة، وقد قام

---

(١) «نهاية الأرب» (٦/ ٦٩) نقلاً عن «الإدارة العسكرية» (١/ ٢٧٩).

(٢) المصدر نفسه (٦/ ٧٥)، نقلاً عن المصدر نفسه (١/ ٢٧٩).

(٣) «الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية» (١/ ٢٧٩).

(٤) «نهاية الأرب» (٦/ ٢١)، و«في الحكم الإسلامي» ص (١٥١)، و«الشورى بين الأصالة والمعاصرة» عز الدين التميمي ص(١٠٢).

أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه بإقامة العدل بين الناس، وقد تضافرت كل الخصال الحميدة والمعطيات العلمية والفقهية التي جعلته مؤهلاً للقيام بدوره هذا على أكمل وجه، حتى إن الرسول صلى الله عليه وسلم لثقته به وبقدراته بعثه قاضيًا إلى اليمن(١)، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء العظيم: «**اللهم ثبت لسانه، واهد قلبه**»(٢)، لذلك كان من الطبيعي أن يقيم حكمه على العدل الشامل وأن يجعله على رأس غايات وأهداف الحكم؛ لأنه به تستقيم الأمور وتظهر المودة بين الرعية(٣)، ولاشك أن العدل في فكر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، هو عدل الإسلام الذي هو الدعامة الرئيسية في إقامة المجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي، فلا وجود للإسلام في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل، لقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قدوة في عدله أسر القلوب وبهر العقول، فالعدل في نظره الذي يسعى لتطبيقه في الحكم هو أحد أهم ركائز الخلافة الراشدة، دعوة عملية للإسلام تفتح قلوب الناس للإيمان، وقد سار على ذات نهج الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس، فعن شريح قال: لما توجه عليّ رضي الله عنه إلى حرب معاوية رضي الله عنه، افتقد درعا له، فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة، أصاب الدرع في يد يهودي يبيعها في السوق، فقال له: يايهودي، هذا الدرع درعي، لم أبع ولم أهب. فقال اليهودي: درعي وفي يدي. فقال علي: نصير إلى القاضي، فتقدما إلى شريح، فجلس علي إلى جنب شريح، وجلس اليهودي بين يديه.

فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين، فقال: نعم، أقول: إن هذه الدرع التي في يد اليهودي درعي، لم أبع ولم أهب. فقال شريح: يا أمير المؤمنين بينة، قال: نعم قنبر(٤) والحسن والحسين يشهدون أن الدرع درعي، قال: شهادة الابن لا

(١) «نظام الحكم في العهد الراشدي»، لحمد الصمد ص (١٤١).

(٢) «فضائل الصحابة» (٢/٨٧١)، وإسناده حسن رقم (١١٩٥).

(٣) «نظام الحكم في العهد الراشدي» ص (١٤١).

(٤) مولى لعلي رضي الله عنه.

تجوز للأب، فقال: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»(١). فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه؟ أشهد أن هذا الحق، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن الدرع درعك، كنت راكبًا على جملك الأورق وأنت متوجه إلى صفين، فوقعت منك ليلاً، فأخذتها. قال: أما إذ قلتها فهي لك، وحمله على فرس، فرأيته وقد خرج فقاتل مع علي رضي الله عنه الشراة بالنهروان(٢).

ومن أمثلة عدله في الحكم، عن ناحية القرشي عن أبيه قال: كنا قيامًا على باب القصر إذ خرج علي رضي الله عنه علينا فلما رأيناه تنحينا عن وجهه هيبة له، فلما جاز صرنا خلفه، فبينما هو كذلك إذ نادى رجل: يا غوثا بالله، فإذا رجلان يقتتلان، فلكز صدرهذا وصدر هذا، ثم قال لهما: تنحيا، فقال أحدهما: يا أمير المؤمنين إن هذا اشترى مني شاة وقد شرطت عليه ألاَّ يعطيني مغموزًا ولا محذقًا - يعني الدراهم المعيبة - فأعطاني درهمًا مغموزًا فرددته عليه فلطمني، فقال للآخر: ما تقول؟ قال: صدق يا أمير المؤمنين قال: فأعطه شرطه، ثم قال للاّطم: اجلس، وقال للملطوم: اقتص، قال: أو عفو يا أمير المؤمنين. قال: ذلك إليك، قال: فلما جاز الرجل قال علي رضي الله عنه: يا معشر المسلمين خذوه، قال: فأخذوه فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب، ثم ضربه خمس عشرة درة، ثم قال: هذا نكال لما انتهكت من حرمته، وفي رواية أنه قال: هذا حق السلطان(٣).

هذا وإن هذا الخبر ليعتبر مثلاً عاليًا للتواضع حيث يخرج أمير المؤمنين من بيته إلى السوق يتفقد أحوال الناس، ويقوم بنفسه في حل مشكلاتهم، وهو نوع من السلوك العالي الذي يبرز وجود الولاة في واقع حياة الرعية سواء قام بذلك الوالي الأكبر أو من دونه، ولا يلزم تكرر هذا الوجود كل يوم؛ إذ يكفي شعور الناس بأن

---

(١) «مصنف بن أبي شيبة» رقم (١٢٢٢٥)، و«المستدرك» (٣/ ١٦٦)، حديث صحيح من أوجه كثيرة.
(٢) الشراة: الخوارج. النهروان: بين واسط وبغداد. (٣) «تاريخ الطبري» (٦/ ٧٢، ٧٣).

الولاة معهم في مشكلاتهم ليطمئن صاحب الحق على بقاء حقه في حوزته، وعودته إليه فيما لو اعتدي عليه، وليرتدع من تسول له نفسه الاعتداء على حقوق الناس، وقبل ذلك وأهم منه أن يرتدع كل من يحدث نفسه بالاعتداء على حق الله تعالى، وهذا الوجود المتلاحم بين الوالي والرعية يظهر بصور متعددة تتناسب مع أنماط الحياة في كل عصر، فلا يقولن قائل بأن ما قام به أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه يعتبر سائغًا في عصره ولكنه بعيد التصور في هذا العصر؛ فإنه لا عبرة بالأشكال والصور، وإنما العبرة بالأهداف والمقاصد التي بها تتحقق الحياة السعيدة للمسلمين، وذلك برعاية حق الله أولاً، ثم حقوق الناس العامة والخاصة، وفيما أمر به أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه من إجراء العقوبة على المعتدي مع تنازل صاحب الحق دلالة على إدراكه رضي الله عنه لمقاصد الإسلام من حفظ الأمن، وإشاعة السلام بين المؤمنين، وبذلك سيرتدع من تميل نفسه إلى الاعتداء على غيره إذا عرف بأن العقوبة ستجرى عليه ولو عفا عنه خصمه(1)، ومن مواقف عدله رضي الله عنه ما رواه عاصم بن كليب عن أبيه قال: قدم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه مال من أصبهان(2)، فقسمه سبعة أسباع، فوجد فيه رغيفًا، فقسمه سبع كسر، وجعل على كل جزء كسرة، ثم أقرع بينهم، أيهم يعطى أول(3)، وأما مبدأ المساواة الذي اعتمده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في دولته، فيعد أحد المبادئ العامة التي أقرها الإسلام، قال تعالى:

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** (الحجرات: ١٣).

وجاءت ممارسة أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه لهذا المبدأ خير شاهد، ومن هذه المواقف، حرصه على تقسيم المال فور وروده إليه على الناس بالتساوي، بعد أن يحتجز منه ما ينبغي أن يأخذ منه للإنفاق على المرافق العامة، ولم يكن يستبيح لنفسه أن يأخذ من هذا المال إلا مثلما يأخذه غيره من الناس، كما أنه كان يعطي معارضيه من الخوارج من العطاء مثلما يعطي غيرهم وهذا قبل سفكهم للدماء،

(1) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (١٢/ ٤٣٣، ٤٢٣).
(2) مدينة عظيمة في بلاد فارس.
(3) «الكامل في التاريخ» (٢/ ٤٤٢).

واعتـدائهم على الناس(١)، وكان ﷺ يسـاوي في العطايا بين الناس وبذلك يكون اقتـداء بالصديق في هذا الباب، وكـان ﷺ لا يفضل شارفا على مـشروف، ولا عربيًّا على أعجـمي، فقد دفع مرة طعامًـا ودراهم بالتساوي إلى امرأتـين إحداهما عربية، والثانية أعجمية، فاحتجت الأولى قائلة: إني والله امرأة من العرب، وهذه من العـجم، فأجابهـا علي ﷺ: إني والله لا أجد لبنـي إسماعـيل في هذا الفيء فضلا على بني إسحاق. وكذلك لما طلب إليـه تفضيل أشراف العرب وقريش على الموالي والعجم، قـال: لا والله، لو كان المال لي لواسـيت بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم؟ (٢).

وعن يحيى بن سلمـة ﷺ قال: استعمل عـلي عمرو بن سلمة على أصـبهان فقدم ومعـه مالاً وزقاق فيها عسل وسـمن، فأرسلت أم كلثوم بنت علي ﷺ إلى عمرو تطلب منه سـمنًا وعسلاً، فأرسل إليها ظرف عسل وظـرف سمن، فلما كان الغد خرج علي وأحضر المال والعسل والسمـن ليقسم، فعد الزقاق فنقصت زقين، فسأله عنهما، فكتـمه وقال: نحن نحضرهما، فعزم عليـه إلا ذكرها له، فأخبره، فأرسل إلى أم كلثوم فأخذ الزقين منها فرآهما قد نقصا، فأمر التجار بتقويم ما نقص منهما، فكان ثلاثة دراهم، فأرسل إليها فأخذها منها، ثم قسم الجميع(٣).

وعن أبي رافع ﷺ وقد كان خـازنًا لعليّ ﷺ على بيت المال، قال: دخل عليّ يومًا، وقـد زينت ابنته، فـرأى عليها لؤلؤة من بيت المال قـد كان عرفـها، فقال: من أين لها هذه؟ لله عليّ أن أقطع يدها، قال: فلما رأيت جده في ذلك قلت: أنا والله يا أمير المؤمنين زينت بها ابنة أخي، ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطها؟ فسكت(٤).

## الثالث عشر: الحريات:

مبـدأ الحرية من المبـادئ الأساسـية التي قـام عليهـا الحكم في عهد الخـلفاء

---

(١) «نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين» ص (٢١٦).
(٢) «تراث الخلفاء الراشدين» ص (١٠١).
(٣) «الكامل في التاريخ» (٢/٤٤٢).
(٤) «تاريخ الطبري» (٦/٧٢).

الراشدين ، ويقضي هذا المبدأ بتأمين وكفالة الحريات العامة للناس كافة ضمن حدود الشريعة الإسلامية وبما لا يتناقض معها ، فقد كانت دعوة الإسلام لحرية الناس- جميع الناس- دعوة واسعة عريضة قلما تشتمل على مثلها دعوة في التاريخ ، وكانت أول دعوة أطلقها في هذا المجال هي دعوته الناس في العديد من الآيات القرآنية لتوحيد الله ، والتوجه له بالعبادة وحده ، دون سائر الكائنات والمخلوقات ، وفي دعوة التوحيد هذه كل معاني الحرية والاستقلال لبني الإنسان ، أضف إلى ذلك أن الإسلام عرف الحرية بكل معانيها ومدلولاتها ومفاهيمها ، فتارة تكون فعلاً إيجابيًّا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتارة فعلاً سلبيًّا كالامتناع عن إكراه أحد في الدخول في الدين ، وفي أحيان كثيرة يختلط معناها بمعنى الرحمة ، والعدل والشورى والمساواة؛ لأن كل مبدأ من هذه المبادئ التي نادى بها الإسلام لا يستقيم أمره ولا يمكن تحقيقه إلا بوجود الحرية .

وقد أسهم مبدأ الحرية مساهمة فعالة إبان حكم الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم خاصة بانتشار الدين الإسلامي ، وبتسهيل فتوحات المسلمين واتساع رقعة دولتهم؛ لأن الإسلام كرم الإنسان وكفل حرياته على أوسع نطاق ولأن النظم السياسية الأخرى السائدة آنذاك في دولة الروم والفرس كانت أنظمة استبدادية وتسلطية ، وفئوية قاس بسببها الرعايا وبصورة خاصة المناوئون السياسيون والأقليات الدينية أشد درجات الكبت والاضطهاد والظلم ، وأما في الإسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، فقد كانت الحريات العامة المعروفة في أيامنا معلومة ومصونة تمامًا(١) ، وقد كان لأمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه أقوال تدافع عن الحريات ومواقف تدعم هذا المبدأ في المجتمع الإسلامي ، فمن أقواله : بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد(٢) ، وقوله الموجز هذا يدل على أن الاعتداء على الناس كافة بأي شكل كان غير جائز في الإسلام ، وذكر المعتدين بعذاب الله يوم القيامة وفي أيام عهد الراشدين رضي الله عنهم ، وعرف عنه قوله : ليس من العدل القضاء على الثقة

---

(١) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ، ص (١٥٧ ، ١٥٨) .

(٢) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ، ص (١٦٥) .

بالظن[١]، وقوله هذا يدل دلالة واضحة على أنه ليس من الجائز أخذ الناس بالشبهات والحكم عليهم لمجرد الظنون والشكوك، بل ينبغي أن يكون ذلك بالثقة أي باليقين المستند إلى أدلة دامغة وأكيدة لا تقبل الجدل حولها، وخير هذه الأدلة ما نصت عليه الشريعة[٢]، وبذلك يكون المبدأ الذي أقرته التشريعات الجزائية الحديثة- القائل: بأن المتهم يبقى بريئًا حتى إثبات العكس- قد عرفه الإسلام منذ أمد بعيد[٣].

وقد تجلى مبدأ الحرية على أروع صوره ومعانيه أيام عليّ رضي الله عنه، فبالرغم من أنه كانت هناك ظروف استثنائية (فتن، مؤامرات، وحروب)، تبرر الحاجة إلى تقييد حرية الأفراد في ذهابهم وإيابهم وإقامتهم أو ما يسمى في العصر الحديث بقانون الطوارئ إلا أن عليًا رضي الله عنه لم يقيد حرية أحد، سواء كان من أتباعه أم من خصومه، ولم يكره أحدًا على الإقامة والبقاء في ظل سلطانه أو على الخروج منه ولا حتى على المسير معه لمقاتلة أعدائه، ولم يصد أحدًا من الناس عن اللحاق بمعاوية[٤]، كما أنه لم يقيد حرية أصحاب عبد الله بن مسعود وعبيدة السلماني والربيع بن خيثم رحمهم الله ولم يكرههم على المسير معه لمقاتلة أهل الشام عندما رفضوا ذلك، بل سمح لهم بالذهاب لبعض الثغور نزولاً على رغبتهم[٥].

وعندما ثار عليه الخوارج بعد معركة صفين بسبب قبول التحكيم، فإنه لم يكره أحدًا منهم على البقاء في ظل سلطانه أو الخروج منه، بل بالعكس فقد كان يأمر عماله بعدم التعرض لهم في طريقهم طالما أنهم لا يفسدون في الأرض ولا يعتدون على الناس[٦]، وقال لهم: . . . إن لكم عندنا ثلاثًا، لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا[٧].

---

(١) «نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين» ص (١٦٥).

(٢) هذه الأدلة هي: البينة الخطية المنظمة وفقًا لأحكام الشريعة، أو الثابتة بشهادة رجلين أو بشهادة رجل وامرأتان وأحيانا بشهادة أربعة رجال كما في حالة الزنى.

(٣) «نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين» ص (١٦٦).

(٤) المصدر نفسه ص (١٥٩).

(٥) «نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين» ص (١٥٩).

(٦) المصدر نفسه ص (١٦٠).

(٧) «تاريخ الطبري» (٥/٦٨٨).

## المبحث الثالث

## حياته في المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

### أولاً: دعوته للتوحيد ومحاربته للشرك:

إن حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عامرة بالدعوة إلى توحيد الله تعالى وتعريف الناس معاني الإيمان ،والاعتماد والتوكل على الله والخوف منه سبحانه وتعالى ، والتعريف به من خلال أسمائه الحسنى وصفاته العلى ،ومحاربته للشرك بجميع أشكاله وأنواعه ، ومن خلال توجيهه وتعليمه وتربيته للناس على دعوة التوحيد ومحاربة الشرك أمور منها :

**١ - قوله رضي الله عنه : «لا يرجونَّ عبدٌ إلا ربه ولا يخافنَّ إلا ذنبه»:** فهذا من أحسن الكلام ، وأبلغه وأتمه؛ فإن الرجاء يكون للخير ، والخوف يكون من الشر ، والعبد إنما يصيبه الشر بذنوبه ، كما قال تعالى : **﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾** (الشورى: ٣٠) فالراجي يطلب حصول الخير ودفع الشر ، ولا يأتي بالنعم إلا الله ، ولا يذهب المصائب إلا الله **﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾** (يونس: ١٠٧)، **﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾** (فاطر: ٢)، والرجاء مقرون بالتوكل ، فإن المتوكل يطلب ما رجاه من حصول المنفعة ودفع المضرة ، والتوكل لا يجوز إلا على الله ، كما قال تعالى : **﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾** (آل عمران: ١٦٠). وقال تعالى: **﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾** (التوبة: ٥٩) وقال تعالى: **﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾** (آل عمران: ١٧٣) فهؤلاء قالوا: حسبنا الله ، أي: كافينا الله في دفع البلاء، وأولئك أمروا أن يقولوا: حسبنا في جلب النعماء فهو- سبحانه - كاف عبده في إزالة الشر وفي إنالة الخير، أليس الله

بكاف عبده؟، ومن توكل على غير الله ورجاه خذل من جهته وحرم، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ (العنكبوت:٤١)، ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (مريم:٨١، ٨٢)، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج:٣١)، ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (الإسراء:٢٢)، وقال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (العنكبوت:١٧)، فمن عمل لغير الله رجاء أن ينتفع بما عمل له، كانت صفقته خاسرة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (النور:٣٩)، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ (إبراهيم:١٨) وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ (الفرقان:٢٣)، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص:٨٨)، كما قيل في تفسيرها: كل عمل باطل إلا ما أريد به وجهه، فمن عمل لغير الله ورجاه بطل سعيه، والراجي يكون راجيا تارة بعمل يعمله لمن يرجوه، وتارة باعتماد قلبه عليه والتجائه إليه وسؤاله، فذاك نوع من العبادة له، وهذا نوع من الاستعانة به، وقد قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة:٥) وقال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ (هود:١٢٣)، وقال: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ (الرعد:٣٠)، ومما يوضح ذلك: أن كل خير ونعمة تنال العبد فإنما هي من الله، وكل شر ومصيبة تندفع عنه أو تكشف عنه، فإنما يمنعها الله، وإنما يكشفها الله، وإذا جرى ما جرى من أسبابها على يد خلقه، فالله - سبحانه - هو خالق الأسباب كلها سواء كانت الأسباب حركة حي باختياره وقصده، كما يحدثه تعالى بحركة الملائكة والجن والإنس والبهائم، أو حركة جماد بما جعل الله فيه من الطبع أو بقاسر يقسره كحركة الرياح والمياه ونحو ذلك، فالله خالق ذلك كله، فإنه لا حول

ولا قوة إلا به(١)، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالرجاء يجب أن يكون كله للرب، والتوكل عليه والدعاء له، فإنه إن شاء ذلك ويسره كان يسرا، ولو لم يشأ الناس، وإن لم يشأه ولم ييسره لم يكن وإن شاءه الناس(٢)، هذا بعض المعاني من قول أمير المؤمنين رضي الله عنه: لا يرجون أحد إلا ربه(٣)، وأما قوله: ولا يخافن أحد إلا ذنبه(٤)، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ (الأعراف:١٣١). بين سبحانه أن الحسنة من الله ينعم بها على الناس، وأن السيئة إنما تصيبهم بذنوبهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال:٣٣)، فأخبر أنه لا يعذب مستغفرا؛ لأن الاستغفار يمحو الذنب الذي هو سبب العذاب، فيندفع العذاب، كما في سنن أبي داود وابن ماجه عن النبي ﷺ أنه قال: من أكثر الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب(٥)، وقال تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ (هود:٢، ٣). فبين: أن من وحده واستغفره متعه متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى، ومن عمل بعد ذلك خيرًا زاده من فضله، وفي الحديث: يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله، والاستغفار(٦)، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا(٧). وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، ولهذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝١٧٣ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۝١٧٤ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ

---

(١) «الفتاوى» (٨/ ١٠١).
(٢) «الفتاوى» (٨/ ١٠٢).
(٣) «الفتاوى» (٨/ ١٠٢).
(٤) «الفتاوى» (٨/ ٩٩).
(٥) «سنن ابن ماجه» رقم (٣٨١٩)، و«سنن أبي داود» (١٥١٨).
(٦) «مسند أبي يعلى» (١/ ١٢٣) رقم (١٣٦)، و«مجمع الزوائد» (١/ ٢١٠) وهو ضعيف.
(٧) «الفتاوى» (٨/ ١٠٠).

**﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾** (آل عمران:١٧٣-١٧٥) فنهى المؤمنين عن خوف أولياء الشيطان، وأمرهم بخوفه، وخوفه يوجب فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، والاستغفار من الذنوب وحينئذ يندفع البلاء وينتصر على الأعداء، فلهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : لا يخافن عبد إلا ذنبه(١)، وإن سلط عليه مخلوق فما سلط عليه إلا بذنوبه، فليخف الله، وليتب من ذنوبه التي ناله به ما ناله(٢)، كما في الأثر: يقول الله: أنا الله، مالك الملوك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، من أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشتغلوا بسب الملوك، وأطيعوني أعطف قلوبهم عليكم(٣).

## ٢- تعريف أمير المؤمنين الناس بأسماء الله وصفاته:

قال تعالى: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾** (محمد:١٩) فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، كما في قوله سبحانه وتعالى: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾** (فاطر:٢٨)، وقد بين القرآن الكريم أن معرفة الأسماء الحسنى الصفات العلى من أعظم الوسائل في زيادة الإيمان وقوته وثباته، ومعرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه وقوي يقينه(٤)، قال تعالى: **﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** (الأعراف: ١٨٠) وقال تعالى: **﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾** (الإسراء: ١١٠)، وقد ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا - مائة إلا واحدة - من أحصاها، دخل الجنة**»(٥)، أي من حفظها وفهم معانيها، واعتقدها، وَعَبَدَ الله بها دخل الجنة، والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون(٦)،

---

(١) «الفتاوى» (٨/ ٩٩). (٢، ٣) «الفتاوى» (٨/ ١٠١).
(٤) «الوسطية في القرآن الكريم» للصَّلاَّبيُّ ص( ٢٢٨).
(٥) «البخاري»، كتاب الدعوات رقم (٦٤١٠).
(٦) «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» للسعدي ص (٤١).

ولأهمية هذا العلم قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : يا طالب العلم: إن للعالم ثلاث علامات، العلم بالله، وبما يحب الله، وبما يكره الله[١]، وقال في معرض وصفه للمولى سبحانه وتعالى: هو العالم بكل مكان، وكل حين وأوان، لم يخلق الأشياء من أصول أولية، ولا بأوائل كانت قبله بدية، بل خلق ما خلق فأقام خلقه، وصور ما صور فأحسن صورته، توحد في علوه فليس لشيء منه امتناع، ولا له بطاعة شيء من خلقه انتفاع، إجابته للداعين سريعة، والملائكة في السماوات والأرضين له مطيعة، علمه بالأموات البائدين، كعلمه بالأحياء المتقلبين، وعلمه بما في السموات العلى، كعلمه بما في الأرض السفلى، وعلمه بكل شيء، لا تحيره الأصوات، ولا تشغله اللغات ... مدبر بصير، عالم بالأمور، حي قيوم ... سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات[٢]، وجاء يهودي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فسأله: متى كان ربنا؟ فتمعر[٣] وجه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال: لم يكن فكان، هو كان ولا كينونة، كان بلا كيف، كان ليس قبل ولا غاية، انقطعت الغايات دونه، فهو غاية كل غاية، فأسلم اليهودي[٤]، ومما يرويه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في صفات الله سبحانه وتعالى قوله: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**»[٥].

إن معرفة أسماء الله وصفاته، وتأمل معانيها، والإيمان بها تثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره ونهيه، كما توجب اللجوء إليه في الكربات، وسؤاله عند الحاجات، واستغاثته في الملمات وغيرها من أنواع العبادات القلبية[٦].

(١) «تاريخ اليعقوبي» (٢/٢٠٧)، و«منهج علي بن أبي طالب» ص (٩١).
(٢) «حلية الأولياء» (١/٧٣).
(٣) تمعر: تغير: «لسان العرب» (٥/١٨١).
(٤) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص (٢٠٦).
(٥) «مسند أحمد» (٢/١٧٣) قال أحمد شاكر: إسناده حسن.
(٦) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله»، ص (٩٢).

### ٣- تعـريـف أمـيـر المؤمنين عليِ بن أبي طالب رضي الله عنه الناس بنعم الله المستوجبة لشكره:

قال أمـير المـؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه - مذكـراً بالله سبـحانه وتعـالى وبنعمـه على عباده-: أوصيكم عـباد الله بتقوى الله الذي ضرب لـكم الأمثال، ووقت لكم الآجـال، وجعل لكم أسمـاعا تعي مـا عناها، وأبصارا لتـجلو عن غشـاها، وأفئدة تفهم ما دهاها، فـي تركيب صورها ومـا أعمـرها فإن الله لم يخلقكم عـبثا ولم يـضرب عنكم الذكـر صفحًـا، بل أكرمكم بالنعم الـسوابغ، وأرفدكم بأوفـر الروافد، وأحاط بكم الإحـصاء، وأرصد لكم الجـزاء في السراء والضراء، فاتقوا الله عباد الله وجـدوا في الطلب، بادروا بالعمل مقطع النهمات وهادم اللذات(١)، وكان أمـير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحث الناس على القرب من الله بشكر النعـم الحاصلة ويحذرهم من الركـون إليها والأمن معـها، ويرغبهم فـيما عند الله من المزيد في حال شكر النعم، حـيث يقول: فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله، واجمعوا مـعها رهبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة، فإن الله قد تأذن المسلمين بالحسنى، ولمن شكره بالزيادة(٢)، ودعا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الناس إلى التفكر في أنفسهم فقال: من عرف نفسه فقد عرف ربه(٣)، وقد قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١).

### ٤- حرص أمير المؤمنين عليِ بن أبي طالب على محو آثار الجاهلية:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة، فقال: «**أيكم ينطلق إلى المدينة فـلا يدع وثنًا إلا كسره، ولا قبـرا إلا سواه، ولا صورة إلا لطخـها؟**» فقـال علي رضي الله عنه: أنا أنطلق يا رسول الله، فـقال: «**انطلق**»، فانطلق، ثم رجع فقال: يا رسول الله، لم أدع بها وثنًا إلا كسرته، ولا قبراً إلا سويته، ولا صورة

(١) «الحلية» (١/ ٧٨)، و«صفة الصفوة» (١/ ٣٢٨).
(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٠٩).
(٣) «مطلوب كل طالب من شرح كلمات علي بن أبي طالب» لمحمد عبد الجليل العمري مخطوط نقلاً عن «منهج علي ابن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص (٩٦).

إلا لطختها، ثم قال رسول الله ﷺ: **«من عاد لصنعه شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»**(١)، وعندما أصبح أميرًا للمؤمنين أرسل أبا الهياج الأسدي وقال له: أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: **«ألاَّ تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»**(٢)، فأمره بمحو التماثيل، وأن تكون القبور مدروسة معالمها لغرض في زيارة القبور عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه(٣)، وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كثيرًا ما يقصد المقبرة زائرًا ومتعظًا، وقد أشرف على المقبرة فقال: يا أهل القبور أخبرونا بخبركم، أما خبركم قبلنا فالنساء قد تزوجن، والمال قد قسم، والمساكن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: أما والله لو نطقوا لقالوا: لم نر خير من التقوى(٤)، وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يسعى جاهدًا في تجريد التوحيد، وقطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، ولذلك حذر من اتخاذ القبور مساجد لما تسببه من الفتنة في أهلها، وكونها ذريعة إلى عبادة الأموات، وقد وصف رضي الله عنه من فعل ذلك بأنه من شرار الناس كما في قوله: شرار الناس من يتخذ القبور مساجد(٥)، وهذا اتباع لقول رسول الله ﷺ: **«اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**(٦)، وغيره من الأحاديث التي صحت في هذا المعنى، كما لا بد من التنبيه على أن الغرض من زيارة القبور أمران، كما هو بين من الهدي النبوي الشريف: الاتعاظ بالموت، والدعاء للميت والترحم عليه، وليس في واحد منها ما يدل على أن الزائر يقصد القبر؛ ليقضي حاجته فقصد القبر للانتفاع به مخالف لهدي النبي ﷺ، ومخالف لأدب زيارة القبور التي نصّ عليها العلماء(٧)، قال ابن العربي وهو

---

(١) «مسند أحمد» (٢/ ٦٨) قال أحمد شاكر: إسناده حسن.

(٢) «مسلم»، كتاب الجنائز (٢/ ٦٦٦).

(٣) الغرض: الاتعاظ والدعاء للأموات، «فقه علي» لقلعجي ص (٤٩٤).

(٤) «الاستذكار» (١/ ٢٣٤).

(٥) «مصنف عبد الرزاق» (١/ ٤٠٥)، و«كنز العمال» رقم (٢٢٥٢٢).

(٦) «فتح الباري» (٤/ ٣٧٦)، وإسناده حسن.

(٧) «الغلو في الدين» د. الصادق الغرياني ص (١١٩).

يعدد أغراض السفـر، ومنه: . . . القصد إلى الإخوان لتفقـد أحوالهم -وبعد أن ذكر فضل من زار أخًا له في الله- قال: هذا إن كان حيًّا، فإن كان ميتًا، فتجوز زيارة قبره أيضًا، والترحم عليه لينتفع الميت بالحي، ولا يقصد الانتفاع بالميت فإنها بدعة[1]، بل إن قصد القبر رجاء قـضاء الحاجة هو عين ما حذر منه النبي ﷺ أصحابه عندمـا سألوه أن يجعل لهم ذات أنواط، ففي حـديث أبي واقد الليثي: أن رسول الله ﷺ لما خـرج إلى حنين مر بشجـرة للمشركين يقـال لها: ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم (ذات أنواط)، فقال النبي ﷺ : «**سبحان الله، هذا كما قيل لموسى، اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهـة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة مـن كان قبلكم**»[2]، وفي «عدة المريد» يقول الشيخ الزروق بعـد أن ذكر الحديث المتقدم: ولا يجـوز عند العلماء تعظيم مكان، أو شجر، أو بناء، أو أي شيء آخر له أصل في معتقدات الجاهلية؛ رجاء الشفاء أو قضاء حاجة[3]، ثم قال: في الحديث دليل على منع كل ما يستدام أو يكون له أصل في عبادة الجاهلية من خشبة أو حديدة أو حجر أو بناء ونحوه، لا يمتهن أو يكون مـستهلكًا[4]، ولا شك أن القبر له أصل في عـبادة الجاهلية، بل هو أصل أصولهـا، ولا أدل على ذلك، من أن أشهر أصنامهم التي عـبدوها من دون الله، سواء في جـاهليتهم اللاحـقة: «اللاّت»، هي أسماء لرجـال صالحين ماتوا فقالوا في تعظيـمهم حتى عبدوهم من دون الله[5]، وهنا كان حديث النبي ﷺ وفعل سيدنا علي رضي الله عنه له عمل عظيم في حمـاية جانب التوحيد ويتضح لنا أن ما يفعله بعـض جهلة المسلمين من تعظيم القبور والطواف حـولها والتعلق بأهلها أمر محـرم يخالف أمر الله -سبحانه وتعالى- وسـيرة أمير المؤمنين رضي الله عنه، فعلى العلماء الربانيين الذين يرجون الله واليوم الآخر أن يقتدوا بالنبي ﷺ كما فعل أميـر المؤمنين علي رضي الله عنه، وأن يسعوا لتعبيـد الناس لربهم وجعـل قلوبهم

(١) «فتح الباري» (٣/ ٦٥). (٢) «سنن الترمذي» رقم (٢١٨٠) حسن صحيح.

(٣) «عدة المريد» ص (٢٠٦)، و«الغلو في الدين» للغرياني ص (١١٩).

(٤) «عدة المريد» ص (٢٠٦)، المصدر نفسه ص (١١٩). (٥) «الغلو في الدين» ص (١١٩).

تتعلق بالله الواحد القهار، وأن يحاربوا العوائق في الطريق إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

## أ – الزيارة الشرعية للقبور:

إن الزيارة الشرعية للقبور سنة مجهولة عند الكثيرين قد غفلها جمع من الناس لفشو البدع والخرافات في العالم الإسلامي، وعدم إرشاد أهل العلم الناس إلى هذه الزيارة المشروعة، وتقصير الدعاة في توضيح هذا النوع المباح وما يقال عند الزيارة، فالزيارة الشرعية الغرض منها: أنها تذكر الموت ومكان الإنسان ونهايته.

وأنه سيأتي اليوم الذي يكون هذا موضعه ومضجعه الذي يزوره، الآن، مما يعين على الثبات على الطاعة، وحث النفس والأخذ بزمامها نحو العبادة، خاصة إذا أصابها فتور وتقاعس عن العبادة، كما يشرع فيها السلام على الأموات والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة.

ومن الأدلة على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: **«السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»**، وفي رواية عنها رضي الله عنها في قصة جبريل، حين جاء النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره أن الله تعالى يأمره أن يستغفر لأهل بقيع الغرقد، قالت عائشة رضي الله عنها: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ فقال: قولي: **«السلام على أهل الديار، من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»**[1].

وقد بيّن العلماء عدم جواز البناء على القبور، كما بينوا آداب زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم، ودعاء العبد لربه، وأنه ليس بين العبد وربه واسطة.

قال الكاساني الحنفي في كتابه «بدائع الصنائع»: «وكره أبو حنيفة البناء

(١) مسلم، رقم (١/ ٦٧١) رقم (٩٧٤).

على القبر، والكراهة إذا أطلقت فهي للتحريم وقد صرح بالتحريم ابن مالك من الأحناف»(١).

قال الطحاوي الحنفي: «ولا يستلم القبر ولا يقبله؛ فإنه من عادة أهل الكتاب، ولم يعهد الاستلام إلا للحجر الأسود، والركن اليماني خاصة»(٢).

قال القاضي عياض عن مالك: «لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ، ولكن يسلم ويمضي، وروى ابن وهب عنه أنه قال: ويدنو ويسلم ولا يمس القبر»(٣).

وقال زروق المالكي: «من البدع اتخاذ المساجد على قبور الصالحين... والتمسح بالقبر عند الزيارة، وهو فعل النصارى، وحمل تراب القبر؛ تبركًا به، وكل ذلك ممنوع بل يحرم»(٤)

وقال الشافعي: «ولم أر قبور المهاجرين، والأنصار مجصصة»، وقال أيضًا -رحمه الله-: «وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها، فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك»(٥).

وقال النووي: «ويكره مسحه -قبر النبي ﷺ- باليد وتقبيله بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ، هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه» (٦).

وقال السبكي في فتواه: «ولا يمس القبر ولا يقرب منه ولا يطوف به»(٧).

## ب – تاريخ الاحتفال بالمزارات في الأضرحة:

يذكر أن أول من أحدث الاحتفال بالمزارات السنوية في الأضرحة هم العبيديون (الفاطميون) في القرن الرابع، ذكر ذلك المقريزي أحمد بن علي قال: كانت لهم ستة موالد، مولد النبي ﷺ، مولد علي بن أبي طالب، والحسن والحسين،

(١) «بدائع الصنائع» (١/ ٣٢).
(٢) «حاشيته على مراقي الفلاح» (٣٤٠).
(٣) «كتاب شرح الشفاء» (٢/ ١٥٢).
(٤) «شرح رسالة القيرواني» (١/ ٢٤٤).
(٥) «الأم» (١١/ ٩١٦).
(٦) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ٢٤٤).
(٧) «فتاوى السبكي» (١/ ٢٨٩).

وفاطمة رضي الله عنها، ومولد الخليفة، وكانوا ينحرون عند قبر الحسين الإبل والبقر والغنم[1]، ولم يكن المسلمون قبل هذا التاريخ في القرون الثلاثة الأولى يقيمون الأضرحة، ولا يحتفلون بها، ولا أدل على ذلك من أن أكثر الصحابة رضي الله عنهم دفنوا خارج البقيع في مصر والشام والعراق، لا تعرف قبورهم، ومن عرف قبره منهم، فمختلف فيه بين المؤرخين، وكتاب السير، فكيف خفيت قبورهم عن أهل السير؟، وهم الصلحاء والعلماء وأعلام الهدى، الذين حملوا راية الدين والعلم، والجهاد والعبادة، لو كان للأضرحة في زمانهم وزمان تابعيهم ذكر لما خفي مكانها، ولما اختلف المؤرخون فيها، وفعل الناس لهذا الأمر بعد القرون الأولى خير القرون لا يكسبه مشروعية بحال، كيف وقد نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره عيدًا؟، فمن يفعل ذلك من الناس فإنما يفعل عين ما حذر منه النبي ﷺ، ويحتج بعمله، وعمل شيخه، ويقدمه على هدي رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الحجرات: ١) ويقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

## ج- ارتباط المزارات بالتخلف والجهل:

ارتفع شأن القباب والتوابيت - المضروبة على القبور - خلافًا لأمر رسول الله ﷺ بتسويتها كما بين لنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتفنن الناس في زخرفتها بالألوان الزاهية، ونصبت عليها ستائر الحرير كستائر الكعبة، وحرست بالأبواب الفاخرة وزودت بخزائن الحديد الثقيلة، لجمع ما يجود به الزائرون، وما ينفقونه على أصحاب الأضرحة من نذور؛ لتقضى حوائجهم وتتحقق آمالهم، وازدهرت الحياة للمتعيشين على خدمة الضريح وحراسته، ورواة الكرامات، ورواة التحذير الصارم بسوء عاقبة كل من يحاول أن يشكك في سلامة ما يجري، ومن المعروف أن التبجيل على هذا النحو للأضرحة لم يزدهر

---
(١) «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» ص (١/ ٤٢٧، ٤٩٠)، و«الغلو في الدين» ص (١٠٣).

إلا يوم أن تخلف المسلمون، وضعفت هممهم، في عصور الانحطاط العلمي، والجمود الفكري، يوم أن حولوا نور الرسالة المحمدية، التي استطاعت في الأربعين سنة الأولى من عمرها أن تجعل أهل الأرض من فارس إلى المغرب يدينون بها، حولوا هذه الرسالة الحضارية المشرقة إلى دروشة وخمول، وبطالة وتعلق بالأوهام، وقصروا هممهم على أمور ما كان سلفنا الصالح، الذي ملأ الدنيا علمًا وعملاً صالحًا يقف عندها، ولا يلتفت إليها ألا يجدر بنا أن نسأل أنفسنا: هل وجد شيء من هذا على عهد الصحابة فعلوه لقبر رسول الله ﷺ وهو أفضل قبر على وجه الأرض، أو لقبورهم، وهم أفضل أمته؟ أو وجد شيء منه حتى عهد الأئمة الذين يقتدى بهم؛ كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد - رحمهم الله- أليس عدم وجود شيء من ذلك عندهم دليل على أن ما يجري لا صلة له بالدين، ولا بالعبادة، ولا بالولاية؟ وإنما هي مظاهر التخلف والجهل، استغلها من لهم مصلحة باسم الدين، أياً كانت المصلحة، لتخدير العامة والاستيلاء على عقولهم، وجيوبهم، وأكل أموالهم وشدهم إلى الوراء لقد ظل الإسلام قرونا عديدة يتزعم العالم قوة ومعرفة، وحضارة، وتشريعًا، وأخلاقًا، ورحمة بالإنسانية، وتطلعًا إلى الابتكار، ومعالي الأمور، ذلك كان حال المسلمين يوم أن كان تعلقهم بحقيقة الإسلام، فلما أعرضوا عن ذلك، واستبدلوا ما عندهم من العلم والهداية، بمفاهيم مغلوطة تعتمد على التواكل والبطالة والدروشة والتعلق بالغيبيات، التي لم يقم عليها دليل، ولم يأمرنا الله بها، وسموا كل ذلك (بركة)، تسمية للشيء بضده، وأحرى بمن يعرض عن الهداية وأسبابها أن يكون من الضالين، وعن البركة من المبعدين[(١)].

### د - الحملات الاستعمارية وإقامة الأضرحة:

كان للحملات الغربية الاستعمارية مواقف في تشجيع المسلمين أن ينحو هذا المنحى ليبتعدوا عن جوهر الدين، ذكرت صحيفة التايمز الإنجليزية قول أحد

(١) «الغلو في الدين»، للغرباني (١٠٥).

رجال الاستعمار البريطاني يحض على تشجيع البدع والأوهام بين المسلمين يقول: فإن ذلك كفيل بإبعادهم عن الإسلام، يقول الشيخ أحمد الباقوري: إن أحد كبار المستشرقين حدثه عن بعض أساليب الاستعمار في آسيا، إن الضرورة كانت تقضي بتحويل القوافل الآتية من الهند إلى بغداد، عبر تلك المنطقة الواسعة إلى اتجاه جديد، للمستعمر فيه غاية، ولم نجد الوسائل في جعل القوافل تختاره. وأخيراً اهتدوا إلى إقامة عدة أضرحة وقباب على مسافات متقاربة في هذا الطرق، وما هو إلا أن تناقل الناس الإشاعات بما فيها من الأولياء، وبما شوهد من كراماتهم، حتى صارت تلك الطريق مأهولة، ومقصودة عامرة[1]، وقد اهتمت الحكومة الإنجليزية بالحالة الدينية في مصر، وهي ترصد التحرك الشيوعي في المنطقة، فكان مما طمأنها على تدين المصريين: أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح أحمد البدوي بطنطا في ذلك العام، يقول أحد العلماء الذين أوفدوا من وزارة الأوقاف لوعظهم: لقد كنت أشهد من أعمالهم ما يستدعي الجلد بالسياط لا ما يستدعي الزجر بالكلام، ولو دعوا إلى واجب ديني صحيح لفروا نافرين، وحسبك معرفة حالهم أنهم جاؤوا الضريح المذكور للوفاء بالنذور والابتهال بالدعاء[2].

## هـ- هل المزارات من الإحداث في الدين ؟:

مات رسول الله ﷺ وهو أكرم الخلق على الله تعالى وأتقاهم لله، وأخشاهم لله، وتوقير أصحابه له غير خاف، ومحبتهم إياه لا تقدر، وقُبر ﷺ في بيته، ومكان قبره الشريف معروف لدى أصحابه غير مجهول، وهو أفضل قبر في الدنيا، فلم يقيموا عليه مشهداً، ولا بناءً، ولا قباباً، ولم يجتمع عند قبره الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم إحياء لذكراه في يوم من السنة معلوم في (مزار) ولا غيرهم من أصحابه الأخيار، اغتناما للذكر والعبادة ، بل كانوا إذا مروا بقبره الشريف يصلون ويسلمون عليه كما أمرهم ربهم، وكانوا يطيعون أمره ويتبعون

(١) انظر: «ليس من الإسلام»، لمحمد الغزالي ص (٢٢٤). (٢) «الغلو في الدين» ص (١٠٥).

سننه، ويهتدون بهديه، ويقفون عند أمره ونهيه، حيًّا وميتًا؛ امتثالاً لأمر ربهم: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر: ٧)، وقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١)، وخلفاؤه هم القدوة الحسنة الذين أمرنا رسول الله ﷺ باتباع سنتهم والعض عليها بالنواجذ. ولم ينقل أحد من أهل الإسلام أن أصحابه اجتمعوا ليلة في السنة عند قبره للذكر والعبادة، رجاء البركة، وهم أولياء الله، وحزب الهدى، وأنصار الحق، وكتائب الدين، وأعلم منا بما يحبه رسول الله ﷺ، وأحرص على الطاعة، وتعظيم رسول الله في قلوبهم وتوقيره، بالمكان الذي لا يخفى، ولا يختلف عليه؛ لأن الذي نطق به القرآن، وأجمع على تعظيمهم له، ومحبته وتوقيرهم إياه أهل الإسلام، ولو كان هذا العيد السنوي عند قبره مما يقرب إلى الله، ولا يخاف منه فساد في الدين لكانوا أسبق إليه، ولم يأمرهم رسول الله ﷺ في حياته بشيء من هذا، ولا وجد في سنته بفعل ولا تقرير ما يدل على مشروعيته عند قبر النبي ﷺ بعد موته، أو عند أحد من قبور أصحابه الذين ماتوا، ومرت عليهم السنون في حياته، فلم يتعبد هو ولا أصحابه بشيء من هذا، وهو أكمل الخلق عبودية لله، وأكملهم علما بما يرضي الله تعالى، ونصحه لأمته، وحرصه على ما ينفعهم، نزل به القرآن ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)، وقد نهانا النبي ﷺ عن اتخاذ قبره عيدًا، فقال ﷺ: **«لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**[١].

ومعنى عيد من العود، وهو الرجوع والمعاودة؛ لأنه يتكرر مرة بعد مرة، أي لا تجعلوا لزيارة قبري أيامًا معلومة، وأوقاتًا مخصوصة، كل شهر، أو كل سنة، أو غير ذلك، في اجتماع عام يتكرر بصفة ثابتة كالعيد، ولا تتخذوه منسكًا ترحلون إليه كالحج، ولا تشبهوا باليهود والنصارى؛ فإنهم يفعلون ذلك، وقد

---

(١) «فتح الباري» (٤/ ٣٧٦)، وإسناده حسن.

أدى بهم الأمر إلى الغلو والمبالغة في الإطراء، حتى جعلوا المسيح عليه السلام إلهًا، وقد حذر النبي ﷺ أصحابه من ذلك فقال ﷺ: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبدالله ورسوله»**(١)، فإذا كان الحال من النهي في التعلق بقبر النبي ﷺ، وهو أكرم الخلق على الله، وهو سيد الأولين، والآخرين، وأفضل الخلق أجمعين، وأرجى الشفعاء عند الله يوم الدين، فما بالك بقبور الأموات من دونه من الأولياء والصالحين، فتكون مخالفة نهيه في ذلك باتخاذ قبورهم أعيادًا، داخلة في الشق الثاني من الحديث، وهو ما يقرب إلى من يخالف نبيه في قوله عز وجل: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (النور: ٦٣). فهذا هو هدي خير القرون فمن خالفهم زاعما أنه أتى بطاعة وقربة، فلا يخلو حاله من أمرين، إما أنه جاء ببدعة ظلما، وإما أن يكون مدعيًا أنه فاقهم فضلاً وعلمًا، بل كان الإمام مالك رحمه الله تعالى يقول: من أحدث في هذه الأمة شيئا لم يكن عليه سلفها، فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الدين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ (المائدة: ٣)، فما لم يكن يومئذ دينًا، لا يكون اليوم دينًا(٢). وكان يقول: السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق(٣)، إن إقامة (المزارات) عبادة لم يفعلها رسول الله ﷺ ولا أصحابه، بل نهى عنها، ومخالفته من الإحداث في الدين الذي ينتهي بصاحبه إلى الضلال كما أخبر النبي ﷺ، فقد كان مما يخطب به في كل جمعه محذرًا: **«أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»**(٤)، وقال ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»**(٥). إن جمع الناس في يوم معين على الدوم، في مكان ما، تشد إليه الرحال من كل حدب وصوب للعبادة، لا يجوز إلا فيما شرعه الله تعالى من إقامة النُّسك في مكة، وعرفة،

---

(١) «البخاري» رقم (٣٣٤٥).
(٢) «الاعتصام» للشاطبي (٢/ ٥٣).
(٣) «الغلو في الدين» للغرباني ص (١٠٩).
(٤) «مسلم» رقم (٨٦٧).
(٥) «البخاري» رقم (٢٦٩٧).

ومنى والمزدلفة، وفي صلوات الأعياد والجمعة والجماعة، وهي الشعائر التي أمر الله تعالى بتعظيمها، وإقامتها، وأثنى على أهلها بقوله تبارك وتعالى: ﴿**ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ (الحج:٣٢) وإحداث مشهد آخر غير ما ذكر، في يوم من السنة، من الإحداث في الدين؛ لأنه إحداث عبادة ونسك لم يشرعها الله تعالى، فإن هذه المزارات صارت عند العامة كالنسك، يجتمع إليها الناس في يوم من السنة معلوم للذبح والعبادة، وتشد إليها الرحال، وهذا في ذاته أمر مذموم؛ فإن الطاعات المطلقة المندوب إليها في كل وقت، إذا خصص شيء منها بليلة معينة، أو يوم معين، أو مكان معين، لم يخصصه الشرع به، واعتقد أن لفعلها في ذلك الوقت المعين، أو المكان المعين، أثراً خاصًا في البركة، أو رفع الدرجات، أو قبول العمل، أو تعظيم الأجر؛ تحولت تلك الأعمال التي هي من جنس الطاعات إلى بدعة بالاتفاق؛ لأن ترتيب الثواب على الأعمال، أمر توقيفي لا يكون إلا من الشارع.

وقد جر هذا إلى مفاسد عظام، منها اعتقاد العامة في أصحابها الذين بنيت عليهم القباب خلافًا لنهي رسول الله ﷺ، فاعتقدوا فيها الضر والنفع، وقضاء الحوائج، وتقربوا إليها بالذبائح والقرابين في يوم معلوم من السنة، عند إقامة المزار، وتوددوا إليها بعد ما أشاعوا حولها أن من ساق إليها الحيوان ليذبح في ذلك اليوم، وكانت له حاجة يرجوها من ربه، مثل ولد إن كان لا يلد، أو شفاء مرض إن كان مريضًا ؛ لا يرجع إلا بها، فصارت ملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما سأله العباد من ربهم واستغاثوا بها، وأن حوائجهم تقضى لهم من ربهم بواسطتها وعن طريقها، حتى صاروا يذبحون عندها؛ لاستنزال المطر إذا تأخر المطر، معرضين عن كتاب الله وهدي رسول الله ﷺ الذي أمر بالتوبة والاستغفار والدعاء والصلاة طلبًا للسقيا، وقد ينزل المطر بعد ذبحهم؛ استدراجاً وابتلاء، ولكن عملهم لا يزال من أعمال الشياطين، ومعتقدات الجاهلية[1]، فإلى الله المشتكى.

---

(١) «الغلو في الدين» ص (١١١، ١١٢).

إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه دعا للتوحيد وحارب الشرك وأسبابه، فعلى محبيه ومتبعيه أن يأخذوا بأقواله وأفعاله التي ترشدنا للتمسك بالقرآن الكريم وهدي النبي عليه الصلاة والسلام، وما أحسن كلامه عندما قال: لا يرجون أحد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه[1]، وقوله لأبي الهياج الأسدي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «**ألاَّ تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفًا إلا سويته**»[2].

## (و) حرص أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على بطلان الاعتقاد بالكواكب:

لما أراد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يسافر لقتال الخوارج، عرض له منجم، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تسافر؛ فإن القمر في العقرب، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هزم أصحابك - أو كما قال - فقال علي: بل أسافر ثقة بالله وتوكلا على الله وتكذيبًا لك، فسافر فبورك له في ذلك السفر فقتل عامة الخوارج[3]، وجاء في رواية: . . . فلما فرغ من النهروان حمد الله وأثنى عليه ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا المنجم؛ لقال الجهال الذين لا يعلمون: سار في الساعة التي أمره بها المنجم فظفر[4]. انظر إلى حرص أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على سلامة عقيدة أصحابه مما ادعاه المنجم من ذلك الاعتقاد الفاسد، فعلي رضي الله عنه مع ما كان فيه من الأمر المهم من قتال الخوارج، وانشغاله بنتيجة المعركة، فإنه لم ينسَ تلك الكلمة التي قالها ذلك المنجم له في بداية مسيره، فكان منه بيان فساد ذلك المعتقد في الوقت المناسب بعد انتهاء قتاله للخوارج وانتصاره عليهم[5].

## (ز) إحراق أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهية:

عن عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي رضي الله عنه: إن هنا قومًا

(١) «الفتاوى» (٨/ ١٠١).

(٢) «مسلم» كتاب الجنائز (٢/ ٦٦٦).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٧٩)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٨٨).

(٤) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٨٨).

(٥) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص(٣٢٩).

على باب المسجد يدعـون أنك ربهم. فدعاهم فقال لـهم: ويلكم، ما تقولون؟! قالوا: أنت ربنا وخالقـنا ورازقنا. فقال: ويلكم إنما أنا عبد مـثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، وأشـرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصـيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا، فـأبوا فلما كان الغد غدوا عليه. فجاء قنبـر، فقـال: قد والله رجـعوا يقـولون ذلك الكلام، فقـال: أدخلهم، فقـالوا كذلك. فلما كان اليوم الثالث، قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة، فأبوا إلا ذلك، فخد لهم أخـدودًا بين المسجد والقصر، وقال: إني طارحكم فـيها أو ترجعوا. فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها، حتى إذا احترقوا[1] قال:

إِنِّـي إِذَا رَأَيْـتُ أَمْــــــــرًا مُـنْـكَـرًا
أَوْقَـــدْتُ نَـارِي وَدَعَـــوْتُ قُـنْـبَـــرًا[2]

كما أخرج البـخاري في صحيحه خبر الإحـراق من حديث عكرمة، قال: أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحـرقهم، فبلغ ذلك ابن عبـاس رضي الله عنهما فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ حيث قال: «**لا تعذبوا بعذاب الله**»، ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[3]، وقال ابن تيمـية: وثبت عنه أنه حرق غالية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الألوهية[4].

لم ير ابن عبـاس رضي الله عنهما، رأي علي بن أبي طالب رضي الله عنه في إحراق السبـئية، حيث يقول: لو كنـت أنا لم أحرقهم محتجًا عليه بنهي رسول الله ﷺ: «**لا تعذبوا بـعذاب الله**» ولقوله ﷺ: «**من بدل دينه فـاقتلوه**»[5]. قال ابن حـجر: وهذا يحتمل أن ابن عباس رضي الله عنهما سمعه من رسول الله ﷺ، ويحتمل أن يكون سمعه من بعض الصحابة.

---

(١، ٢) «فتح الباري» (١٢/ ٢٧٠)، وسنده حسن.
(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٢٧٠)، وسنده حسن.
(٣) «البخاري»، كتاب المرتدين (٤/ ٢٧٩).
(٤) «الفتاوى» (٢٨/ ٤٧٤)، و«منهاج السنة» (٥/ ١٢).
(٥) «البخاري»، كتاب المرتدين (٤/ ٢٧٩).

وفي رواية أبي داود: فبلغ ذلك عليًّا رضي الله عنه، فقال: ويح أم ابـن عباس[١]، وهذا يحـتمل أنه لم يرض بما اعـتـرض به ورأى أن النهي للتنزيه[٢]. وقال ابن حجـر أيضًا: (ويح) كلمـة رحمة، فـتوجع له لكونه حـمل النهي على ظاهره، فاعتقد التحريم مطلقًا، فأنكره، ويحتمل أن يكون قالها رضا بما قال، وأنه حفظ مـا نسـيه بناء علـى أحد مـا قـيل في تفـسيـر «ويح»، أنهـا تقـال بمعنى المدح والتعـجب[٣]، وقـال: واختلف السلف في التـحـريق، فكره ذلك عمـر، وابن عباس رضي الله عنهما، وغيرهما مطلقًا سواء كان ذلك بسبب كفر، أو في حال مقاتلة، أو كان قصاصا، وأجازه علي، وخالد بن الوليد رضي الله عنه وغيرهما، وقال المهلب: ليس هذا النهي على التحريم، بل على سبيل التواضع، ويدل على جواز التحريق فعل الصحابة، فقد سمل النبي ﷺ أعين الـعرنيين بالحديد المحمى، وقد حرق أبو بكر رضي الله عنه البغاة بالنار بحـضرة الصحابة، وحرق خـالد بن الوليد بالنار ناسًا من أهل الردة، وأكثـر علماء المدينة يجيـزون تحريق الحصون والمراكب على أهليـها، قاله الثوري، والأوزاعي، وقال ابن المنير وغيره: لا حجة فيما ذكر للجواز؛ لأن قصة العرنيين كانت إمـا قصاصا أو منسوخة كما تقدم وتجـويز الصحابي معارض بمنع صحابي آخـر، وقصة الحصون والمراكب مقـيدة بالضرورة إلى ذلك إذا تعين طريقًا للعدو[٤]، وقال ابن القيم: وحرق أبو بكر رضي الله عنه اللوطية وأذاقهم حر النار في الدنيا قبل الآخـرة، وكذلك قال أصحابنا: إذا رأى الإمـام تحريق اللوطي فله ذلك، فإن خـالد بن الوليد رضي الله عنه كتب إلى أبي بكر الصـديق رضي الله عنه أنه وجد في بعض نواحي العرب رجـلا ينكح كما تنكح المرأة، فاسـتشار الصديـق أصحاب رسول الله وفيـهم علي بن أبي طالب وكان أشدهم قولا، فـقال: إن هذا الذنب لم تعص به أمـة من الأمم، إلا واحدة فـصنع الله بهم مـا قد علمـتم، أرى أن يحرق بالنار، فكتب أبو بكر إلى خالـد أن يحرقوا فحرقهم، ثم حـرقهم عبدالله ابن الزبير في خلافته، ثم حرقهم هشام بن عبد الملك[٥].

(١) «سنن أبي داود»، كتاب الحدود (٤/ ٥٢٠)، وصححه الألباني.
(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٢٧١).
(٣) المصدر نفسه (١٢/ ٢٧٢).
(٤) «فتح الباري» (٦/ ١٥٠).
(٥) «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية» ص(٢٢، ٢٣).

**ح- كيفية بداية الإيمان في القلب عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وتعريفه للتقوى:**

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد العبد إيمانا ازداد القلب بياضـا، وكلما ازداد العبد نفاقًا ازداد القلب سوادًا، حتى إذا استكمل العبد النفاق أسود القلب، وايم الله لو شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب المنافق والكافر لوجدتموه أسود(١).

وقد بين علماء أهل السنة حقيقة الإيمان فقالوا، بأن الإيمان هو التصديق بالقلب والنطق بالشهادتين والعمل بالجوارح والأركان أي هو: اعتقاد وقول وعمل، فهذه الثلاثة كلها مندرجة فيه وتمثل أجزاء من حقيقته، وقد تواترت أقوال العلماء ومن بعدهم على هذه الحقيقة واستدلوا بأدلة كثيرة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية على صحة هذا القول في حقيقة الإيمان(٢)، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا** ﴾ (الأنفال: ٢، ٤).

فقد جمعت هذه الآيات - وهي تعرض صفات المؤمنين - بين عمل القلب وعمل الجوارح، واعتبرت هذا كله إيمانا، وقصرت الإيمان عليه بأداة القصر والحصر (إنما) وعرفت المؤمنين بتلك الصفات مجتمعة، عندما ضمنتها بعبارة ﴿**أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**﴾ وأعمال الجوارح في هذه الصفات هي: إقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله(٣).

وقال رسول الله ﷺ : «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»(٤). والشاهد في

---

(١) «الفتاوى» (٧/ ١٩١).

(٢) «في ظلال الإيمان» للخالدي ص (٢٣).

(٣) «تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين» ص (١٨٨).

(٤) «مسلم»، كتاب الإيمان (١/ ٦٣) رقم (٥٧).

الحديث ما ذكره رسول الله ﷺ، فالشهادة قول وإماطة الأذى عن الطريق عمل، والحياء خلق وسلوك، وجعل الثلاثة من الإيمان دليل على حقيقته، ومعظم شعب الإيمان هي أعمال(١)، وقال الإمام البخاري في صحيحه: هو قول وفعل يزيد وينقص والحب في الله والبغض في الله من الإيمان. وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودًا وسننًا، فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص(٢)، وما قاله أمير المؤمنين في الإيمان لما سئل عنه: الإيمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد، والصبر منها على أربع شعب: على الشوق والشفق والزهد والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات، واليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة وتأول الحكمة، وموعظة العبرة وسنة الأولين. فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين، والعدل منها على أربع شعب: على غائض الفهم، وغور العلم، وزهرة الحكم ورساخة الحلم، فمن فهم علم غور العلم، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش بين الناس حميدًا، والجهاد منها على أربع شعب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة(٣).

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تعريفه للتقوى: ترك الإصرار على المعصية، وترك الاغترار بالطاعة(٤)، وقال فيها: التقوى هي الخوف من

---

(١) «في ظلال الإيمان» ص (٣٠).

(٢) «البخاري»، كتاب الإيمان (١/ ٩).

(٣) «نهج البلاغة» ص (٦٦٧، ٦٦٨).

(٤) «تفسير الرازي» (٢/ ٢١).

الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل[١]، ففي اهتمام أمير المؤمنين في حث الناس على التقوى ثمرات وآثار في جانب الفرد والمجتمع؛ منها محبة الله له ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة:٤)، معية الله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ (الآية:١٢٨)، الانتفاع بالقرآن ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:٢)، الحفظ من الشيطان ووساوسه ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف:٢٠١)، انتفاء الخوف والحزن ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف:٣٥) قبول العمل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة:٢٧) اليسر بعد العسر، والمخرج بعد الضيق ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق:٢). ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق:٤). الفراسة والحكمة والنور ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ (الأنفال:٢٩). دخول الجنة ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:١٣٣). النجاة من النار ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم:٧٢). المنزلة العالية يوم القيامة[٢] ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(البقرة:٢١٢).

## ط- القضاء والقدر عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء، وليس من أحد إلا وقد وكل به ملكان يدفعان عنه ويكلانه، حتى يجيء قدره، فإذا جاء قدره خليا بينه وبين قدره، وإن عَلَيَّ من الله جنة حصينة، فإذا جاء أجلي كشف عني، وإنه لا يجد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه[٣]، وقال رضي الله عنه: إن الأمر ينزل من السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصان في نفس أو أهل أو مال، فمن رأى نقصًا في نفسه أو أهله أو ماله، ورأى لغيره عثرة فلا

(١) الفوائد الكلام، ص (٣٣٤).
(٢) سورة الحجرات دراسة تحليلية موضوعية، للعمري ص(٢٣٦، ٢٣٧).
(٣) حياة الصحابة (٢/ ٦١٤)، و الفوائد الكلام، ص (٣٤٨).

يكونن ذلك له فتنة، فإن المسلم ما لم يعش دنياه يظهر تخشعا لها إذا ذكرت، ويغري به لئام الناس، كالبائس العالم ينتظر أول فورة من قداحة توجب له المغنم، وتدفع عنه المغرم، فكذلك المسلم البريء من الخيانة بين إحدى الحسنيين، إذا ما دعا الله، فما عند الله خير له، إما أن يرزقه الله مالاً، فإذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه، وإما أن يعطيه الله في الآخرة، فالآخرة خير، وأبقى، الحرث حرثان، فحرث الدنيا والمال والتقوى، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات، وقد يجمعها الله تعالى لأقوام[1].

### ي- كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟.

قيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟ فقال: كما يرزقهم على كثرة عددهم[2].

## ثانيًا: خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وتحليلها:

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يتعهد الرعية بالتوجيه والتعليم والتربية من خلال الاحتكاك اليومي وخصوصاً يوم الجمعة حيث كانت خطبة الجمعة من المنابر الهامة في توجيه الأمة وترشيدها، وقد حفظ التاريخ لأمير المؤمنين علي كثيرا من خطبه وهذه إشارات عبرت عن خطبه، وإليك هذا النموذج الفريد العجيب من خطبه حيث قال: أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت[3] بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار[4] اليوم، وغداً السباق، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله؛ فقد خاب عمله ألا فاعملوا لله في الرغبة، كما تعملون له في الرهبة، وإنه لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها، وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى جاد به الضلال، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن،

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/٨)، و«فرائد الكلام» ص (٣٤٣).

(٢) «أدب الدنيا والدين» ص (٢٦)، و«فرائد الكلام» ص (٣٣٩).

(٣) أذنت: أعلمت.

(٤) المضمار: الموضع الذي تضمر فيه الخيل للسباق.

ودللتم على الزاد، ألا أيهـا الناس إنما الدنـيا عـرض حـاضر، يأكل منـها البـر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق يحكم فـيها ملك قادر، ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء. والله يعدكم مغفرة منه وفضلا. والله واسع عليم: أيها الناس، أحسنوا في أعماركم تحفظوا في أعقابكم، فإن الله وعد جنته من أطاعه، وأوعد ناره من عـصاه، إنها نار لا يهـدأ زفيرهـا، ولا يفك أسيرها، ولا يجـبر كسيـرها، حرها شديد، وقعرها بعيـد، وماؤها صديد[1]. ولو تأملنا في المقطع السابق لوجدنا أن عوامل التأثير في المدعوين تتمثل فيما يلي:

١- صدق اللهجة النابع من إيمانه بما يدعو إليه، مما يجعل كلماته كأنها قبس من نفسه المشتعلة، وصورة من عواطفـه المنفعلة، فهو لا يكاد ينطق بالجملة حتى تكون أسماعهم قد تلقفتها، وقلوبهم قد وعتها.

٢- تمتاز الألفاظ بالقوة، مع سهولتها وعذوبتهـا وسلاستها، كما أن عبارتها واضحة، وجملتها قصيرة ولعل ذلك يسعف السامعين بإدراك المعنى المراد.

٣- المقابلة بين المعاني المتضادة مما يزيد المعنى وضوحًا، والسامع تأثرًا، ومن ذلك مثـلا: قوله: فإن الدنيـا قد أدبرت وآذنت بوداع.. وإن الآخرة قـد أقبلت وأشرفت باطلاع وقوله: وإنه لم أر كالجنة نام طالبها.. ولا كالنار نام هاربها.

٤- الاقتباس من القرآن الكريم، كما في قوله: ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركـم بالفحـشاء والله يعدكم مـغفـرة منه وفضـلاً، والله واسع عليم، ذلك مقتبس[2]، من قوله تعالى: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة:٢٦٨).

٥- لقد كانت عناصر الخطبة المذكورة تتمثل في التأثر الشديد بالقرآن الكريم وبكلام الرسول ﷺ، وواقعيتها واتصالها الحميم بالحياة البشرية، وعمق المعاني وسموها وشمولها، والإجادة في تخير الألفـاظ وبناء العبارة، والإيجاز، والتعبير عن المعاني والألفاظ بالصور، واعتماد الوسـائل البديعية، وغاية القول، فإن هذه

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٧).

(٢) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله».

الخطبة تكتسب أهمية خاصة لما تتكشف عنه من مزايا دينية وأدبية وشخصية، فهي عميقة الدلالة على شخصية صاحبها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تنبئ عن إدراكه السليم للمفاهيم والآراء الإسلامية السديدة التي تتناول طبيعة الدنيا وغاية الوجود البشري والمصير الذي ينتهي إليه، وتوضح النتائج التي توصل إليها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في هذا الخصوص وتدلنا على ما كان يتحلى به من حكمة نافذة ورؤيا معمقة يرفدها صفاء ذهنه وطهارة روحه، إلى غير ذلك من المزايا العقلية والروحية العالية التي أفاضها عليه إيمانه، وتقاه وتمسكه بعرى الإسلام واعتصامه بربه ورضاه بقضائه، إن هذا كله قد ساعده في الوصول بالنثر الفني إلى هذا المستوى الرفيع، فكان بحق في عالم الأدب فارس الكلمة وقائدها وإمامها تمامًا، كما كان في الناس إمامًا عادلاً زاهدًا، وقائدًا حكيمًا مجربًا، وفارس حرب لا يبارى[1].

هذا وقد اهتم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بانتهاز المناسبات في وعظ الناس وتذكيرهم ولم يكتف بخطب الجمعة فقط، فعندما شيع جنازة ووضعت في لحدها وعج[2] أهلها وبكوا قال: ما تكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم، لأذهلتهم معاينتهم عن ميتهم؛ وإن له فيهم لعودة ثم عودة، ثم لا يبقي منهم أحدًا.. فاتقوا الله عباد الله، وجدوا في الطلب، وبادروا بالعمل مقطع النهمات، وهادم اللذات؛ فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسناد مائل، اتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالآيات والأثر، وازدجروا بالنذر، وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور وسياقة المحشر، وموقف الحساب، بإحاطة قدرة الجبار، لكل نفس مُعلم، سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٦٩).

---

(١) «الأدب العربي» د. لحبيب يوسف مغنية ص (٣٥٤) إلى (٣٦٣).

(٢) العج: رفع الصوت، «الصحاح» للجوهري (١/ ٣٢٧).

فارتجت لذلك اليوم البلاد، وناد المناد، وكان يوم التلاق، وكشف عن ساق، وكسفت الشمس، وحشرت الوحوش، مكان مواطن الحشر، وبدت الأسرار، وهلكت الأشرار وارتجت الأفئدة(١).

**ونستنتج من هذه الموعظة بعض عوامل التأثير منها:**

١- وقوع الموعظة في مناسبتها، فإن الموعظة كانت بمناسبة تشييع جنازة، والنفوس في هذه الحال تكون مستعدة لتلقي ما تذكر به في الموت والدار الآخرة.

٢- الصياغة البلاغية للموعظة، فمواعظ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه تتميز بأسلوبها البلاغي المؤثر في نفوس المدعوين، فمن الجوانب البلاغية في النموذج المذكور ما يلي:

أ - الاستعارة مثل قوله: فكأن قد علقتكم مخالب المنية. تشبيه الموت (المنية) بحيوان مفترس، له مخالب، فحذف المشبه به وأبقى شيئا من لوازمه وصفاته وهو المخالب.

ب - السجع العفوي غير المتكلف مثل قوله: فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسند مائل.

ج- الصيغ الإنشائية(٢)، وهي مبثوثة في الخطبة كلها منها: ما تكون؟ استفهام. . (اتعظوا عباد الله بالعبر) نداء. . (اتعظوا، اعتبروا، وازدجروا، وانتفعوا)، كل هذا على سبيل الأمر .

د- جزالة الألفاظ، لعل أي جزء من الخطبة يكون شاهداً عليها؛ لأن الخطبة كلها لا خلل فيها ولا ضعف.

٣- اعتماد المضمون على القرآن الكريم وانتهاجه منهجه في الإرشاد والإقناع، كقوله: «لكل نفس مُعلم، سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها» اعتماداً على قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق: ٢١).

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١/٧٨)، و«صفة الصفوة» (١/٣٢٨).

(٢) الكلام الذي لا يحتمل التصديق والتكذيب.

٤- الترهيب بذكر أهوال يوم القيامة، كقوله: ودهتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور، وسياقة المحشر، وموقف الحساب بإحاطة قدرة الجبار.

٥- الإقناع ومن ذلك قوله: كم مرضت بيديك وعللت بكفيك، ممن تطلب له الشفاء وتستوصف له الأطباء.. للإقناع بحصول الموت، والارتحال عن الدنيا والقدوم على الآخرة، وأنه لا مهرب ولا فكاك.

٦- استحضار الصورة، وذلك لتعبيره بالفعل الماضي عما سيحدث في المستقبل، حتى يتصور السامع هذا الأمر الذي ينتظره، ومن ذلك قوله: فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور.

٧- لطف العبارة بحيث تستهوي السامعين ولا تنفرهم[1]، فهذه بعض النماذج من خطب ومواعظ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والتي انتشرت بين الناس وساهمت في تربيتهم وتهذيب نفوسهم، وتطهير قلوبهم؛ وكان مفعولها ساري في جيله والأجيال التي بعده إلى يومنا هذا.

**ثالثًا: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والشعر:**

يظهر من الأخبار التي وصلتنا أن الحركة الشعرية في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، كانت نشطة، ومعروف أن كتب الأدب لم تعتمد في الأسانيد على الموثوقين من الرواة، ولكنها تكون المصدر الوحيد للأخبار الأدبية والنقدية التي تتصل بالخلفاء الراشدين، والصحابة بعامة، والتابعين بإحسان ما عدا بعض الأراجيز التي كانت تردد في العهد النبوي وروتها كتب الحديث الشريف[2]، فالمراجع فيما يتعلق بالشعر، والشعراء في عهد أمير المؤمنين علي هي كتب الأدب والأدباء، فهي غنية في هذا الجانب، ولا يختلف موقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من الشعر عن مواقف الراشدين الذين سبقوه إلى سدنة الخلافة، فكلهم

(١) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص (١٤٥).
(٢) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/٩٨).

يستقون من كتاب الله وسنة رسوله، فهو يستمع إلى الشعراء ينشدون بين يديه ما يطيب له أن يسمعه من صادق القول ورفيع المعاني، وكان يعطي على الشعر إذا استساغه وأعجبه، كما مر معنا عندما قال الأعرابي:

كَسَوْتَني حُلَّةً تبْلى مَحَاسِنُها فَسَوْفَ

أكْسُوكَ من حُسْنِ الثَّنا حُللا[1]

ولعلي آراء نقدية راقية في الشعر، ما زالت معايير يعتمدها النقاد في عصرنا الحاضر، فهو يقول: الشعر ميزان القول[2]، أي أن للشعر خصائص فنية يعرف بها صحيح القول من سقيمه في مقاييس أهل هذا الفن الكلامي، وإن خالف في أغراضه قيم قوم آخرين[3]، وأما أمير المؤمنين الشاعر، فقد اختلف في كثير مما ينسب إليه من شعر، وهذا الاختلاف لا يقلل من شاعريته المتمثلة فيما رجحت نسبته إليه، ولا يقدم ولا يؤخر في إمامته اللغوية والأدبية، ولكن يبدو للباحث أن الشعر لم يكن غاية عنده، كما أن سيرته السياسية وما رافقها من أحداث جسام لم تكن لتسمح له بالالتفات إلى صناعة الشعر وروايته، واصطياد المعاني الجميلة واختيار القوافي الرنانة المؤثرة، ومع ذلك فقد اشتهر له شعر كثير، ونسب إليه ديوان شعر يشتمل على العديد من القصائد والمقطوعات، فيه الكثير من الأقوال المرتجلة والآراء السديدة السامية، وكان أول من شكك في نسبة بعض القصائد إليه ابن هشام، فقد روى أن عليًا كان يرتجز في أثناء بناء مسجد الرسول في المدينة:

لا يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُرُ الْمَسْجِدَا

يَدأَبُ فِيهِ قَائِمًا وَقَاعِدَا

ومن يُرى عن الغُبَارِ حَائِدًا[4]

ويعقب ابن هشام قائلا: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا

---

(١) «العمدة» لابن رشيق (١/١٦).

(٢) «العمدة» لابن رشيق (١/١٤).

(٣) «الأدب الإسلامي»، لنايف معروف ص (١٩٢).

(٤) «سيرة ابن هشام» (١/٤٩٧).

الرجز، فقالوا: بلغنا أن عليًا بن أبي طالب ارتجز به، ثم يقـول: فلا يدري أهو قائله أم غـيره؟[١]، وفي موضع آخـر يقول ابن هشـام: وقد روى ابن إسـحاق ثلاث قـصـائد منسـوبة لعلي، ولم تصح له، ويرجح أنهـا قـيلت في المعـارك الإسلامية من قبل أحد المسلمين، وقد نظروا إلى مـعانيها الدينية فرأى الرواة أنها تتناسب وعليًا فنسـبوها له وأما الـديوان الذي نسب إليه فـيرى الدكتـور نايف معروف أن أمـير المؤمنين عليًا بفصـاحته المعهـوده وبلاغته المشـهورة، هو أرفع مـستـوى من مـجمـوع هذا الديوان، ويغلب على الظن أنه خـليط لشعـراء من مستويات متفاوتة قام بجمعها بعض محبيه الذين عز عليهم ألا يكون شاعرًا، ظنًا منهم أن ذلك يرفع من قدره عـند الناس، علما بأن عليًا لم يكن من بين شـعراء الرسول ﷺ الذين تولوا الرد عـلى الحملة الدعائيـة التي شنها شعـراء المشركين على الإسلام والمسلمين[٢]، ولكن الأمر لم يصل إلى حد الرواية التي نقلها ياقوت الحموي عن أبي عثمان المازني، حينما يزعم أنه لم يصح أن عليًا تكلم من الشعر بشيء غير بيتين[٣]، فهناك روايات عديدة جـاءت تخالف هذا القول، إذ أثبت له الرواة عددا من المقطوعات التي صحت نسـبتها إليه عندهم[٤]، ومن الأشعار التي نسبت إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

## ١- في الفرج والشدة:

إِذَا اشْـتَـمَلَتْ عَلَى النَّاسِ القُلُوبُ
وَضَـاقَ بِمَـا بِهِ الصَّـدْرُ الرَّحِـيبُ
وَأَوْطَنَـتْ المَكَـارِهُ وَاطْـمَـأَنَّتْ
وأَرْسَتْ فِي أَمَـاكِنَهَـا الخُطُوبُ[٥]

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٩٧).
(٢) «الأدب في الإسلام». د. نايف معروف ص( ١٩٥) .
(٣) «معجم الأدباء»، لياقوت (٥/ ٢٦٣).
(٤) «الأدب في الإسلام» ص( ١٩٥) .
(٥) الخطوب: الأمور العظيمة.

وَلَمْ تَرَ لانكِشَافِ الضُّرِّ وَجْهًا
ولا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الأَرِيبُ(١)
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنكَ غَوْثٌ
يَمُنُّ بِهِ القَرِيبُ المستجيبُ (٢)
وَكُلُّ الحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ
فَمَوْصُولٌ بِهَا الفَرَجُ القَرِيبُ(٣)

٢- في الصبر:

أَلا فَاصْبِرْ عَلَى الحَدَثِ الجَلِيلِ
وَدَاوِ جَوَاكَ بِالصَّبْرِ الجَمِيلِ (٤)
وَلا تَجْزَعْ فَإِنْ أَعْسَرْتَ يَومًا
فَقَدْ أَيْسَرْتَ في الدَّهْرِ الطَّوِيلِ
وَلا تَظُنَّنَّ بِرَبِّكَ ظَنَّ سُوءٍ
فَإِنَّ اللهَ أَوْلَى بِالجَمِيلِ
فَإِنَّ العُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسَارٌ
وَقَوْلُ اللهِ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلِ
فَلَوْ أَنَّ العُقُولَ تُجِرُّ رِزْقًا
لَكَانَ الرِّزْقُ عِنْدَ ذَوِي العُقُولِ
فَكَمْ مِن مُؤْمِنٍ قَدْ جَاعَ يَوْمًا
سَيُرْوَى مِنْ رَحِيقِ السَّلْسَبِيلِ (٥)

(١) الأريب: العاقل.
(٢) «البداية والنهاية» (٨/ ١٠).
(٣) «البداية والنهاية» (٨/ ١٠).
(٤) الجوى: الشوق.
(٥) «البداية والنهاية» (٨/ ١١).

### ٣- في حرص الناس على الدنيا:

لِلنَّاسِ حِرْصٌ عَلَى الدُّنْيَا وَتَدْبِيرٌ
وفي مُرَادِ الهَوَى عَقْلٌ وتَشْمِيرُ
وإنْ أَتَوا طَاعَةَ اللهِ رَبِّهِمُ
فالعَقْلُ منْهُم على الطَّاعَاتِ مَأْسُورُ
لأَجْلِ هَذَا وذَاكَ الحِرْصِ قَدْ مَزَجَتْ
صَفَاءَ عِيشَاتِهَا هَمٌّ وتَكْدِيرُ
لَمْ يُرْزَقُوهَا بِعَقْلٍ عِنْدَمَا قُسِمَتْ
لكِنَّهم رُزِقُوهَا بِالمَقَادِيرِ
كَمْ مِنْ أَدِيبٍ لَبِيبٍ لا تُسَاعِدُهُ
ومَائِقٍ نَالَ دُنْيَاهُ بِتَقْصِيرِ
لَو كَانَ عَن قُوَّةٍ أو عَنْ مُغَالَبَةٍ
طَارَ البُزَاةُ بِأَرْزَاقِ العَصَافِيرِ (١)

### ٤- في الصداقة:

فَلا تَصْحَبْ أَخَا الجَهْلِ
وَإيَّاكَ وإيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى
حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالمَرْءِ
إِذَا مَا هُوَ مَا شَاهُ

---
(١) «البداية والنهاية» (٨/ ١١).

وَلِلشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ
مَقَايِيسٌ وَأَشْبَاهُ
قِيَاسُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ
إِذَا مَا هُوَ حَاذَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ
دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ (١)

٥- في التواضع والقناعة:

حَقِيقٌ بِالتَّوَاضُعِ مَنْ يَمُوتُ
وَيَكْفِي الْمَرْءَ مِنْ دُنْيَاهُ قُوتُ
فَمَا لِلْمَرْءِ يُصْبِحُ ذَا هُمُومٍ
وَحِرْصٍ لَيْسَ تُدْرِكُهُ النُّعُوتُ
صَنِيعُ مَلِيكِنَا حَسَنٌ جَمِيلٌ
وَمَا أَرْزَاقُهُ عَنَّا تَفُوتُ
فَيَا هَذَا سَتَرْحَلُ عَنْ قَلِيلٍ
إِلَى قَوْمٍ كَلامُهُمُ السُّكُوتُ(٢)

٦- في السر وكتمانه:

وَلا تُفْشِ سِرَّكَ إِلا إِلَيْكَ
فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا
فَإِنِّي رَأَيْتُ غُوَاةَ الرِّجَالِ
لا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا(٣)

---

(٢،١) «البداية والنهاية» (٨/ ١٢).
(٣) «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ٩٧).

## رابعًا: من حكم أمير المؤمنين علي التي سارت بين الناس:

تهيأ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مجموعة من الأسباب من سرعة البديهة، وذلاقة اللسان، ورجحان العقل، وطهارة القلب، وصفاء النفس وعمق الإيمان، والتضلع في الدين والقرب من رسول الله ﷺ وتلقي الوحي عنه، ما مكنه من فصاحة اللسان، وجودة البيان، فأصبحت كلماته دررًا، وجمله حكما أعجبت ذوي العقول، فهي لأهل البلاغة مطلب، ولأهل الهداية مغنم، ففيها حث لهم على فضائل الأعمال، وجميل الخصال وأصبحت حكمه الجميلة مادة قيمة في مجال دعوة الناس وتعليمهم، وتهذيب نفوسهم وتنوير عقولهم، وإحياء قلوبهم، لما فيها من جودة التعبير، ووضوح المعاني، وعمق التفكير، وفوق ذلك فهي تنبع من قلب تقي، وصدر نقي[1]، ومن هذه الحكم على سبيل المثال ما يلي:

١- صلاة الليل بهاء في النهار[2]. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ (الفرقان:٦٤) وقال أيضًا في قيام الليل: «نور المؤمن من قيام الليل»[3].

٢- صلاح الدين من الورع وفساده من الطمع[4].

٣- طوبى لمن عمل بعلمه[5].

٤- الفرصة تمر مر السحاب[6].

٥- قسوة القلب من الشبع[7].

٦- الشرف بالفضل والأدب، لا بالأصل والنسب[8].

٧- جمال الخلق أبهى من جمال الخَلق[9].

٨- في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق[10].

---

(١) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص (٢٧٥).
(٢ ، ٣) «نثر اللآلي» مخطوطة نقلاً عن «منهج علي بن أبي طالب» ص (٢٧٦).
(٤) «نثر اللآلي» مخطوطة نقلا عن «منهج علي بن أبي طالب» (٢٧٦).
(٥) المرجع السابق ص (٢٧٧). (٦) المرجع السابق ص (٢٧٧). (٧) المرجع السابق ص (٢٧٨).
(٨) «الإعجاز والإيجاز» للثعالبي ص (٣٠)، نقلاً عن «منهج علي بن أبي طالب» ص(٢٢٦).
(٩ ، ١٠) «نثر اللآلي» مخطوطة، نقلاً عن «منهج علي بن أبي طالب» ص (٢٢٨).

٩- المعروف كنز من أفضل الكنوز(١).

اجتمع عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جماعة فتذاكروا المعروف، فانتهز أمير المؤمنين هذا الحديث لترغيبهم فيه وحثهم عليه فقال: المعروف كنز من أفضل الكنوز، وزرع من أزكى الزروع، فلا يزهدنكم في المعروف كفر من كفره، وجحد من جحده، فإن من يشكرك عليه ممن لم يصل إليه منه شيء أعظم مما ناله أهله منه، فلا تلتمس من غيرك ما أسديت إلى نفسك، إن المعروف لا يتم إلا بثلاث خصال تصغيره، وستره، وتعجيله، فإذا أصغرته فقط عظمته، وإذا سترته فقد أتممته، وإذا عجلته فقد هنأته(٢).

١٠- لا شرف مع سوء الأدب(٣).

١١- لا راحة لحسود(٤).

١٢- الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له(٥).

١٣- ويل للباغين من أحكم الحاكمين(٦).

١٤- من سل سيف البغي قتل به(٧).

١٥- للظالم البادي -غدا- بكفه عظة(٨).

وهذا الترهيب مستفاد من قوله: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ (الفرقان: ٢٧).

١٦- إخفاء الشدائد من المروءة(٩).

---

(١) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٢١٠) و«منهج علي بن أبي طالب» ص (٢٣٠).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٢١٠)، والمصدر نفسه ص (٢٣٠).
(٣) «الإعجاز والإيجاز» للثعالبي ص (٢٨).
(٤) «مطلوب كل طالب من كلمات علي بن أبي طالب» مخطوطة نقلاً عن «منهج علي» ص (٢٣٤).
(٥) «الإعجاز والإيجاز» للثعالبي ص (٢٩)، و«منهج علي بن أبي طالب» (٢٣٥).
(٦) «الإعجاز والإيجاز» للثعالبي ص (٣٥)، و«منهج علي بن أبي طالب» (٢٣٥).
(٧) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص (٢٣٥).
(٨) المصدر نفسه ص (٢٣٦).
(٩) المروءة: هي كمال الرجولة، «منهج علي بن أبي طالب» ص (٢٤٣).

١٧- أحسن إلى المسيء تسده[١] .

١٨- الإحسان يقطع اللسان[٢] .

١٩- من عذب لسانه كثر إخوانه[٣] .

٢٠- من قل صدقه ، قل صديقه[٤] .

٢١- لسانك يقتضيك ما عودته[٥] .

٢٢- من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه[٦] .

٢٣- صاحب الأخيار تأمن الأشرار[٧] .

٢٤- جليس الخير غنيمة[٨] .

٢٥- صحبة الأحمق نقصان في الدنيا ، وحسرة في الآخرة[٩] .

٢٦- كفى أدبًا لنفسك ما كرهته لغيرك[١٠] .

٢٧- لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال[١١] .

٢٨- خير الناس من ينفع الناس[١٢] .

٢٩- المرء مخبوء تحت لسانه[١٣] .

٣٠- اللسان معيار أطاشه الجهل وأرجحه العقل[١٤] .

٣١- أخوك من واساك في الشدة[١٥] .

---

(١) «نثر اللآلئ من كلام علي بن أبي طالب» ، نقلاً عن «منهج علي بن أبي طالب» ص (٢٤٥) .
(٢) «مطلوب كل طالب في شرح كلمات علي بن أبي طالب» نقلاً عن «منهج علي» ص (٢٤٦) .
(٣) ، (٤) المصدر نفسه ص (٢٤٧) . (٥) المصدر نفسه ص (٢٤٨) .
(٦) «الإعجاز والإيجاز» للثعالبي ص (٢٩) المرجع السابق ص( ٢٤٩) .
(٧) «نثر الآلئ من كلام علي بن أبي طالب» والمرجع السابق ص( ٢٤٩) .
(٨، ٩) «نثر اللآلئ من كلام علي بن أبي طالب» والمرجع السابق ص( ٢٤٩) . (١٠) المرجع السابق ص (٢٥٠) .
(١١) «نثر اللآلئ من كلام علي بن أبي طالب» والمرجع السابق ص (٢٥٠) . (١٢) المصدر السابق ص (٢٥١) .
(١٣) المصدر السابق ص (٢٥٢) . (١٤) «أدب الدنيا والدين» (٢٦٥) .
(١٥) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص (٢٥٣) .

٣٢- قيمة كل امرئ ما يحسنه .

٣٣- احذر صولة الكريم إذا جاع، وصولة اللئيم إذا شبع .

٣٤- النفس مؤثرة للهوى، آخذة بالهويني، جامعة إلى اللهو، أمارة بالسوء، مستوطنة للفجور، طالبة للراحة، نافرة عن العمل، فإن أكرهتها أنضيتها، وإن أهملتها أرديتها(١).

٣٥- العجز آفة، والصبر شجاعة، والزهد ثروة، والورع جنة.

٣٦- لا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حرًا .

٣٧- إياك والاتكال على المنى، فإنها بضائع النوكى(٢).

٣٨- الناس نيام، إذا ماتوا انتبهوا .

٣٩- الناس أعداء ما جهلوا .

٤٠- ما هلك امرؤ عرف قدره .

٤١- رب كلمة سلبت نعمة .

٤٢- الآداب حلل مجددة والفكر مرآة صافية .

٤٣- الفقر يخرس الفطن عن حجته، والمقل غريب في بلدته

٤٤- إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه(٣).

٤٥- اجمعوا هذه القلوب، والتمسوا لها طرف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان(٤).

٤٦- بشاشة الوجه عطية ثانية(٥).

(١) «المرتضى» للندوي ص (٢٠١).
(٢) النوكى: الحمق.
(٣) «المرتضى» للندوي ص (٢٠٢).
(٤) «المرتضى» للندوي ص (٢٠١).
(٥) «نثر اللآلئ في كلام علي بن أبي طالب» نقلاً عن «منهج علي بن أبي طالب» (٢٣٨)

٤٧- العفو عند المقدرة شكر للمقدرة[١].

٤٨- إعادة الاعتذار تذكير للذنب[٢].

٤٩- أبلغ العظات النظر إلى الأموات[٣].

٥٠- ذكر الموت جلاء القلوب[٤].

فهـذه بعض الحكم لأمير المؤمنين علي بـن أبي طالب ﷺ التي سارت بين الناس، والتي لخـصت كثيـرا من تجاربه في الحـياة في عبـارات موجـزة، غزيرة المعاني، والغايات والأهداف والمقاصد كان لها تأثير في حياة المجتمع الذي عاش فيه والمجتـمعات المتلاحقة من بعـده إلى يومنا هذا، لقد كانت الحكم، والخطب والأشعار والمواعظ من وسائل أميـر المؤمنين علي ﷺ في توجيه وترشيد وتعليم المجتمع الإسلامي.

## خامسًا: حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن صفات خيار العباد، وعن تطوع النبي صلى الله عليه وسلم، ووصف الصحابة الكرام.

### ١ - صفات خيار العباد:

سئـل أمير المـؤمنين علي بن أبي طالب عن خيـار العبـاد فقـال: الذين إذا أحسنوا اسـتبـشروا، وإذا أساؤوا اسـتغـفروا، وإذا ابتلوا صبـروا، وإذا غضـبوا غفروا[٥]. وقال: ألا وإن لله عبادًا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وأهل النار في النار معـذبين.. شرورهم مأمـونة، وقلوبهم محزونة، أنفـسهم عفيـفة وحوائجهم خفيفة، صبـروا أيامًا قليلة لعقبى راحة طويلة، إذا رأيتهم في الليل، رأيتهم صافين أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى الله في فكاك

(١) «مطلوب كل طالب» نقلاً عن «منهج علي بن أبي طالب» ص (٢٣٩).

(٢) «الإعجاز والإيجاز» للثعالبي ص (٢٩) نقلاً عن «علي بن أبي طالب» ص(٢٣٩).

(٣) «نثر اللآلي» نقلاً عن «منهج علي بن أبي طالب» ص (١٤٨).

(٤) «منهج علي بن أبي طالب» ص(١٤٩).

(٥) «مروج الذهب» (٢/ ٤٣١).

رقابهم، وأما نهارهم ففضلاء حلماء بررة أتقياء، كأنهم القداح، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرض وما بهم من مرض، وخولطوا، ولقد خالط القوم أمر عظيم[١]، وقال: ينبغي للمؤمن أن يكون نظره عبرة، وسكوته فكرة، وكلامه حكمة[٢]، وقال: طوبى لكل عبد نومه[٣]، عرف الناس، ولم يعرفه الناس، عرف الله برضوان، أولئك مصابيح الهدى، يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة، سيدخلهم الله في رحمة منه ليسوا بالمذاييع[٤]، البذر[٥]، ولا الجفاة[٦] المرائين[٧]، وكلام أمير المؤمنين علي فيه تأثر واضح بقول رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»[٨].

**٢- إجابته لمن سأل عن تطوع النبي ﷺ:** عن عاصم بن ضمرة قال: سألنا عليًا عن تطوع النبي ﷺ بالنهار فقال: إنكم لا تطيقونه. قال: قلنا ما أطقنا. قال: كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر أمهل، حتى إذا كانت الشمس من ههنا، يعني من قبل المشرق، مقدارها من صلاة العصر من ههنا من قبل المغرب قام فصلى ركعتين، ثم يمهل حتى إذا كانت الشمس من ههنا يعني من قبل المشرق مقدارها من صلاة الظهر من ههنا، يعني من قبل المغرب قام فصلى أربعا، وأربعا قبل الظهر إذا زالت الشمس، وركعتين بعدها، وأربعا قبل العصر، يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين، والنبيين، ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين، قال: قال علي: تلك ست عشرة ركعة تطوع النبي ﷺ بالنهار، وقل من يداوم عليها[٩]، وقد بين أمير المؤمنين في موضع آخر هدي رسول الله ﷺ في الوتر فقال: أوتر رسول الله ﷺ من أول الليل وآخره وأوسطه

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٦).
(٢) «مروج الذهب» (٢/ ٤٣٤).
(٣) الخامل الذكر الذي لا يؤبه له، وقيل: الغامض في الناس الذي لا يعرف الشر وأهله.
(٤) المذاييع: جمع مذياع، من أذاع الشيء إذا أفشاه والمذايع: الذي لا يكتم السر.
(٥) البذر: جمع بذور، وهو الذي يفشي الكلام بين الناس.
(٦) الجفاء: غلظ الطبع.
(٧) «صفة الصفوة» (١/ ٣٢٥).
(٨) «المسند» (١/ ١٦٨) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، و«مسلم» (٤/ ٢٢٧٧).
(٩) «مسند أحمد» (٢/ ٦٢) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

فانتهى وتره إلى السحر(١)، وفي بيان هدي النبي ﷺ بعد صلاته، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة قال: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»(٢).

## ٣- وصف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للصحابة الكرام:

لما أحس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أصحابه شيئًا من الغفلة وقلة النشاط في الطاعة، ذكرهم بشيء من سيرة أسلافهم أصحاب رسول الله ﷺ فيما رواه أبو أراكه بقوله: صليت مع علي صلاة الفجر، فلما انفلت عن يمينه مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئا يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفرًا شعثًا غبرًا بين أعينهم أمثال رُكَب المِعْزَى، قد باتوا لله سجدًا وقيامًا، يتلون كتاب الله، يتراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم الريح.

وهملت أعينهم حتى ابتلت ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين، ثم نهض فما رئي بعد ذلك مفترًا يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق(٣).

## ٤- تنبيه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أصحابه على فضائل الأعمال:

مما ورد له في خطبة قوله: أوصيكم بتقوى الله فإن أفضل ما توسل به العبد الإيمان والجهاد في سبيله، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة وإيتاء الزكاة فإنها فريضة، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من عذابه، وحج البيت فإنه منفاة مدحضة للذنب، وصلة الرحم فإنها منسأة في الأجل، محبة في الأهل، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة، وتطفئ غضب الرب، وصنع المعروف،

(١) «مسند أحمد» (٢ / ٦٤) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) «صحيح سنن أبي داود» (١/ ٢٨٣) للألباني.

(٣) «حلية الأولياء» (١/ ٧٦).

فإنه يدفع ميتة السوء، ويقي مصارع الهول، أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر(١).

### ٥- معايدة المريض:

عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه قال: أخذ علي بيدي، قال: انطلق بنا إلى الحسن نعوده، فوجدنا عنده أبا موسى فقال علي رضي الله عنه: أعائدًا جئت يا أبا موسى أم زائرًا؟ قال: لا بل عائدًا، فقال علي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك، حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح**»(٢).

### ٦- تشجيعه لابنه الحسن على الخطابة:

قال أمير المؤمنين علي لابنه الحسن يومًا: يا بني ألا تخطب حتى أسمعك؟ فقال: إني أستحي أن أخطب وأنا أراك، فذهب علي حيث لا يراه الحسن، ثم قام الحسن في الناس خطيبًا، وعلي يسمع فأدى خطبة بليغة فصيحة، فلما انصرف جعل علي يقول: ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم(٣).

### ٧- إني لست كما تقول:

قال عمرو بن مُرَّة، عن أبي البختري قال: جاء رجل إلى عليٍّ فأثنى عليه، وكان قد بلغه عنه أمر، فقال: إنّي لست كما تقول، وأنا فوق ما في نفسك(٤).

### ٨- التحذير من الانقياد للشهوات:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم؛ فإن عاجلها ذميم، وآجلها وخيم، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب، فسوّفها بالتأميل والإرغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعا على النفس ذلت لهما وانقادت(٥).

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٣١٩).
(٢) «صحيح سنن الترمذي» للألباني (١/ ٢٨٦).
(٣) «البداية والنهاية» (٨/ ٣٧).
(٤) «تاريخ الذهبي عهد الخلفاء الراشدين» (٦٤٦).
(٥) «أدب الدين والدنيا» ص(٢٦).

**٩- إدخال السرور على المسلم:**

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم[١].

**١٠- أشد الأعمال ثلاثة:**

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك، وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ في المال[٢].

## سادسًا: التحذير من الأمراض الخطيرة التي حذر منها أمير المؤمنين:

**١- جزاء المعصية:**

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والنقص في اللذة، قيل: وما النقص في اللذة؟ قال: لا ينال شهوة حلال إلا جاءها ما ينغصه إياها[٣]، ومع هذا الترهيب والتخويف من المعصية فإن أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه لا يغفل عن الترغيب في تركها؛ حيث قال: من كان يريد العز بلا عشيرة والنسل بلا كثرة، والغنى بلا مال، فليتحول من ذل المعصية إلى عز الطاعة[٤]، وقال: إذا رغبت في المكارم، فاجتنب المحارم[٥].

**٢- طول الأمل واتباع الهوى:**

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منبر الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس، إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل[٦].

---

(١) «تنبيه الغافلين» ص(٢٤٥).
(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٨٥).
(٣) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص(٢٠٤).
(٤) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٢٠٦).
(٥) «منهج علي في الدعوة إلى الله» ص(٣٠٧)، نقلاً عن «سجع الحمام في حكم الإمام» ص(٥٧).
(٦) «حلية الأولياء» (١/ ٧٦)، و«صفة الصفوة» (١/ ٣٢١).

فقد أشار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في هذه الخطبة إلى أمرين خطيرين لهما تأثير كبير في حياة الناس وهما طول الأمل بالبقاء على قيد الحياة؛ فإنه يخدع الإنسان فيشغله بمشاريعه وطموحاته الدنيوية، ويمنيه بتأجيل الأعمال الصالحة وينسيه الحياة الآخرة، فيتضخم عمله للدنيا ويتضاءل عمله للآخرة، ولو أن كل إنسان وضع في مخيلته أنه معرض للموت في كل ساعة لأصبح العمل للدنيا قليلاً بقدر الضرورة، ولأصبح العمل للآخرة كثيراً؛ لأنه هو الذي سيبقى، بعد الموت، وأما اتباع الهوى؛ فإنه يغير اتجاه صاحبه، ويجعل الهدف الأعلى في فكره هو تحقيق هوى نفسه وهوى من يعمل تحت إدارتهم، وينسى الهدف الإسلامي الأعلى الذي هو ابتغاء رضوان الله تعالى وفضله في الجنة، وبناء على تغير الأهداف فإن مناهج العمل تتغير فتصبح مناهج دنيوية يُراد بها تحقيق أهداف لا تتجاوز الحياة الدنيا، كما تتغير العلاقات والروابط، فتصبح الأخوة قائمة على المصالح الدنيوية بدلاً من الإيمان والتقوى، إلي غير ذلك مما يترتب على تغير الأهداف[1].

## ٣- الرياء:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا تعمل شيئًا من الخير رياءً، ولا تتركه حياء[2]، وقال رضي الله عنه: للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذم به[3]، وقد جاءت نصوص الشرع بتسمية الرياء شركًا أصغر، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء يقول الله تعالي يوم القيامة، إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلي الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟**»[4]، وعن شداد بن أوس، قال: كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر[5]، إن

---

(١) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (٢٠/ ٢٧٦).

(٢) «أدب الدنيا والدين» ص(١١٠).

(٣) «الكبائر» للذهبي ص(١٤٥). و «فرائد الكلام» ص(٣٣٨).

(٤) «مسند أحمد» (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩) إسناده حسن.

(٥) «الحاكم» (٤/ ٣٢٩) صححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١٨).

أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حذّر من مرض القلب الخطير المتعلق بإرادة الإنسان وقصده، وحث الناس على إفراد الله سبحانه وتعالى بالقصد والطاعة والالتزام بالسير على هدي السنة النبوية؛ فقد ثبت عنه أنه قال: لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بنية ولا نية إلا بموافقة السنة[1]، وروي عن الفضيل بن عياض أنه تلا قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: ٢)، فقال: أخلصه وأصوبه قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إذا كان العمل خالصًا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا، لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة[2].

إن صور الرياء متعددة: منها ما يكون بالأعمال، كمن يصلي فيطيل القيام ويطيل الركوع والسجود ويظهر الخشوع عند رؤية الناس له، ومنها ما يكون من جهة القول، كالرياء بالوعظ والتذكير وحفظ الأخبار والآثار لأجل المحاورة وإظهار غزارة العلم، وتحريك الشفتين في محضر الناس ويتغافل عنه في منزله، أو يكون الرياء من جهة الزي، كإبقاء أثر السجود على جبهته، ولبس الغليظ من الثياب وخشنها مع تشميرها كثيرًا ليقال: عابد زاهد، أو ارتداء نوع معين من الزي ترتديه طائفة يعدهم الناس علماء ليقال: عالم، أو يكون الرياء بالأصحاب والزائرين، كالذي يتكلف أن يستزير عالمًا أو عابدًا ليقال: إن فلانا قد زار فلانًا، ودعوة الناس لزيارته كي يقال: إن أهل الخير يترددون عليه، وكذلك من يرائي بكثرة الشيوخ ليقال: لقي فلان شيوخًا كثيرين واستفاد منهم ليباهي بذلك، أو يكون الرياء لأهل الدنيا، كمن يتبختر ويختال في مشيته، أو يصعر خده أو يلف عباءته، أو يحرك سيارته حركة خاصة، أو يكون الرياء من جهة البدن؛ كأن يرائي بإظهار النحول والصفار ليوهم الناس أنه جاد في العبادة كثير الخوف والحزن وغير ذلك من الصور التي يرائي بها المراؤون، يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد[3].

(١) «الشريعة» للآجري (٢/ ٦٣٨)، وإسناده فيه ضعف.
(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٨٩).
(٣) انظر: «مختصر منهاج القاصدين» ص(٢١٥ـ ٢١٧)، و«الشرك في القديم والحديث» لأبي بكر محمد زكريا (١/ ١٧١، ١٧٢).

وبالجملة فإن المحافظة على أعمال الخير والإكثار من ذكر الله وعبادته وخشيته وحده، وعدم خشية الناس في ذات الله ومحبة الصالحين وغيرها كل هذا من الأعمال الصالحة الحسنة المطلوبة، ولكن لابد أن تكون كلها لله؛ لأن الرياء هو عمل العمل الصالح لغير الله، فيجب على المؤمن تصحيح نيته لله لا أن يترك العمل الصالح خوفا من الرياء، فليحذر تلك الأصناف من خطورة مرض الرياء وليتذكروا قول رسول الله ﷺ: «**من طَلَبَ العلْمَ ليمَاري به الفقهاء، أو يجاري به العلماء، أو يَصْرِفَ به وجوهَ الناس إليه؛ أدخله الله النار**»(١).

إن أمير المؤمنين عليًا حذّر من الرياء وبين أن الأعمال لا تقبل إلا إذا كانت خالصة لله وعلى سنة رسول الله ﷺ، وقد حث رضي الله عنه على التمسك بالسنة في مناسبات عديدة، فقد قال: «واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ؛ فإنه أفضل الهدي، واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن»(٢).

## ٤- العجب:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الإعجاب آفة الألباب(٣). إن العجب من الآفات التي تفسد الأعمال، وتهلك العباد، والعجب أحد العوارض التي تعرض للعاملين أثناء سيرهم إلى الله تعالى، والعجب داء ينافي الإخلاص ويضاده، ويجافي الذلّ والافتقار لله تعالى، فهو سوء أدب مع الله جل جلاله، كما أن العجب يجانب محاسبة النفس، ويعمى عن معرفة أدواء النفس وعيوبها، ومع كل ذلك فالحديث عن تلك الآفة قليل مع شدة خطرها، وعظيم ضررها، وكثرة انتشارها، قال عبدالله بن المبارك: العجب أن ترى عندك شيئًا ليس عند غيرك(٤)، وفرق ابن تيمية بين الرياء والعجب فقال: والعجب قرين الرياء لكن الرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس، فالمرائي لا يحقق قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ والمعجب لا يحقق قوله: ﴿**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ فمن

---

(١) «مسلم»، كتاب الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة (٢/ ١٥١٣). (٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٣١٩).
(٣) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٧١). (٤) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٠٧).

حقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ خرج من الرياء، ومن حقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ خرج عن الإعجاب(١).

وقال الغزالي: أعلم أن آفات العجب كثيرة، فإن العجب يدعو إلى الكبر، فيتولد عن العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى، والعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، وأما العبادات فإنه يستعظمها ويتبجح بها، ويمنّ على الله بفعلها، وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها، والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه، ويظن أنه عند الله بمكان.. ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها(٢).

وقال القرافي: وسر تحريم العجب أنه سوء أدب على الله تعالى فإن العبد لا ينبغي له أن يستعظم ما يتقرب به إلى سيده، بل يستصغره بالنسبة إلى عظمة سيده، لاسيما عظمة الله تعالى، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الزمر:٦٧)، أي ما عظموه حق تعظيمه، فمن أعجب بنفسه وعبادته فقد هلك مع ربه، وهو مطلع عليه، وعرض نفسه لمقت الله تعالى وسخطه(٣).

ويمكن القول ابتداء: إن سبب العجب أمران:

(أ) الجهل بحق الله تعالى، وعدم تقدير الله تعالى حقّ قدره، وقلة العلم بأسماء الله وصفاته، وضعف التعبد بهذه الأسماء والصفات.

(ب) الغفلة عن حقيقة النفس، وقلة العلم بطبيعتها، والجهل بعيوبها وأدوائها، وإهمال محاسبة النفس ومراقبتها(٤).

ومن ثم فإن العلاج هو التعرف على الله تعالى، وتحقيق تعظيمه وتقديره حق قدره والقيام بالعبودية له من خلال العلم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وتعبد المولى عز وجل بها، فالخير كله بيديه، ورحمته تعالى وسعت كل شيء ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (النحل:٥٣).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٧٧). (٢) «الإحياء» (٣/ ٣٧٠) باختصار. (٣) «الفروق» (٤/ ٢٢٧).

(٤) «معالم في السلوك وتزكية النفوس»، لعبدالعزيز عبد اللطيف ص(٩٨).

قال الإمام الشافعي: إذا خفت على عملك العُجْب، فاذكر رضى من تطلب، وفي أي نعيم ترغب، ومن أي عقاب ترهب، فمن فكر في ذلك صغُر عنده عمله(١).

وقال النووي: وطريقه في نفي الإعجاب أن يعلم أن العلم فضل من الله تعالى، ومنّة عارية، فإن لله تعالى ما أخذ، وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فينبغي ألاَّ يعجب بشيء لم يخترعه، وليس مالكًا له، ولا على يقين من دوامه(٢).

قال ابن القيم: اعلم أن العبد إذا شرع في قول أو عمل يبتغي به مرضاة الله، مطالعًا فيه منة الله عليه به، وتوفيقه له فيه، وأنه بالله لا بنفسه، ولا بمعرفته وفكره وحوله وقوته، بل هو الذي أنشأ له اللسان والقلب والعين والأذن، فالذي منّ عليه بالقول والفعل، فإذا لم يغب ذلك عن ملاحظته، ونظر قلبه لم يحضره العجب الذي أصله رؤية نفسه وغيبته عن شهود منة ربه وتوفيقه(٣)، وأما العلاج الآخر للعجب فهو معرفة النفس ومحاسبتها، قال ابن الجوزي: من تلمح خصال نفسه وذنوبها، علم أنه على يقين من الذنوب والتقصير، وهو من حال غيره، في شك، فالذي يُحذر منه الإعجاب بالنفس، ورؤية التقدم في أعمال الآخرة، والمؤمن لا يزال يحتقر نفسه، وقد قيل لعمر بن عبدالعزيز ﷺ: إن مت ندفنك في حجرة رسول الله ﷺ، فقال: لأن ألقى الله بكل ذنب غير الشرك أحب إليّ من أن أرى نفسي أهلاً لذلك(٤)، وقال ابن حزم: من امتحن بالعجب فليفكر في عيوبه، فإن أعجب بفضائله، فليفتش عما فيه من الأخلاق الدنيئة، فإن خفيت عليه جملة حتى لا يظن أنه لا عيب فيه، فليعلم أن مصيبته إلى الأبد، وأنه أتمّ الناس نقصًا، وأعظمهم عيوبًا، وأضعفهم تمييزًا، وأول ذلك أنه ضعيف العقل، جاهل، ولا عيب أشد من هذين؛ لأن العاقل هو من ميّز عيوب

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٠/٤٢).
(٢) «المجموع» (١/٥٥).
(٣) «الفوائد» ص(١٤٤).
(٤) «صيد الخاطر» ص(٢٥٠ ، ٢٥١).

نفسه فغالبها وسعى في قمعها، والأحمق هو الذي يجهل عيوب نفسه، وإن أعجبت بآرائك، فتفكر في سقطاتك واحفظها ولا تنسها، وفي كلّ رأي قدّرته صوابًا فخرج بخلاف تقديرك، وأصاب غيرك وأخطأت أنت، وإن أعجبت بعملك، فاعلم أنه لا حصة لك فيه، وأنه موهبة من الله مجردة، وهبك إياها ربك تعالى، فلا تقابلها بما يسخطه، فلعله ينسيك ذلك بعلة يمتحنك بها، تولّد عليك نسيان ما علمت وحفظت، وإن أعجبت بمدح إخوانك لك، ففكر في ذمّ أعدائك إياك، فحينئذ ينجلي عنك العجب، فإن لم يكن لك عدو، فلا خير فيك، ولا منزلة أسقط من منزلة من لا عدوله، فليست إلا منزلة من ليس لله تعالى عنده نعمة يحسد عليها ــ عافانا الله ــ فإن استحقرت عيوبك، ففكر فيها لو ظهرت إلى الناس، وتمثل اطلاعهم عليها، فحينئذ تخجل وتعرف نقصك[1]، ويقول ابن القيم أثناء حديثه عن الحكم والأسرار في قضاء السيئات وتقدير المعاصي: ومنها: أن الله سبحانه إذا أراد بعبده خيرًا أنساه رؤية طاعاته ورفعها من قلبه ولسانه، فإذا ابتلي بذنب جعله نصب عينيه، ونسي طاعته وجعل همه كله بذنبه، فلا يزال ذنبه أمامه، إن قام أو قعد، أو غدا أو راح، فيكون هذا عين الرحمة في حقه، كما قال بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب فيدخل به الجنة، ويعمل الحسنة فيدخل بها النار، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يعمل الخطيئة فلا تزال نصب عينيه، كلما ذكرها بكى وندم وتاب واستغفر، وتضرّع وأناب إلى الله، وذلّ له وانكسر وعمل لها أعمالاً فتكون سبب الرحمة في حقّه، ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه يمنّ بها، ويراها، ويعتدّ بها على ربه وعلى الخلق، ويتكبر بها ويتعجب من الناس كيف لا يعظمونه ويكرمونه ويجلونه عليها؟، فلا تزال هذه الأمور به حتى تقوى عليه آثارها فتدخله النار[2]، هذا شرح موجز وسريع لقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : الإعجاب آفة الألباب[3].

(١) «الأخلاق والسير» ص(٦٦ ـ ٧١) باختصار.
(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٩٧ ، ٢٩٨) ، و«مدارج السالكين» (١/ ١٧٧).
(٣) «جامع البيان والعلم وفضله» (١/ ٥٧).

## سابعًا: اهتمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بترشيد الأسواق ومواقف متنوعة مع الناس:

حرص أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على تفقد أحوال المتعاملين في السوق وحملهم على التعامل بالشرع الحنيف، وقد ثبت أن عليًا رضي الله عنه كان شديد العناية بالاحتساب في مجال السوق، فعن الحر بن جرموز المرادي عن أبيه قال: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج من القصر وعليه قطريتان إزاره إلى نصف الساق، ورداؤه مشمر قريبًا منه، ومعه الدرة يمشي في الأسواق ويأمرهم بتقوى الله وحسن البيع ويقول: أوفوا الكيل والميزان ولا تنفحوا[1] اللحم[2]، وعن أبي مطر قال: خرجت من المسجد، فإذا رجل ينادي من خلفي: ارفع إزارك؛ فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك، وخذ من رأسك إن كنت مسلمًا فمشيت خلفه، وهو مؤتزر بإزار، مرتد برداء، ومعه الدرة، كأنه أعرابي بدوي، فقلت: من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريبًا في هذا البلد، فقلت: أجل من أهل البصرة. فقال: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رضي الله عنه، حتى انتهى إلى دار ابن أبي معيط وهو يسوق الإبل، فقال: بيعوا ولا تحلفوا؛ فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة ثم أتى أصحاب التمر، فإذا خادمة تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: باعني هذا الرجل تمرًا بدرهم، فرده موالي فأبى أن يقبله. فقال له علي: خذ تمرك وأعطها درهمًا، فإنها ليس لها أمر، فدفعه، فقلت: أتدري من هذا؟ فقال: لا. فقلت: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين. فوهبت تمرها فأعطاها درهمًا. ثم قال الرجل: أحب أن ترضى عني يا أمير المؤمنين. قال: ما أرضاني عنك، إذا وفيت الناس حقوقهم. ثم مر مجتازًا بأصحاب التمر، فقال: يا أصحاب التمر، أطعموا المساكين، يَرْبُ كسبكم ثم مر مجتازًا - ومعه المسلمون - حتى انتهى إلى

---

(١) في بعض الروايات (ولا تنفخوا) كما في «الطبقات» (٣/ ٢٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٨ ٣٠).

(٢) «تنفيج العظم» استخراج مخه وتنفج شحم الناقة أي قل، ونفح الشيء أي قشره، والمراد-والله أعلم-: لا تخرجوا مخ العظام المكسورة باللحم «لسان العرب» (٢/ ٦٢٤)، و«فضائل الصحابة» (٢/ ٦٨٨)، وإسناده صحيح رقم (٩٣٨).

أصحاب السمك، فقال: لا يباع في سوقنا طافي. ثم أتى دار فرات وهي سوق الكرابيس[١]، وعن زاذان قال: كان علي يمشي في الأسواق وحده يرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص:٨٣)، ثم يقول: نزلت هذه الآية بأهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس[٢]، وأخرج الخلال بسنده عن أبي سعيد قال: كان علي إذا أتى السوق فقال: يا أهل السوق، اتقوا الله وإياكم والحلف؛ فإن الحلف ينفق السلعة، ويمحق البركة، وإن التاجر فاجر إلا من أخذ الحق وأعطى الحق، والسلام عليكم ثم ينصرف، ثم يعود إليهم فيقول لهم مثل مقالته[٣]، وعن أبي الصهباء قال: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه بشط الكلأ يسأل عن الأسعار[٤]، فهذا الإشراف المباشر من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، تضمن أموراً منها:

(أ) لم تقتصر الجولات على الإشراف والتوجيه، بل تعدت ذلك إلى خدمة الناس في شؤونهم؛ كإرشاد الضال، وإعانة الضعيف، فمن كانت هذه حاله كانت كلماته وتوجيهاته أقرب للناس، وأبلغ في نفوس السامعين.

(ب) يتضمن التوجيه النصح بتقوى الله سبحانه وتعالى وحسن البيع، وربما وعظهم بالقرآن الكريم، فإن من اتقى الله سبحانه وتعالى أحسن معاملته للناس في النفع لهم، والبعد عن مخادعتهم وغشهم.

(ج) منع الظلم في المعاملات، وإعادة الحق إلى أهله؛ لأن موالي الجارية التي اشترت التمر لم يجيزوا هذا الشراء، وهي في نفسها ليس لها أمر.

(د) النهي عن أصناف الغش التي تحصل في الأسواق؛ كنهيه عن تنقيح اللحم، وفي رواية (نفخ اللحم).

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/٤) اسم سوق الكرابيس.

(٢) «الدر المنثور» للسيوطي (٦/٤٤٤)، و«البداية والنهاية» (٨/٥).

(٣) «السنة» ص(٣٥٢)، تحقيق: د. عطية الزهراني ص(٣٥٢).

(٤) «الرياض النضرة في مناقب العشرة» ص(٦٩٠) شط الكلأ: مكان وبالبصرة سوق الكلأ.

(هـ) بيان بعض الأحكام والآداب المتعلقة في معاملات الناس ومنها :

- النهي عن الحلف في البيع ، وتعليل ذلك بأن اليمين تنفق السلعة ، وتمحق البركة ، كما ورد عن رسول الله ﷺ : «**الحلف مَنْفَقَة للسلعة، مَمْحَقةٌ للبركة**»[1] .

- الحث على إطعام المساكين وترغيبهم فيه؛ لأنه زيادة في الكسب .

- النهي عن بيع السمك الطافي[2] ، ولعل ذلك حتى لا يختلط مع المصيد الطري .

كان أمير المؤمنين يتفقد أمور التجار في حضرته ويأمر ولاته بذلك في الولايات ، ويثني على المحسن منهم ، أما من يقترف خطيئة بعد النهي ، فينكل به ، ويعاقبه من غير إسراف[3] ، وكانت له بعض الإرشادات النافعة والنواهي الزاجرة التي تحث الناس على مكارم الأخلاق والالتزام بأحكام الشريعة وإليك بعض منها :

## ١- إنكاره على مزاحمة النساء الرجال في الأسواق:

أنكر أمير المؤمنين علي على أناس لا يمنعون نساءهم من الخروج إلى الأسواق مزاحمات الكفار ، فقال لهم : ألا تستحيون أو تغارون؟ فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج[4] .

## ٢- لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره:

كان علي رضي الله عنه يدخل السوق وبيده الدرة ، وعليه عباءة ويقول : يأيها التجار ، خذوا الحق ، وأعطوا الحق تسلموا ، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره ، ونظر إلى رجل يقص ، فقال له : أتقص ونحن قريب عهد برسول الله ﷺ ؟

---

(١) البخاري ، كتاب البيوع (٢/ ٨٥) .

(٢) هو الذي يعلو الماء ولا يرسب .

(٣) الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام ص(٢٠٢) .

(٤) العلوج : جمع علج وهو الواحد من كفار العجم ، مسند أحمد (٢/ ٢٥٤ ، ٢٥٥) قال أحمد شاكر : صحيح الإسناد .

لأسألنك فإن أجبتني وإلا جعفتك[١] بهذه الدرة، ما ثبات الدين وما زواله؟ قال: أما ثباته فالورع وأما زواله فالطمع، قال: أحسنت قص فمثلك من يقص[٢].

### ٣- خطورة التجارة قبل التفقه في أحكامها:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : من اتجر قبل أن يتفقه في الدين فقد ارتطم في الربا ثم ارتطم ثم ارتطم[٣]، وقد كان الفاروق رضي الله عنه يضرب بالدرة من يقعد في السوق وهو لا يعرف الأحكام، ويقول: لا يقعد في سوقنا من لا يعرف الربا[٤]، وكان يقول: لا يبيع في سوقنا إلا من تفقه، وإلا أكل الربا شاء أو أبى[٥]، فكل شؤون الحكم كانت محل اهتمام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لا يطغى جانب على جانب، فلا يختل الحال بين يدي الحاكم، فقد كانوا يقعّدون للتجارة القواعد التي تصلح للأسواق، وتنظم التداول، وتضمن الثبات والاستقرار، فلا غبن ولا غش، ولا احتكار ولا أسواق سوداء ولا زرقاء، ولا جهل بما يجوز وما لا يجوز في عالم التجارة، ويمكن اليوم تفقيه التجار من خلال دورات في المساجد خصوصًا التي في قلب الأسواق، ولابد من توجيه الخطاب للتجار من خلال كتيبات خاصة بهم والأشرطة الصوتية المختصرة التي تبين أحكام التجارة وتبسط المسائل المتعلقة بها والتي تبرز ما يلي:

- نماذج مختارة من التجار المسلمين المخلصين لدينهم الذين نصروا الله ورسوله بأموالهم.
- بيان أهمية الآخرة بالنسبة لهم لكي يجمعوا بين خيري الدنيا والآخرة.

وعلى العلماء وطلاب العلم واجب كبير في تفقيه هذه الشريحة الكبيرة في المجتمعات، وعلى الحركات الإسلامية ألاّ تنسى واجبها في تعليم أبنائها من التجار وغيرهم هذا الفقه العزيز.

---

(١) جعفه: صرعه وضرب به الأرض.

(٢) «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (٥/ ٧٠).

(٣) ارتطم: وقع، «بستان العارفين» ص(٣٥٠).

(٤، ٥) «نظام الحكومة الإسلامية» للكتاني (٢/ ١٧).

## ٤- من سبق إلى موضع فهو أحق به:

أثيرت قضية المحل التجاري في السوق وقضى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في سوق الكوفة، أن من سبق إلى موضع فهو أحق به ما دام فيه ذلك اليوم، فإذا انتقل عنه، فهو لمن حلَّ فيه، قال الأصبغ بن نباتة: خرجت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى السوق، فرأى أهل السوق قد حازوا أمكنتهم فقال علي رضي الله عنه: ما هذا؟ فقالوا: أهل السوق قد حازوا أمكنتهم، فقال: ليس ذلك لهم، سوق المسلمين كمصلًّى المسلمين، من سبق إلى شيء فهو له يومه حتى يدعه، وظلّت هذه القاعدة متَّبعة حتى ولاية المغيرة بن شعبة، فلمّا كانت ولاية زياد بن أبيه عليها عام ٤٩هـ، جعل من قعد في مكان فهو أحق به ما دام فيه[١].

## ٥- المحتكر عاص ملعون:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في احتكار الطعام: جالب الطعام مرزوق، والمحتكر عاص ملعون[٢]، وقد أمر أمير المؤمنين بتحريق الطعام المحتكر، فقد أخرج الحافظ ابن أبي شيبة عن الحكم قال: أخبر علي برجل احتكر طعامًا بمائة ألف فأمر به أن يحرق[٣] وقد ذهب ابن قدامة إلى أن الاحتكار المحرم ما اجتمعت فيه شروط ثلاثة هي:

(أ) أن يشتري، فلو جلب شيئًا، أو أدخل من غلته شيئًا فادخره لم يكن محتكرًا، وهذا واضح من قول علي رضي الله عنه.

(ب) أن يكون المشترى قوتًا[٤].

(ج) أن يضيق على الناس بشرائه، وترهيب أمير المؤمنين علي من الاحتكار مبني على قول رسول الله ﷺ: **«لا يحتكر إلا خاطئ»**[٥].

---

(١) «الأموال» لأبي عبيد ص(١٢٣)، و«الحياة الاقتصادية» د. بطاينة ص(١١٥).

(٢) «فقه علي» لقلعجي ص(٢٧)، و«مصنف عبدالرزاق» (٨/٤-٢)، و«مسند زيد» ص(٢٤٥).

(٣) «المصنف» رقم (٤٣٣) (٦/١٠٣)، و«الحسبة في العصر النبوي» ص(٣٤).

(٤) وقيل: لا فرق بين القوت وغيره.

(٥) «مسلم»، كتاب المساقاة (٣/١٢٢٨) والخاطئ: العاصي الآثم.

### ٦- الخسارة على المال والربح على ما اصطلحوا عليه:

بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شيئًا من أحكام المضاربة وهي: نوع من أنواع المعاملات بين الناس، وهي دفع مال معلوم لمن يتجر به ببعض ربحه، فقال رضي الله عنه: الوضيعة على المال، والربح على ما اصطلحوا عليه[١]، والوضيعة تعني الخسران في الشركة وهي على المال، أي على كل واحد بقدر ماله، فإن كان مالهما متساويًا في القدر[٢] فالخسران بينهما نصفين، وإن كان أثلاثًا فالوضيعة أثلاثًا.

### ٧- تحريقه قرية كانت تباع فيها الخمر:

كان رضي الله عنه شديد الإنكار على من باع خمرًا، فقد أمر بتحريق قرية كانت تباع فيها الخمر، فقد روى الإمام أبو عبيدة القاسم بن سلام أن عليًا بن أبي طالب رضي الله عنه نظر إلى زرارة[٣] فقال: ما هذه القرية؟ قالوا: قرية تدعى زرارة، يلحم فيها، تباع فيها الخمر، فقام يمشي حتي أتاها، فقال: إليّ بالنيران، اضرموها فيها، فإن الخبيث يأكل بعضه بعضًا قال (الرواي): فاحترقت من غربيها حتى بلغت بستان خواستا بن جبرونا[٤].

### ٨- احتسابه فيما يتعلق باللباس والهيئة:

عن أبي مطر قال: خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي خلفي: ارفع إزارك فإنه أبقى لثوبك، وأنقى لك، وخذ من شعرك إن كنت مسلمًا[٥].

### ٩- حبسه أهل الشر والفساد:

كان عليٌ رضي الله عنه يلاحق أهل الشر والفساد، فإذا وجد أحدًا منهم حبسه، فقد روى القاضي أبو يوسف عن عبدالملك بن عمير قال: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا كان في القبيلة أو القوم الرجل الداعر حبسه، فإن كان له مال أنفق عليه من

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٤)، و«مصنف عبدالرزاق» (٨/ ٢٤٨). (٢) «المغني» (٥/ ٣١).
(٣) محلة في الكوفة سميت باسم بانيها زرارة بن زيد.
(٤) «الأموال» ص(٩٧ ، ٩٨)، و«الحسبة» لابن تيمية ص(٦٠). (٥) «البداية والنهاية» (٨/ ٤).

ماله، وإن لم يكن له مـال أنفق عليه من بيت مال المسلمين، وقـال: يحبس عنهم شره ويُنفق عليه من بيت ما لهم(١).

### ١٠- الترهيب من عدم الإنفاق:

قـال أميـر المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: بشـر مال البـخيل بحـادث أو وارث(٢)، وقال: البـخيل مـستعـجل الفقـر، يعيش في الدنيـا عيش الفـقراء، ويحاسب في العقبى حساب الأغنياء(٣).

### ١١- مناداته للصلاة:

كان أمـير المؤمنين علي رضي الله عنه شديـد الاهتمام بأمـر الصلاة فقـد كان يمر في الطريق مناديا: الصلاة، الصلاة، كان يوقظ بذلك الناس لـصلاة الفجر، يحدثنا الحسن رضي الله عنه عن خـروجه في اليوم الذي طُعِـن فيه من بيـته حيث يقـول: فلما خرج مـن الباب نادى: أيهـا الناس! الصلاة، الصـلاة. وكذلك كـان يصنع كل يوم، ومعه درته، فاعترضه الرجلان، فضربه ابن ملجم على دماغه(٤).

### ١٢- الاهتمام بالطرق العامة:

كان علي رضي الله عنه يأمر بالمثاعب(٥)، والكنف(٦)، تقطع من طريق المسلمين(٧).

### ١٣- ظهور بدعة القصص ومحاربة أمير المؤمنين علي لها:

حدثت بدعة القُـصَّاص في عهد علي رضي الله عنه فـأنكرها الصحابة والتابعـون، فقد أخرج محمـد بن وضّاح عن موسى بن معاوية قال حدثنا ابن مهـدي عن سفيان: عن عبـيد الله بن نافع قـال: لم يقص على عهـد النبي ﷺ، ولا أبي بكر، ولا عمـر ولا عثمان، وأول مـا كان القصص حين كـانت الفتنة(٨)، والقصاص هم:

(١) «الخراج» لأبي يوسف ص(١٥٠).
(٢) نثر اللآلئ؛ نقلاً عن «منهج علي بن أبي طالب» ص(١٨٣).
(٣) «منهج علي في الدعوة إلى الله» ص(١٨٣).
(٤) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٣٩).
(٥) المثاعب: مفرده الثعب: سيل الماء في الوادي.
(٦) والكنف: جمع كنيف وهو المرحاض، «المصباح المنير» ص(٥٤٢).
(٧) «مصنف عبدالرزاق» (١٠/ ٧٢).
(٨) «البدع والنهي عنها» ص(٢٠).

الوعاظ الذين يعقدون مجالس للوعظ تضاهي مجالس العلم، يعظون الناس فيها بالحكايات والإسرائيليات ونحوها، مما لا أصل له أو موضوع، أو مما لا تدركه عقول العامة، وقد منعهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ لأنهم أخذوا يحدثون الناس بالغرائب والمتشابهات، وما لا تدركه عقولهم وما لا يعرفون[1] وأذن أمير المؤمنين لمن كان متمكنًا من العلم الشرعي بأن يقص على الناس.

كانت حياة أمير المؤمنين في المجتمع دعوة للتوحيد ومحاربة للشرك وكان حريصًا على تعليم الناس أسماء الله وصفاته، وربط قلوبهم به وحده وتذكيرهم بنعم الله وحضهم على شكرها، وقد كان رضي الله عنه مثابرًا على محو آثار الجاهلية، متخذًا كافة الوسائل الدعوية من خطابة ووعظ، وشعر وحكم، ولم يعش رضي الله عنه بعيدًا عن الناس بل عاش بينهم بأخلاقه وسمته وعلمه رضي الله عنه .

## ثامنًا: ولاية الشرطة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

عندما تولى علي رضي الله عنه أمر الخلافة كانت وظيفة الشرطة إحدى الوظائف المهمّة المعروفة في الدولة، والقصص والآثار التي تحدثت عن دور الشرطة في عهد علي رضي الله عنه كثيرة منها، ما رواه أصبغ بن نباتة: أن شابًا شكا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفرًا، فقال: إنّ هؤلاء خرجوا مع أبي في سفر فعادوا ولم يعد أبي، فسألتهم عنه، فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله: فقالوا ما ترك شيئًا، وكان معه مال كثير، وترافعنا إلى شريح، فاستحلفهم وخلّى سبيلهم، فدعا عليّ رضي الله عنه بالشرطة، فوكّل بكلّ رجل رجلين، وأوصاهم ألا يمكنوا بعضهم يدنو من بعض، ولا يمكنوا أحدًا يكلمهم، ودعا كاتبه، ودعا أحدهم، فقال: أخبرني عن أب هذا الفتى، أي يوم خرج معكم؟ وفي أي منزل نزلتم؟ وكيف كان سيركم؟ وبأي علة مات؟ وكيف أصيب بماله؟ وسأله عمّن غسله ودفنه، ومن تولّى الصلاة عليه، وأين دفن، ونحو ذلك، والكاتب يكتب، فكبّر عليّ، وكبّر الحاضرون، والمتهمون لا عِلْمَ لهم إلا أنهم ظنّوا أن صاحبهم قد أقرّ عليهم، ثم دعا آخر بعد أن غيّب الأول عن مجلسه،

(١) «دراسات في الأهواء والفرق والبدع» ص(٢٣٩).

فسأله كما سأل صاحبه، ثم الآخر كذلك، حتى عرف ما عند الجميع، فوجد كل واحد منهم يخبر بضدّ ما أخبر به صاحبه، ثم أمر بردّ الأول فقال: يا عدو الله، قد عرفت عنادك وكذبك بما سمعت من أصحابك، وما ينجيك من العقوبة إلا الصدق، ثم أمر به إلى السجن، وكبّر وكبّر معه الحاضرون. فلما أبصر القوم الحال لم يشكوا أن صاحبهم أقرّ عليهم فدعا آخر منهم، فهدّده، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد كنت كارها لما صنعوا، ثم دعا الجميع فأقرّوا بالقصة واستدعى الذي في السجن وقيل له: قد أقرّ أصحابك ولا ينجيك سوى الصدق، فأقرّ بكل ما أقرّ به القوم، فأغرمهم المال، وأقاد منهم القتيل[1].

فهذه القصة تحوى معاني ودلالات كثيرة تفيد المحققين، وتدلّ في الوقت نفسه على وجود السجن، ورجال الشرطة[2]، هذا وقد بنى أمير المؤمنين سجنًا في الكوفة سمّاه «نافعًا» لم يكن مستوثق البناء، فكان المسجونون يخرجون منه، فهدمه وبنى بدلاً منه سجنًا آخر سمّاه مخيّسًا[3]، وقد أجرى على أهل السجون ما يقوتهم من طعامهم وأدمهم وكسوتهم في الشتاء والصيف[4]، وكان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب أصحاب شرطة منهم، أبو الهياج الأسدي، وقيس بن سعد بن عبادة ومعقل بن قيس الرّياحي، ومالك ابن خبيب اليربوعي، والأصبغ بن نباتة المشاجعي، وسعيد بن سارية بن مرة الخزاعي، وكان من ضمن الوظيفة الاجتماعية للشرطة، مساعدة المحتاج، وإغاثة الملهوف، وإرشاد التائه، وإطعام المساكين، وتقديم العون، وإظهار الرفق، وغير ذلك من المساعدات الإنسانية التي يراد بها وجه الله تعالى.

ومن هنا يظهر لنا أن الأمن في العصر الراشدي كان يقوم بدور حضاري في تقديم خدمات عامة للمجتمع، ولم يقتصر دوره فقط على الجانب الأمني، وإن كان للجانب الأمني الأهمية الكبرى.

---

(١) «الطرق الحكيمة» ص(٤٩). (٢) «ولاية الشرطة في الإسلام»، د. نمر الحميداني ص(١٠٧).
(٣) وهذه التسمية ليست اعتباطاً بل لها غرض؛ فإن النافع من النفع وهو ضد الضرر، «والمخيس وهو التذليل والتهذيب، التسميتان تحققان أغراض السجن. (٤) «ولاية الشرطة» ص(١٠٨).